

مركز جيل البحث العلمي



مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الثاني - العدد 12 : أكتوبر 2015

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية - العام الثاني - العدد 12 - أكتوبر 2015



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2015

ISSN 2311-5181

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرفة العامة: د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ. جمال بلبكي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

د. مراد نعموني ، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر.
د. عبد الحميد بعيطيش، جامعة باتنة، الجزائر.
د. ساسي سفيان، جامعة الطارف، الجزائر.
د. لطيفة علي الكميثي، جامعة طرابلس، ليبيا.
أ. غزلان هاشمي، جامعة سوق أهراس، الجزائر.

رئيس اللجنة العلمية:

د. سامية سامية ابريغم، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر.

اللجنة العلمية :

أ.د. داتؤ ذو الكفل محمد يوسف ، جامعة ملایا ، ماليزيا .
أ.د. أمل المخزومي ، جامعة ويلز ، بريطانيا
د. عبد الستار رجب، المعهد العالي للشغل والدراسات الاجتماعية، تونس.
د. عبد الفتاح عبد الغني مصطفى الهمص ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين.
د. سعاد عبد العزيز الفريح (جامعة الكويت).
د. نسيصة فاطمة الزهراء، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر.
د. فوزية إبراهيم العوضي (جامعة الكويت).
د. بهلول لطيفة ، جامعة تبسة، الجزائر.
د. رحاب يوسف، جامعة بني سويف ، مصر.
د. محمد كريم فريحة، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر.

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

أ.م.د. مهدي علوان القريشي (جامعة واسط، العراق).
أ.م.د. فليح مضيي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. عبد القادر الجبارين (جامعة الخليل فلسطين).
د. عيلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
د. بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
د. بلمداني نوال (جامعة معسكر، الجزائر).
د. نوري محمد أحمد شقلايو (جامعة الزاوية، ليبيا).
د. مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس).

التدقيق اللغوي :

د. حمد محمود محمّد الدوّخي (جامعة تكريت، العراق).
أ. صورية ديب (جامعة باجي مختار، عنابة).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 9 الافتتاحية. ●
- 11 استقراء بعض التجارب الأجنبية والعربية في تحقيق جودة التعليم العالي أ.غوارى مليكة/جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر ●
- 23 تأثير الإعلام الجديد في الشباب المسلم د.بشرى سعدي/جامعة المولى اسماعيل، المغرب ●
- 35 دور التكوين في تحسين أداء المنظمة أ.حورية زقندري/جامعة لونيبي علي، البلدة ٢، الجزائر ●
- 49 العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني: أسبابه، أشكاله وآثاره، سبل الحد منه، د. عبدالله صالح محمد الدرايسه/شركة أسأل لتنمية الموارد البشرية/عمان، الأردن ●
- 57 دور المعاملة الوالدية في ظهور الإضطرابات النفسية لدى المراهق د.حسان سخسوخ/جامعة سطيف ٢، الجزائر ●
- 69 نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية: قراءة في الإرث الأنتروبولوجي زهرة عباس، طالبة دراسات عليا، جامعة مستغانم- الجزائر ●
- 77 الأصول القرآنية لمصطلحات الفارابي المنطقية (الكليات الخمس) أ.نصيرة كشوط/جامعة الجزائر ٢ ●
- 89 الاتصال الشخصي في ظل الإعلام الجديد أ.خالد منصر/جامعة خنشلة، الجزائر ●
- 101 المفاهيم السوسولوجية عند بيير بورديو د.جميل حمداوي /أستاذ التعليم العالي وباحث، المغرب ●
- 115 القلق النفسي لدى مرضى الفشل الكلوي " دراسة حالة مرضى الفشل الكلوي المترددين على مستشفى الجزيرة لجراحة وأمراض الكلى- ولاية الجزيرة- السودان- في الفترة : فبراير- ديسمبر ٢٠١١، د.إخلاص محمد عبد الرحمن/جامعة الجزيرة، السودان ●
- 127 الإسهام الأسري في تنمية عادة القراءة لدى الطفل، أ.د محمد عبد الهادي/جامعة الجزائر ٢ - أ. سميرة ونجن/جامعة بسكرة ●
- 145 تأثير جرائم الإرهاب الإلكتروني الجديد على الشباب المسلم "في عهد وسائل الإعلام الجديد"، أ.قادة عافية/جامعة وهران، الجزائر ●
- 161 الجريمة الالكترونية نتاج أجهزة و مواقع تواصل اجتماعي أ.بومامي العباس/رئيس تحرير مجلة أصوات الشمال، الجزائر ●



مقالات باللغات الأجنبية

- 189 • Retour d'expérience sur les ressorts motivationnels d'un « jeu sérieux » auprès des jeunes Tunisiens, Rym GRIQUI/Ecole doctorale arts et culture, Université de Tunis, doctorante
- 205 • Dysfunction of figurative language comprehension and verbal fluency in female schizophrenic patients, Dr. Shereen A. Mahmoud/, Cairo University, Egypt.
- 215 • Monitor changes in land cover in the Ramallah governorate (1994-2003), by using remote sensing, The researcher: Khalil Mohamad Khalil Abu Allan, Applied Geography - College of Arts- Hebron University-Palestine

الإفتاحفة

الصفءالله رب العالمفن؁ اللهم صلف وسلم وبارك على عبءك ورسولك أشرف الأنبفاء والمرسلفن؁ وعلى آله وأصحابه أجمعفن؁ أما بعد:

نقدم لكم العدد الثاني عشر من مجلة "ففل العلوم الإنساففة والاجتماعفة"؁ ولاشك أن كل موضوع أو تخصص تضمنه هذا العدد ففءم نقطة فوفرففة فف مفساف فدرس أو مءكرة فحضر لباحف ما؁ باعتبار كل البحوث فخصص للجنة فحكفم ولجنة علمفة فضي علمفا صبغة المصءاففة العلمفة. لذلك فحرص المجلة بشكل دائم على فشففع الإباء الفكري والفنوع المفال والءقة العلمفة؁ لففقق هدف شامل وواسع وهو ءءمة البءف العلمف وترففة.

مبءاً المجلة الءائم والمفواصل هو اعفماء الفنوع فف البحوث العلمفة ومصادر إرسالفا وفقا لمجموعة من الشروف العلمفة ففمفز أءفاناً كثرهً بءقفا وصرامففا؁ وهذا ما ففعلفا فرفقفا أكثر فف الأوساط العلمفة والبءففة العربفة والفرففة.

فضمن هذا العدد سفة عشر بءفاً موزعاً عبر فخصصاف مففلفة؁ وهذا إن ءل على شئف فهو فءل على حرص المجلة على بناء كوكبة علمفة مفكاملة بفن فخصصاف العلوم الإنساففة والاجتماعفة؁ للوصول إلى فوءة علمفة عاففة فف الفامعات والمراكز العربفة. فبقف المجلة ملكاً للباحففن والقارئفن؁ وكلها شرف بأي بءف فرسل لها ءءمة للعلم والباحف والطالب.

رئفس الففررف / أ. جمال بلبكاف

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2015

استقرار بعض التجارب الأجنبية والعربية في تحقيق جودة التعليم العالي

أغوارى مليكة/جامعة عباس لغرور، خنشلة

الملخص:

لقد تزايد الاهتمام بقضية الجودة الشاملة في التعليم إلى الحد الذي جعل المفكرين يطلقون على هذا العصر عصر الجودة. المجتمع العالمي ينظر إلى الجودة والإصلاح التربوي باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، وربما يرجع الاهتمام بهذه القضية باعتبارها أحد الركائز الأساسية لنموذج الإدارة الجديد، الذي تولد لمسايرة المتغيرات الدولية والمحلية ومحاولة التكيف معها. و الصورة الجديدة للتعليم والمجتمع لا يمكن لها أن تكون إلا بتعليم تتوافر فيه شروط الجودة الشاملة في كافة مراحلها ومستوياته، ولهذا تنهت معظم دول العالم إلى أهمية قضية الجودة في التعليم خاصة الجامعي (العالي)، فوضعتها في سلم أولوياتها منذ تسعينيات القرن العشرين، ذلك أن التقدم في الأداء الاقتصادي والاجتماعي مرهون بجودة الخدمة التعليمية، وفي هذا الصدد نجد تجارب رائدة في مجال جودة التعليم العالي لبعض الدول العربية والأجنبية، سنتطرق إليها بعد تقديم مفهوم للجودة الشاملة في التعلم الجامعي، و مكوناتها، منهج **joblonski joseph** لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعة، معايير توكيد الجودة، وعوائق تطبيقها في التعليم الجامعي.

مقدمة:

إن مستقبل التعليم العالي في أي دولة مرهون بمدى تطبيقها لنظم الجودة الشاملة. إذ يعتبر أحد أهم القطاعات الرئيسية التي تلعب دورا حاسما في قيادة التطور الاجتماعي، الثقافي والسياسي، والاقتصادي. ولذا فهو يولي انتباها واهتماما بالغين ليكون قادرا على المساهمة على نحو كبير في الرد على التحديات العالمية التي أوجدها النظام الدولي الجديد، وخلق التغيرات الشاملة لمساعدة أفراد المجتمع من طلاب وأكاديميين على انجاز مسؤولياتهم المدنية، حيث أن مؤسسات التعليم العالي عامة تعتبر من أهم المحاور التي تلعب الدور الكبير في استمرار التنمية الشاملة ودفعها إلى الأمام، بل وتغيير المجتمع وتطوره، فهي مؤشر إلى عصرية الدولة وتقدم أي مجتمع.

١. مفهوم جودة التعليم الجامعي:

"منظومة جودة التعليم الجامعي ترتبط بالعديد من الأغراض والغايات التي تهدف إلى تحسين رضا الطلاب وزيادة ثقتهم، وتحسين مركز الجامعة في الأسواق المحلية، والعالمية، وتحسين نصيب الجامعة في السوق".^١

يمكن تعريفها بأنها تلبية توقعات الطلبة واحتياجاتهم، وقد أبرز **Bir nabome** أبعاد جودة التعليم الجامعي في ما يلي:

١. البعد الأكاديمي: وهو تمسك المنظمة بالمعايير والمستويات المهنية والبحثية الأكاديمية.
٢. البعد الاجتماعي: وهو تمسك المنظمة بإرضاء حاجات القطاعات الهامة المكونة للمجتمع الذي توجد فيه وتخدمه.
٣. البعد الفردي: وهو تمسك مؤسسة التعليم العالي بالنمو الشخصي للطلبة من خلال التركيز على حاجاتهم المتنوعة.^١

^١ رزق الله حنان: "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة - دراسة ميدانية لعينة من كليات جامعة منتوري قسنطينة" - مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١١٤.

أما مفهوم إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي فيمكن تحديده في :

- ترجمة احتياجات وتوقعات - مستخدمي (العمالة)- خريجي الجامعة كمخرجات لنظام التعليم في كل كلية- إلى خصائص ومعايير محددة في الخريج تكون أساسا لتصميم وتنفيذ البرامج التعليم مع التطوير المستمر لها.^٢

٢. مكونات الجودة الشاملة في التعليم الجامعي:

I. John west-burnham :

ناقش جون في مقاله "الأساس الأوروبي لإدارة الجودة"، وقد تم تقبل هذا النموذج بشكل كبير في المنظمات التجارية في أوروبا، وكان الأساس للعمل التطوري الهام في المدارس، وهذا النموذج قائم على أسس تحليل مكونات الإدارة في المنظمات (التنظيمات الناجحة) وتصنيفها إلى المخولين والعمليات المتضمنة التي عن طريقها نصل إلى النتائج، وعند العمل بهذا النموذج لا بد من التركيز على:

- كل عنصر من عناصر النموذج مرتبط بالآخر ومتوقف عليه.

- إدراك الوزن المساهم به كل عنصر من عناصر النموذج في تحقيق الجودة الإجمالية - إن العمليات هي حلقة متوسطة بين المخولين والنتائج.

- التأكيد على المخرجات والنتائج وهي متنوعة.

- أهمية تواجد القيادة وعملية إدارة الناس.

- التأكيد على رضا العميل.^٣

II. Lewis and smith :

يشيران في كتابهما عن "الجودة في التعليم العالي" إلى مايسى "بيت الجودة"، ويفترض النموذج المقدم أنه في أي منظمة يمكن التمييز بين ٣ أنظمة فرعية هي:

- النظام الإداري: وهو الجهاز الإداري واللوائح القانونية التي تعمل المنظمة (الجامعة) بموجبها.

- النظام التقني: هو عبارة عن الأساليب والوسائل التي تدعم تنفيذ فلسفة الجودة، وفي الجامعة عبارة عن نظام التعلم والتعليم، مثل: ماذا يستخدم المعلم من مصادر التعليم؟ ماهي الأنشطة...؟ وغالبا ما يستخدم التكنولوجيا.

- النظام الاجتماعي: وهو مجموعة التفاعلات بين الأشخاص في المنظمة (الجامعة)، وهذا التفاعل مضبوط ويخضع لمجموعة من القوانين والمعايير التي تقره وتضبطه، وعلى ضوء ذلك فهناك تفاعل بين النظام الإداري والنظام الاجتماعي، وهذا التفاعل هو ما يسمى "بالمهاج الخفي داخل الجامعة".^٤

III. A-Glathon :

وضع "جلاثون" ١٩٩٤ في كتابه "developing a curriculum quality" وكيفية إدارة المناهج باستخدام منحنى إدارة الجودة الكلية (TQM) وذلك من أجل تصميم مناهج ذات جودة عالية.

^١ بسمان فيصل محبوب : " الدور القيادي لرؤساء الأقسام العلمية في الجامعات العربية للتنمية الإدارية"، عمان، ٢٠٠٤، ص ١٦٠-١٦١

^٢ مصطفى محمود أبو بكر : "مقومات ومعوقات تحقيق الجودة الشاملة - مدخل التوجه بالقوى العاملة-"، سلسلة إصدارات ميمك، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٦٧.

^٣ يوسف حليم الطائي، محمد فوزي العبادي : " إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي"، الوراق للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، الاردن، ٢٠٠٨، ص ٢٢٥.

^٤ المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ويمكن توضيح أن النماذج التي تركز على تحقيق الجودة الكلية تتضمن بعض المفاهيم الأساسية التي تساعد في صنع الجودة الشاملة هي:

- كفاءة وملائمة الهدف : هذا هو العريف المتميز للجودة الذي يرى : أين الهدف؟ وهل تم تعريف هذا الهدف بواسطة العميل؟ هل العمليات والنواتج تتجه نحو تحقيق الهدف ؟ وهذا ما يجب أن تركز عليه المؤسسات التربوية من تحديدها لأهداف الجودة وحرصها على بلوغها لهذه الأهداف وحسين عمليات الوصول إليها باستمرار.
- التحسين المستمر: وهذا هو الالتزام الدائم الذي تحرص الجامعة من خلاله على تقوية وتعزيز نواتجها.
- استبعاد التباين: يستلزم هذا المفهوم أن تتأكد إدارة الجودة الكلية من أن المخرجات تطابق الخصائص والمواصفات المتفق عليها أو تتفوق عليها، بمعنى إن تضمن للعميل الشعور بالثقة بما يقدم.
- القياس: وذلك باستخدام عمليات الملاحظة وأدوات القياس المختلفة بغرض تحديد مدى تماسك المنتج واستبعاد التباين من خلال استخدام الأساليب الإحصائية المتنوعة، بالإضافة إلى قياس رضا العميل لنوعية المخرجات
- تأكيد الجودة: يقصد بها منع الهدر والتأكيد على الجودة المنتج من خلال التعريف الجيد بالمصادر والتدريب المستمر للعاملين.
- الاقتراب من العميل : يعني إدماج العميل في العمليات الأساسية بقصد خلق علاقة تبادلية والتي من خلالها يتم تحسين عملية الاتصال مع العميل.

٣. منهج joblonski joseph لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعة:

- المرحلة الصفيرية: في هذه المرحلة يقرر المدراء إذا كانوا سيستفيدون من التحسينات الشاملة من إدارة الجودة الشاملة أم لا، وهذه مرحلة اتخاذ القرار لتطبيق إدارة الجودة الشاملة.
- التخطيط والصياغة: يمكن أن نطلق عليها مرحلة اتخاذ القرار بتطبيق إدارة الجودة الشاملة، وفيها يتم صياغة رؤية النظام الجامعي وأهدافه المنشودة الاستراتيجية والسياسات المقترحة، ويتطلب في هذه المرحلة شروح ومفاهيم الجودة الشاملة على كل المستويات داخل النظام، واختيار بعض الأعضاء للمشاركة في عمليات التطوير وتحويل هيراركية النظام إلى روح الفريق.
- التقويم والتقدير: تشمل التقويم الذاتي لأداء الأفراد والتقدير التنظيمي لنظام مع إجراء المسح الشامل لإرضاء العملاء المستفيدين، وهم الطلبة بالدرجة الأولى والجامعة بشكل عام والبيئة المحلية.
- التطبيق: هي مرحلة بدء تنفيذ فلسفة إدارة الجودة الشاملة داخل النظام على كافة المستويات الإدارية، ويصحب ذلك مبادرات تدريبية محددة بشكل مناسب لكل الأفراد ويدعم مساندة من الإدارة العليا حتى يتم تحسين عمليات أو مجالات الجودة المرغوبة، وتمر هذه المرحلة ببعض الخطوات أهمها:
- أ. اختيار من يتولى التدريب من داخل المنظمة من جميع المستويات الإدارية ويتوافر فيهم المصادقية والالتزام بالجودة الشاملة وأهميتها.

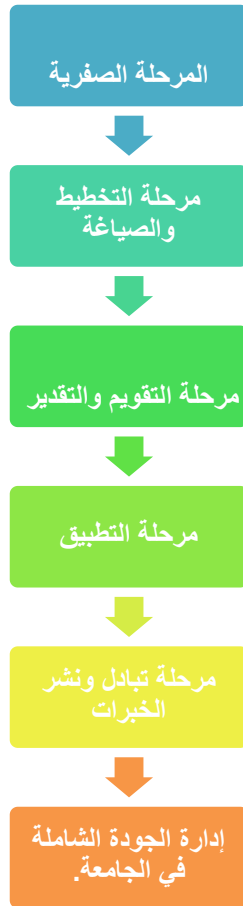
ب. تدريب المدربين تدريباً مكثفاً عن مبادئ وأدوات الجودة الشاملة على أيدي متخصصين وخبراء لهم خبرة في هذا المجال

ج. إنشاء مكتبة خاصة بإدارة الجودة الشاملة.

د. تشكيل فريق عمل يضم مزيجا من العاملين والإدارة الوسطى والإدارة العليا.

مرحلة تبادل ونشر الخبرات : تعتمد على نشر الخبرات عند النجاح في تطبيق إدارة الجودة الشاملة، ويفترض خبراء الجودة الشاملة إن الجدول الزمني اللازم لتطبيق برنامج الجودة الشاملة يتر اوح بين (٩-١٥) شهرا، وللحكم على مدى نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المنظمات المختلفة تم وضع جوائز للمنظمات التي تنجح برامجها في تحسين الجودة الشاملة كمعايير لنجاح التطبيق والتنفيذ والتطبيق تمنح المؤسسات شهادات دولية حيث ركزت هذه الجوائز على النجاح في الرقابة الإحصائية كوسيلة لتحسين الجودة.^١

شكل بياني رقم ١ : مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعة.



^١ المرجع نفسه، ص ٢١٨ - ٢١٩.

٤. معايير توكيد الجودة في التعليم الجامعي:

١. الأهداف: عامة / خاصة / معارف / مهارات... الخ.

٢. المناهج: يرتبط هذا الجزء بالمدى الذي تستطيع فيه هذه المناهج الدراسية أن تعمل على تنمية قدرة الطالب على تحديد المشكلات وحلها، أن أولوية خدمة جودة الخدمات التعليمية تستدعي تحسين المناهج من خلال خطة الدراسة - وصف المقررات- التقويم... الخ.

٣. التعليم والتعلم: الأساليب... الوسائل التكنولوجية... الخ.

٤. هيئة التدريس والإدارة (القوة البشرية): الكم والكيف والتواصل والتأهيل والنسبة للطلاب.

إن جودة الخدمة التعليمية بالكلية أو الجامعة تقاس بهيئة تدريسيها، وتقاس هذه الأخيرة بمقدار ما تبذله من نشاط، وما تمتلكه من تمكن في المادة العلمية، واقتدار في إيصالها، ورغبة في إعطائها.

٥. مصادر التعلم: الأجهزة - المعدات - موقع إلكتروني- خدمة إنترنت.

٦. محور الطلاب: الطلاب من أهم وأبرز العمليات التعليمية، وتحدد معايير جودة الخدمة التعليمية المرتبطة بهذا المحور في: انتقاء الطلبة-نسبة عدد الطلبة بالنسبة لعضو هيئة التدريس-دافعية الطلبة واستعدادهم للتعلم.

٧. إنجاز الطلاب وتحصيلهم: الإرشاد الأكاديمي والنفسي - تخطيط تعليمي للطلبة الجدد - الخريج مع سوق العمل - تكافؤ فرص القبول والعمل.

٨. إدارة الجودة وتوكيدها: أدوات الإدارة لتطوير التعليم، وحدة ضمان الجودة، دليل الجودة، نظام تقييم داخلي.

٩. المرافق والخدمات المساندة: مكتبة، قاعدة بيانات للكلية، مختبرات، أجهزة، معامل.

١٠. محور القيادة الإدارية: يتطلب من القيادات الجامعية امتلاكهم لمجموعة من المهارات الفنية، والإنسانية، والإدراكية كي يتمكنوا من القيام بأدوارهم الأكاديمية والإدارية والتربوية. من خلال مجموعة من المعايير الأكاديمية والتربوية والإدارية^١.

٥. عوائق تطبيق الجودة الشاملة في التعليم الجامعي (العالي):

رغم السمات والمميزات لإدارة الجودة الشاملة في المجال التعليمي إلا أن تطبيقها يصادف العديد من المعوقات والصعوبات أهمها:

➤ المركزية في اتخاذ القرار التربوي لأن إدارة الجودة الشاملة بحاجة إلى نظام لامركزي يسمح بالمزيد من الحريات والابتكار في العمل بعيداً عن الروتين والتعقيدات الإدارية التي تضعف العمل والأداء.

➤ اعتماد نظام معلومات في المجال التربوي يعتمد على الأساليب التقليدية.

^١ رزق الله حنان: " أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة-دراسة ميدانية لعينة من كليات جامعة منتوري قسنطينة"- مرجع سبق ذكره، ص ص ١٢١-١٢٨ .

✚ ضعف الكوادر المدربة والمؤهلة في مجال إدارة الجودة الشاملة في المجال التربوي والقادرة علي تحمل المسؤولية والابتكار.

✚ يحتاج تطبيق إدارة الجودة الشاملة إلي ميزانية كافية غير عادية.

✚ عدم تقبل الإداريين والعاملين أساليب التطوير والتحسين، لأنه تتطلب منهم مهارات وكفايات لا يستطيعون تحملها كما تسبب لهم مع ضعفاً مع سلطتهم الإدارية.

✚ الإرث الثقافي والاجتماعي الذي يرفض تقبل ما هو جديد ومتطور.

✚ ضعف الأنماط القيادية لدي المديرين والإداريين أصحاب القرار في الميدان التربوي.

✚ ضعف العلاقة بين المؤسسات التعليمية والمجتمع المحلي، وضعف عمليات المشاركة في اتخاذ القرارات.^١

٦. تجارب بعض الدول في تطبيق الجودة الشاملة في التعليم الجامعي:

١.٦ استقراء التجارب الرائدة في الجودة والاعتماد في العالم العربي:

أ. التجربة المصرية في توكيد الجودة والاعتماد:^٢

مرت التجربة بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى:

بعد إقرار المؤتمر القومي لتطوير التعليم العالي في فبراير عام ٢٠٠٠ للخطة الاستراتيجية لتطوير التعليم العالي والتي ترجمت إلى ٢٥ مشروعاً يتم تنفيذها علي ثلاثة مراحل تتفق كل مرحلة مع الخطة الخمسية للدولة اعتباراً من ٢٠٠٢ حتى ٢٠١٧، صدرت قرارات وزارية بتشكيل لجنة التيسير ووحدة إدارة مشروعات التطوير لمؤسسات التعليم العالي في مصر، وتم الاتفاق على التركيز في ستة مشروعات كأولوية خلال المرحلة الأولى، وتم إصدار قرارات وزارية بتشكيل لجانها ومديريها التنفيذيين.

والمشروعات الستة هي:

❖ مشروع تطوير كليات التربية FOEP.

❖ مشروع تطوير الكليات التكنولوجية المصرية ETCP.

❖ مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات FLDP.

❖ مشروع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ICTP.

❖ مشروع توكيد الجودة والاعتماد QAAP.

❖ مشروع صندوق تطوير التعليم العالي HEEPF.

^١ عبد الغني: إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٦٠.

^٢ مهني ابراهيم غنيم، سمير عبد القادر جاد: "اتجاهات التعليم في القرن الحادي والعشرون(مترجم)"، القاهرة، الدار العالمية، ٢٠٠٢، ص ص ٩٨،

ومنذ إنشاء اللجنة القومية لضمان الجودة والاعتماد في أكتوبر عام ٢٠٠١، تم عمل دراسات متعددة من أفراد اللجنة حول إنشاء الهيئة ثم قامت اللجنة عام ٢٠٠٢ بترجمة هذه الدراسات والأهداف إلى خطة تنفيذية وأنشطة تضم الآتي:

✓ الدراسات الذاتية وتقييمها.

✓ التحضير لإنشاء الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد.

✓ حملة توعية قومية لتهيئة المجتمع والمؤسسات التعليمية لمفاهيم الجودة والاعتماد.

✓ مساعدة القطاعات على إعداد وتعميم المعايير القومية والمعايير التطويرية المقارنة على أن تكون متوافقة مع المعايير الدولية.

✓ مساعدة الكليات والقطاعات على بناء القدرة المؤسسية لها.

✓ مساعدة الكليات والقطاعات للتقدم لمشروعات لصندوق تمويل برامج التعليم العالي.

✓ توثيق العلاقات مع مؤسسات ضمان الجودة والاعتماد الدولية.

المرحلة الثانية: إنشاء وحدات لتقويم الأداء الجامعي وضمان جودة التعليم العالي في الجامعات المصرية:

تم إنشاء هذه الوحدات في جميع الجامعات المصرية بموافقة المجلس الأعلى للجامعات لكي تصبح ضمن الهيكل التنظيمي للجامعة وتم تعيين مديرين لها من قبل رؤساء الجامعات ويتم اجتماع دوري بين هذه الوحدات بهدف التنسيق لتنمية فكر وضمان الجودة.

المرحلة الثالثة: حملة التوعية:

تموضع السياسات والخطط الخاصة بحملة التوعية وتم تحديد القطاعات المستهدفة لهذه الحملة وتم حاليا تصميم موقع على الانترنت بكل مشاريع التعليم العالي. وأصدرت اللجنة عدة نشرات إعلامية شهرية عن ضمان الجودة والاعتماد وتم تداولها على مستوى ال جامعات وتبني اللجنة رفع درجة الوعي الإعلامي حول هذا الموضوع من خلال إعداد ونشر مقالات بالصحف المصرية والمشاركة في بعض البرامج التليفزيونية لشرح أهمية هذا الموضوع كما قامت اللجنة القومية ووحدات تقويم الأداء وضمان الجودة والاعتماد في جميع الجامعات بعقد ورش عمل وندوات تعريفية بالمشروعات.

المرحلة الرابعة: تنمية مشاريع ضمان الجودة والاعتماد وبناء القدرة المؤسسية للجامعات:

تم العمل في هذا المحور بالتعاون مع صندوق تمويل برامج التعليم العالي فقد تم طرح أول دورة لتمويل مشروعات التعليم العالي في ٧ يونيو عام ٢٠٠٣ وتقدمت ١٤ جامعة لهذه المشروعات ب ١٢٣ مشروعا تمت دراستهم وتقييمهم فنيا وماليا باشتراك ١٧ خبيرا وتم الموافقة على ٤٢ مشروعا طبقا للأولويات بتكلفة إجمالية في حدود ٤.٥ مليون دولار من بينها ثلاثة مشاريع تخص الجودة والاعتماد.

المرحلة الخامسة: العلاقات الدولية:

تم عمل علاقات دولية مع كل من أوروبا وأمريكا والبلاد العربية لتبادل الخبرات في مجال ضمان الجودة وتم عمل زيارة ميدانية الى إنجلترا وأمريكا في عام ٢٠٠٢ لدراسة نظم إنشاء الهيئات المماثلة بهذه البلاد وكتب تقريرا مهما عن هذه

الرحلة وكانت نواة لعمل اللجنة القومية بعد ذلك ويقوم عدد من أفراد هذه اللجنة بزيارة بلاد أوروبية وعربية للتعرف على نظم الجودة والاعتماد في هذه البلاد.

٢.٦ استقراء التجارب الرائدة في الجودة والاعتماد في الدول الأجنبية: أ. دول أوروبا الغربية^١

تعتبر دول فرنسا وانجلترا وهولندا من أكثر البلدان الأوروبية التي تتم فيها عمليات التقييم ومتابعة جودة التعليم، وربما تتم بصورة مختلفة عن النظام الأمريكي. ومنذ إعلان بولونيا عام ١٩٩٧ عن التوجه نحو نظام تعليم جامعي متناسق تقوم الدول الأوروبية بالمبادرة بترتيب نظام التعليم بها حتى يكون قريباً من النسق المعلن في بولونيا. كذلك بدأت أوروبا مجتمعة في إنشاء الآليات المناسبة لكي تتابع جودة التعليم العالي بدولها المختلفة.

وتقدم المملكة المتحدة نموذجاً جيداً للفكر الأوروبي الذي جاء متأخراً عن الولايات المتحدة والمختلف عنها حيث أنه في عام ١٩٩٧ أنشأ بالمملكة المتحدة هيئة توكيد الجودة **Quality Assurance Agency (QAA)** بهدف وضع نظام لتوكيد الجودة ومعايير الجودة في التعليم العالي. وتعتبر هيئة توكيد الجودة هيئة مستقلة وغير حكومية وتعمل كجمعية أهلية. ويشمل نظام توكيد الجودة في هيئة توكيد الجودة الآتي:

- ١ - عمليات المراجعة الداخلية لتوكيد الجودة والتي تتم بواسطة المؤسسات التعليمية نفسها من خلال مراجعة البرامج بواسطة محكمين داخليين وخارجيين.
- ٢ - مراجعة الجودة بالمؤسسة التعليمية وذلك بواسطة هيئة توكيد الجودة.
- ٣ - مراجعة برامج المؤسسة التعليمية بواسطة هيئة توكيد الجودة.
- ٤ - الاعتماد بواسطة هيئة توكيد الجودة.
- ٥ - تقييم الأبحاث التي تتم بالمؤسسات التعليمية بواسطة القائمين على المراجعة **Peer Reviewers** عن طريق الجهة المانحة **Funding Body**.

وفي عام ٢٠٠٢ تم تفعيل دور هيئة توكيد الجودة من خلال النظام الآتي:

- ١ - مراجعة المؤسسات التعليمية **Institutional Audit** كل خمس سنوات.
- ٢ - التطوير بالمشاركة مع مؤسسات التعليم العالي **Developmental Engagement** حول مدى مطابقتها للمعايير الأكاديمية.

ويتم تمويل هذه الهيئة من خلال المصادر التالية:

- ١ - مساهمة من جميع مؤسسات التعليم العالي (٦٠%).
- ٢ - الدخل الذي يتم تحصيله من خلال التعاقدات التي تتم بين الهيئة وصندوق تمويل التعليم العالي **Funding Councils** (٣٠%).

^١ المرجع نفسه، ص ٨٣، ٨٠.

٣- مصادر أخرى (تبرعات) (١٠%). في المملكة المتحدة (بريطانيا).

وتعتبر إدارة الجودة أحد معايير الاعتماد في مؤسسات التعليم في بريطانيا، حيث أن هذه المعايير هي:

- المباني والصحة والأمان.
- الإدارة وكيفية تعيين أعضاء هيئة التدريس.
- إدارة الجودة.
- رعاية الطلاب.
- التعليم والتعلم : طرق التدريس والمصادر.

أما فرنسا فتعطي نموذجاً أوروبياً آخر للنظر في جودة التعليم العالي حيث تبين أنه نتيجة لعدم فعالية الأنظمة التقليدية المركزية لتقييم الأداء وضبط الجودة والتي اتسمت بضعف الاستقلالية والبيروقراطية فقد تشكلت لجنة وطنية للتقييم بقرار رئاسي وبرلماني عام ١٩٨٥ وتتبع هذه اللجنة رئيس الجمهورية مباشرة وبالتالي فهي مستقلة عن رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي أو أي جهة حكومية أخرى.

وتشمل إجراءات التقييم الذي تمارسه اللجنة تقييماً عاماً للمؤسسة التعليمية ومراجعة البرامج. ويشمل التقييم العام مراجعة أساليب التدريس والنشاطات البحثية ونظم الإدارة وبيئة التعليم. كما تجرى عملية التقييم عادة بناء على طلب مؤسسة التعليم العالي نفسها، وإن كان للجنة الوطنية الحق في إجراء تقييم لأي مؤسسة تريد ان تقيمها. وتقوم هذه اللجنة بزيارة كل المؤسسات مرة كل ثمان سنوات تقريبا وتُنشر نتائج تقييمها في تقرير عن كل مؤسسة، ويرسل التقرير للوزارات المعنية. وتكمن أهمية هذا التقييم في أنه يؤخذ في الاعتبار أثناء التفاوض على الموازنات السنوية لمؤسس ات التعليم العالي.

أما إجراء مراجعة البرامج فيشمل تقريراً ذاتياً من المؤسسة نفسها ثم زيارة من قبل اللجنة القومية للمؤسسة والتي تعد تقريرها والذي تستند إليه لجنة خبراء خارجية لإصدار أحكامها لاعتماد البرامج والمواد الدراسية للمؤسسة. وتقوم اللجنة القومية لتعليم بنشر تقرير عام عن البرامج التي تمت مراجعتها وإعداد تقرير سنوي يتم رفعه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يتضمن نتائج التقييم للمؤسسات التعليمية.

أما اليابان فقد تأثرت كثيراً –ولأسباب تاريخية- بالنموذج الأمريكي حيث يتم اعتماد الجامعات اليابانية بواسطة هيئة اعتماد الجامعات اليابانية: **Japanese University Accreditation Agency (JUAA)** من خلال نظامين:

النظام الأول: هو الاعتماد Accreditation

النظام الثاني: هو إعادة الاعتماد Re-Accreditation

النظام الأول: الاعتماد يمنح للجامعات التي تتقدم لأول مرة لطلب العضوية الرسمية في هيئة الاعتماد.

النظام الثاني: يمنح إعادة الاعتماد بعد مرور خمس سنوات من الحصول على الاعتماد (الأول) بالنسبة للجامعات التي تحصل لأول مرة على الاعتماد ويمنح كل ٧ سنوات للجامعات التي حصلت على إعادة اعتماد من قبل. ولا بد أن يمر على إنشاء الجامعة أربع سنوات حتى يكون لها الحق في الانضمام لعضوية الهيئة.

وتعتبر عملية الاعتماد وإعادة الاعتماد متشابهتين من حيث الطرق والإجراءات المتبعة للاعتماد، والفرق الأساسي هو أنه طبقاً للنظام الأول لا تتم عضوية الجامعة بهيئة الاعتماد إلا بعد الحصول على الاعتماد (النظام الأول) ولكن طبقاً للنظام الثاني (إعادة الاعتماد) لا تفقد الجامعة عضويتها حتى لو لم تحصل على إعادة اعتماد. والفرق الآخر هو أن إعادة الاعتماد يعتمد على ما إذا كانت الجامعة قد عملت بالتوصيات التي ذكرت من قبل خلال حصولها على الاعتماد بواسطة الهيئة. إن هذا النظام المطبق باليابان هو تطويع للنظام الأمريكي الذي بدأ في أوائل القرن العشرين.

ب. تجربة الولايات المتحدة الأمريكية¹:

كانت الولايات المتحدة أول من راعى مبدأ توازي "الحرية والجودة"، حيث سمحت للعديد من المؤسسات التعليمية أن تنتشر وفي نفس الوقت ومنذ أوائل القرن العشرين أنشئت الآليات المناسبة التي تتابع جودة أداء هذه المؤسسات وتعتمد ما يستحق منها الاعتماد **Accreditation** وتجعل نتائج هذه المتابعة متاحة لراغبي التعليم حتى يكونوا على بينة من موقف مؤسسات التعليم المتاحة. وتشبه مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية - إلى حد كبير - المؤسسات الخاصة التي تتمتع باستقلالية كبيرة وسلطة تمثل بمجالس إدارة هذه المؤسسات. ويعتبر التأثير الحكومي على هذه المؤسسات محدود الأثر قياساً بالدول الأوروبية، ولذلك فإن المسؤولية تقع على مؤسسات التعليم العالي لتنظيم نفسها وإيجاد موارد لها وإلا فقدت هذه المؤسسات مواردها وطلابها الذين يتجهون بالتالي نحو المؤسسات المنافسة. ويتخذ الاعتماد في الولايات المتحدة الأمريكية شكلين:

الأول: اعتماد مؤسسي **Institutional Accreditation** وتقوم به مجالس إقليمية تابعة لمؤسسات التعليم العالي نفسها.

الثاني: اعتماد تخصصي **Program Accreditation** للبرامج الدراسية تقوم به لجان متخصصة مثل مجلس اعتماد الهندسة والتكنولوجيا (ABET) والذي يعمل منذ الثلاثينات من القرن الماضي هيئة اعتماد التعليم الطبي.

في عام ١٩٩٦ تم إنشاء مجلس اعتماد التعليم العالي **The Council for Higher Education Accreditation (CHEA)** والذي يهدف إلى إيجاد مؤسسة قومية تتولى الإشراف على مؤسسات الاعتماد وهي مؤسسات غير حكومية في التعليم العالي. ويقوم مجلس الاعتماد (CHEA) بالاعتراف بمؤسسات الاعتماد العاملة في مجال التعليم العالي بناءً على معايير محددة يضعها مجلس الاعتماد. ويتم إعادة اعتماد هذه المؤسسات مرة كل ١٠ سنوات بناءً على تقرير يقدم كل ٥ سنوات. والعمل الذي تقوم به مؤسسات الاعتماد هو عمل تطوعي ويتم من خلال المهام الآتية:

١ - مراجعة عمليات التقييم الذاتي **Self-Assessment** بواسطة القائمين على المراجعة **Peer Reviewers**.

٢ - زيارة ميدانية للمؤسسة التعليمية مرة كل عام.

٣ - العمل على جذب متطوعين جدد من المهتمين بالتعليم العالي للانضمام إلى المنظمة.

معايير الاعتماد في أمريكا :

○ النجاح الذي يتعلق بإنجازات الطالب وعلاقته برسالة المؤسسة، والأخذ في الاعتبار إتمام البرنامج، واختبارات الترخيص بالولاية.

¹ المرجع نفسه، ص ٨٨، ٨٦.

- المناهج.
- أعضاء هيئة التدريس.
- التسهيلات والأجهزة والموارد.
- القدرة المادية والإدارية.
- خدمات دعم الطالب.
- ممارسات التعيين والقبول والنتائج الأكاديمية والمنشورات والإعلانات.
- طول البرامج الدراسية وأهدافها، والشهادات التي تمنحها.
- سجل شكاوى الطلاب التي تتلقاها المؤسسة التعليمية.

خاتمة:

إذن ومن خلال كل ما سبق ذكره نستنتج أن تطبيق الجودة الشاملة في التعليم العالي (الجامعي) يعطي صورة إيجابية ويعكس مدى نجاعة ومسيرة ومواكبة هذه الجامعات لعجلات التقدم الحاصلة في الجامعات الأجنبية المتقدمة، وهذا ما يؤدي الى النهوض بهذه الدول وتنميتها، كما نجح د أن هذا الأمر ليس حكرا على الدول الغربية فقط بل تعدى ذلك إلى الدول العربية ومنها الجزائر.

قائمة المراجع:

١. بسمان فيصل محجوب: الدور القيادي لرؤساء الأقسام العلمية في الجامعات العربية للتنمية الادارية ، عمان، ٢٠٠٤.
٢. رزق الله حنان :أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة- دراسة ميدانية لعينة من كليات جامعة منتوري قسنطينة- مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوريقسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠.
٣. عبد الغني: إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠.
٤. مصطفى محمود أبو بكر: مقومات ومعوقات تحقيق الجودة الشاملة - مدخل التوجه بالقوى العاملة- سلسلة إصدارات بميك، القاهرة، ١٩٩٧.
٥. مهني ابراهيم غنايم، سمير عبد القادر جاد : اتجاهات التعليم في القرن الحادي والعشرون، القاهرة، الدار العالمية، ٢٠٠٢.
٦. يوسف حجيم الطائي، محم د فوزي العبادي :ادارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي ، الوراق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٨.

تأثير الإعلام الجديد في الشباب المسلم

د. بشرى سعدي/جامعة المولى اسماعيل، المغرب

ملخص:

لا شك أن وفرة وسائل الإعلام وتنوعها وكذا اتساع رقعة شبكات الإرسال جعل العالم اليوم منفتحا على كافة المعلومات الايجابية والسلبية التي لها آثار على مختلف الشرائح العمرية، وتعد فئة الشباب هي أكثر الفئات العمرية المتضررة من هذا الإعلام الجديد لكونهم يمرون بمرحلة حرجة في حياة الأسرة، كما يكتسبون عادات واتجاهات ومبادئ أخلاقية عامة ويتأثر سلوكهم بسلوك الجماعة التي ينتمون إليها ومن ثم يتأثرون بالآثار السلبية للإعلام التي تأثرت بها أسرهم فهم نتاج مجتمعي محض .

لقد أصبح شباب اليوم يعيش عالما خاصا به، له خصائصه ول غته نتيجة الإعلام الجديد، وغدا الشباب اليوم يهرب إلى هذا العالم، ذلك أنه يعاني من تناقض صارخ بين ما تقدمه له الأسرة وما يجده في المؤسسة التعليمية ثم ما يتلقاه عبر وسائل الإعلام . لذلك يخضع لتأثيرات عديدة تمس جوانب متنوعة من حياته . وسنحاول في هاته الدراسة أن نتناول التأثيرات الأسرية والاجتماعية الناتجة عن الإعلام الجديد ، ثم الجوانب الثقافية والمعرفية له لنختتم البحث بالجوانب الأخلاقية والسلوكية .

١- عتبة الدراسة ومشكلاتها:

إن المتفحص لإعلام اليوم سيجد لا محالة أنه تأثر كثيرا بتكنولوجيا الاتصال المتطورة التي غدت ركيزة أساسية في الواقع المعاصر والذي أصبح يمتلك حرية تدفق المعلومات دون ضوابط أو قيود . وظهرت شركات عالمية مختصة في المجال تسعى إلى تنافسية إعلامية تقدم من خلالها خدماتها الإعلامية كسلطة تثير المشاهد، وتجعله في حيرة من أمره أمام ما يقدم له وما يعيشه في مجتمعه. وإذا كان زمننا الحالي هو "زمن الثورة التكنولوجية التي جعلت من العالم قرية تلتقي فيها كل الأجناس، وتتواصل فيها كل الثقافات والتجارب"^١. فلا شك "انه قد تم تكريس منظومة جديدة من القيم المهتدة لسلامة المعايير الأخلاقية المعروفة في ديننا الحنيف حيث تمظهرت الإنسانية والنزعة المادية، والعنف، وغيرها من المعايير التي تشجع الفرد على الاستهلاك والنفعية والفردية. وقد تأثر الإعلام العربي على الخصوص بهاته الهيمنة الإعلامية، حيث ظل في موقف المتلقي المنهز بالآخر وبما يقدمه، وأصبح مقلدا له في برامجه الإعلامية حتى وإن تناقت مع هوياتنا ومعتقداتنا، وتعد فئة الشباب هي أكثر الفئات العمرية المتضررة من هذا الإعلام الجديد لكونهم يمرون بمرحلة حرجة في حياة الأسرة، كما يكتسبون عادات واتجاهات ومبادئ أخلاقية عامة ويتأثر سلوكهم بسلوك الجماعة التي ينتمون إليها ومن ثم يتأثرون بالآثار السلبية للإعلام التي تأثرت بها أسرهم فهم نتاج لظروف مجتمعهم

لقد أصبح شباب اليوم يعيش عالما خاصا به، له خصائصه ولغته نتيجة الإعلام الجديد، وغدا الشباب اليوم يهرب إلى هذا العالم ذلك أنه يعاني من تناقض صارخ بين ما تقدمه له الأسرة وما يجده في المؤسسة التعليمية ثم ما

^١ - محمد نور الدين آفاية: "الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة"، نموذج هابرماس، دار أفريقيا للشرق، ط ٢، ص: ١٨١.

يتلقاه عبر وسائل الإعلام. ولذلك غدت الصورة هي البديل المناسب للكلمة التي تثير شبابنا المسلم والتي يقضي من أجلها أوقاتا طويلا في البحث عنها من خلال قنوات تلفزيونية أو مواقع إلكترونية، وهذا ما أثر على علاقته بأسرته، ودينه ولغته، مما أعطى المجال للإعلام المعاصر في أن يفرض ذاته ويتحكم في تشكيل علاقات إنسانية جديدة على المستوى المحلي والعالمية. وأصبح مصدرا للثقافة خصوصا الإعلام الإلكتروني، لذلك سنحاول في هاته الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

أهداف الدراسة:

- إبراز دور الإسلام الجديد في حياة الشباب المسلم.
 - تأثيرات الإعلام الجديد على فئة الشباب على المستويات التالية:
 - * الجانب الأسري والاجتماعي.
 - * الجانب الفكري والثقافي.
 - * الجانب الأخلاقي والسلوكي.
 - إبراز مدى وعي الشباب بسلبيات الإعلام الجديد.
 - محاولة طرح بعض الاقتراحات لمواجهة التأثيرات السلبية للإعلام الجديد على الشباب المسلم.
- #### مفاهيم الدراسة:

الإعلام: هو اتصال بين مرسل (بات) ومستقبل (متلق) عن طريق وسيلة إعلامية ما، تنقل بواسطتها الرسالة الإعلامية من طرف لآخر، ويمكن تعريف الإعلام بأنه نشر المعلومات بعد جمعها وانتقاءها، وبواسطته يتم الإقناع عن طريق المعلومات والحقائق التي تخدم ميولات المتلقي وتوجهاته، أو أنها توظف لخدمة جهة معينة من خلال تحليله وفق توجهات الجهة الراغبة في فرض هيمنتها على المتلقي وخصوصا فئة الشباب التي تعد فريسة سهلة لوسائل الإعلام. "ويعد الإعلام بصفة عامة منهجا وعملية يقوم على هدف التنوير والتثقيف والإحاطة بالمعلومات الصادقة التي تخاطب عقول الأفراد لترفع من مستواهم وتدفعهم إلى العمل من أجل المصلحة العامة، فالإعلام هو نشر الأخبار والمعلومات والآراء على الجماهير".¹

وتنبغي الإشارة إلى أن الصحافة تشمل جميع وسائل الإعلام لذلك يجب التوضيح أن الصحافة والإعلام شيء واحد. إذ لا تقتصر على المواد المطبوعة بل تجاوزتها إلى جميع وسائل الإعلام المعروفة: "ولذا قالوا أن الصحافة ثلاثة أنواع: مطبوعة، مسموعة ومرئية، فالمطبوعة: هي الصحف والمجلات، والنشرات والدوريات، ونحو ذلك، والمسموعة: هي الإذاعة، والمرئية: هي التلفزيون".² ويمكن أن يضاف الانترنت الذي ضم تلك الأنواع مرة واحدة نتيجة التقدم والتكنولوجيا الذي تعيشه اليوم.

¹ - إبراهيم إمام: "العلاقات العامة والمجتمع"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص: ٢١٦ .

² - حسن إبراهيم مكّي، بركات عبد العزيز محمد: "المدخل إلى علم الاتصال" الكويت، منشورات دار السلاسل، ١٩٩٥، ص: ٣٣.

ولعل أوضح تعريف للإعلام هو الذي ساقه الألماني أوتوجروت وقال فيه : "الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير، وروحها، وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت".^١

أما الشباب فيعرفون بكونهم : " فئة من البشر لهم تكوينهم البيولوجي والسيكولوجي المختلف عن تكوين الشرائح العمرية الأخرى، ولهم أوضاعهم الاجتماعية ومواقفهم المختلفة عن نظائرها عند الشرائح العمرية الأخرى، الأمر الذي يدفع إلى ظهور مجموعة من القيم أو المعايير التي تتوافق مع احتياجات هذه الشريحة، إضافة إلى قدرتها على توجيه سلوكيات الشباب في مختلف مجالات الواقع الاجتماعي".^٢

ومع تطور وسائل الإعلام الجديد وتنوعها، وثورة المعلومات، لم يعد دور الإعلام بسيطاً يتمثل في الإخبار وتوصيل المعرفة أو تحقيق التسلية، لكنه أصبح وسيلة مهمة في بلورة الوعي الجديد وفي تشكيل السلوك البشري بطريقة مقصودة وذلك لفرض ثقافة معينة ومحو ثقافات أخرى تعد ثقافة الهامش، وإذا كانت العولمة قد مست كل القطاعات فأصبحنا نجد عولمة الاقتصاد والاجتماع والسياسة. غير أن عولمة الثقافة بدت تتمظهر للعيان رغم ما قيل عن عدم إمكانية خضوع الثقافة للعولمة كما يؤكد محمد عابد الجابري في قوله : "إن الثقافة لا يمكن أن تقع تحت مقولة العولمة لسبب بسيط هو أنه ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات"^٣ "إلا أن الثقافة الآن وفي ظل الإعلام الجديد قد دخلت في الاقتصاد والمعاملات لتغدو سلعة خاضعة للمنافسة : "إلى أن مجال المنافسة في تسويقها بات ضيقاً للغاية، فأصبح لا يتسع إلا للقوى التي تملك قدرة تقنية عالية وإعلاماً قادراً على أن يصل إلى العالم كله عبر قنوات ووسائل وشبكات اتصالية ومعلوماتية وتقنية متطورة (فضائيات، انترنت، صحف، مجلات، إذاعات، لغة مفرقات...)"^٤

منهجية الدراسة:

لقد توخينا الدراسة الوصفية التحليلية المعتمدة على استمارات استبائية كأداة لجمع البيانات، حيث ركزنا فيها على الفئة العمرية ما بين ١٨ سنة و ٢٦ سنة وقد شملت تلاميذ البكالوريا (الثانوية العامة) للثانوية التقنية بالرشيدية، وكذا طلبة الكلية المتعددة التخصصات وقد شملت مائتي ٢٠٠ (تلميذ وطالب) كما استمرت فترة الدراسة من ١ أبريل ٢٠١٥ إلى ٣٠ ماي ٢٠١٥ حيث تم تقسيم الاستمارات إلى محاور هي:

- تأثير الإعلام في الشباب على المستوى الأسري والاجتماعي.
- تأثير الإعلام في الشباب على المستوى الثقافي والمعرفي.
- تأثير الإعلام في الشباب على المستوى الأخلاقي والسلوكي.

وقد تم استعمال الجداول التالية التي قدمت للمستبيين وهي على الشكل التالي:

٢- تأثير الإسلام الجديد على الشباب المسلم على المستوى الأسري والاجتماعي:

^١ - عبد اللطيف حمزة: "الإعلام له تاريخه ومذاهبه" القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص: ٢٣.

^٢ - علي ليلة: "الثقافة العربية والشباب"، سلسلة شباننا أماننا، القاهرة، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٣هـ، ص ١٩.

^٣ - محمد عابد الجابري: "المسألة الثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤، ص: ٣٩.

^٤ - سالم ساري، خضر زكريا: "مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة وإنتاج مشكلات جديدة"، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤، ص: ١٩٦.

بعد تجميع الاستثمارات تم رصد مجموعة من الإجابات التي بنينا عليها دراستنا ونؤكددها فيما يلي:

- التنشئة الاجتماعية: لقد أصبح ظاهراً للعيان أن الإعلام الجديد غدا منافساً شرساً للأسرة في مجال التنشئة الاجتماعية نظراً لما يمتلكه من خصوصيات حديثة تهم الشباب فهو المرشد حيناً لهم وهو المحرض والهدم أحياناً أخرى، لقد تأخرت الأسرة أمام جبروت الإعلام خصوصاً المرئية منه، فأضحى من المستحيل أن تجد شباب لا يمتلك على الأقل هاتفاً محمولاً أو لوحة الكترونية بالإضافة إلى حاسوب شخصي مما جعله يستبدل العلاقات الحية بالافتراضية إذ يلاحظ الكثيرون: "أن أدوات الاتصال التي تتيح العمل والتبادل من مسافات بعيدة تستبعد في الوقت نفسه الاتصالات الحية والمباشرة بين الناس، وربما هي تستبعد الاتصال مع القريب لكي تستبدل به الاتصال مع البعيد من خلال البريد الإلكتروني ولذا فهي تنشئ روابط جديدة ذات طبيعة سبرنطيقية تحل محل الروابط الطبيعية واللقاءات الحميمة".^١ إن الخطير في الأمر لا يعدو في أن الإعلام يقتصر على دور التوجيه والإرشاد بل أصبح مصدر للإفتاء يفتي فيه كل من هب ودب ويحرف تعاليم الكتاب والسنة، فعده الشباب مصدر ثقة يلجؤون إليه كلما واجهتهم مشكلة ما. إن التراجع الكبير لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية قد أعطى نتائج وخيمة على تربية الأبناء فأصبحوا يتباهون بقيم غربية ويقلدون آخرين بعيدين كل البعد عن الثقافة العربية الإسلامية، فظهرت مظاهر سلبية تغزو المجتمع المسلم حيث أصبح الشباب المسلم يتباهى بطريقة لباسه أو تسريحة شعره، أو حديثه الذي يخالف لغته وهويته وقوميته. ويعتبر ذلك مؤشراً على تحضره وانخراطه في مجال الحداثة التي قعد لها الإعلام بصوره النمطية المعاصرة. لقد أضحى "المصائر متشابكة بعد أن أصبحت حدود الواقع مفتوحة، ولذا فالحدود بين الهويات أمست خدعة ومزيفة".^٢

إن الرسائل الإعلامية الجديدة أصبحت محملة بقيم هدامة بعيدة عن بيئاتنا العربية بالأفلام والمسلسلات والبرامج أصبحت تمتح من الغرب، ومن ثمة تقدم بلغتها الأصل أو تترجم ترجمات رديئة تمس بهيبة لغتنا العربية، حيث تمرر قيماً رديئة تساهم في تفكك الأسرة، وقد أصبحت البرامج المتضمنة للعري والفجوة تمرر على مرأى ومسمع من الجميع دون رقيب أو حسيب، ناهيك عن الشبكة العنكبوتية التي تمنح المعلومة للشباب دون رقابة، فأصبح يدرك الأشياء حتى قبل بلوغه سن معرفتها كما أنها تستهويه بطريقة تمرير تلك الرسائل التي تكون ثارة في شكل كوميدي، أو عن طريق وسائل التسلية والترفيه، كما أنها أضحى تخاطب غرائزه وشهواته أكثر مما تخاطب عقله، لذلك تستهويه لأن كل محظور مرغوب فيه لا محالة. ولا شك أن هذا التراجع الأسري في أداء دوره وإزائه تراجع على المستوى التعليمي للمؤسسة التعليمية التي لم تتكيف مناهجها والحداثة الجديدة. فلا زال التعليم الكلاسيكي يهيمن على أغلب الدول العربية مما جعل السبب يتجه إلى الإعلام الجديد كمصدر للمعلومة السريعة والتي لا توفر داخل المدرسة أو الجامعة.

إن اعتماد الإعلام الجديد على ثقافة الصورة لم يجعله يكتفي بالسعي إلى الانفتاح على الثقافات والاستفادة من الانجازات الفكرية والعلمية والفنية. بل تعداه إلى ترويج الأفكار الهدامة والقيم السلبية التي تجعله يتجاوز قواعد الأخلاق الإنسانية والدينية. مما جعل الشباب يتوقعون على ذواتهم فارين من حضن أسرهم إلى عالم وهمي ضمن لهم استقلالاً وحرية ومعرفة توافق ميولاتهم. إن خطورة الإعلام الجديد تكمن في: "إيجاد ثقافة أو قيم ثقافية في وعي المراهقين

^١ - علي حرب: "حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية"، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط ١، ٢٠٠٠، ص: ١٨٣ بتصرف.

^٢ - علي حرب: "حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية"، مرجع سابق، ص: ١٨٣.

والشباب لا تقوم صلة بينها وبين النظام والبناء الاجتماعي الذي ينتمون إليه، ولم تخرج من رحم التطور الاجتماعي الطبيعي لمجتمعاتهم، مما أدى إلى خلل في البنى الثقافية والاجتماعية مما عرضها للتنبوه والحدائة الرثة...^١

إننا نعيش اليوم عصر هيمنة غربية على كافة الأصعدة، ولعل أبرزها وأكثرها تأثيرها هو المجال الإعلامي الذي يعيش ثورة غير محصورة تحمل بين ثناياها قيما وعادات دخيلة وتروج لهويات بعيدة عن ذاتنا وتستعمل مفردات جديدة تزاخم لغتنا. كما أنها خلخلت الوعي الإسلامي لدى الشباب، ولعل ثقافة الصورة السائدة استطاعت أن تززع ما تم بناؤه لسنوات عديد في تكوين الشباب الذين استطاعوا أن يكتشفوا عوالم جديدة يلتقطونها عبر الأقمار الاصطناعية أو شبكة الانترنت.

إن المغريات الحديثة التي تروج لشبابنا من شأنها أن تهدم ما يتم بناؤه بالمدارس وبالأسر، "لقد احتلت الصورة كل مكان واحتلت منا مكانا أساسيا، أصبح عقلنا التحليلي يتحرك بمقتضاها وبلغ في ذلك حدا غريبا".^٢

إن الخطير في الأمر هو أن المسؤولين على القطاع الإعلامي ببلداننا العربية لا يحركون ساكنا لما يروج داخل قنواتهم ولا ما يقدم عبر الأقمار الاصطناعية، فتمرر البرامج والأفلام دون رقيب أو حسيب لتروج لأفكار هدامة في مجملها تمس فئة الشباب على الخصوص لأنهم رافعة الأمة، وإذا أسقطت الرافعة فلا شك أن المجتمع سيهدف "إن الإعلام ينقسم إلى فكرتين أساسيتين: الإعلام الوسيطة والطرائق، وإلى الإعلام كأفكار ومعاني منبثقة من الحراك الإعلامي أو لنقل إنها أفكار نتاج لعملية صهر الأفكار الإنسانية داخل بوتقة الإعلام".^٣

وانطلاقا من الاستثمارات الموزعة على الطلبة والتلاميذ تبين أن الإعلام قد أثر بطريقة كبيرة على الأسرة كخلية أولى للمجتمع وهي النواة التي يتلقى فيها المرء جملة من القدرات والاستعدادات لكي يستطيع العيش داخل المجتمع.

"إنها الإطار الذي يحدد تصرفات أفرادها ويشكل حياتهم وبيث فهم الوعي بالذات القومي والحضاري، وهي مصدر العادات والتقاليد والقيم والقواعد السلوكية والآداب العامة ويقع عليها العبء الكبير لأهم وظيفة اجتماعية وهي عملية التنشئة الاجتماعية والتي يتحول فيها الفرد في إطارها من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي".^٤

وقد أفرزت الاستبيانات مجموعة من المشاكل الأسرية والاجتماعية التي يتخبط فيها الشباب جراء تأثرهم بالإعلام الجديد نذكر منها:

- التفكك الأسري، تباعد العلاقة بين الوالدين وبين الأبناء، البحث عن صداقات وهمية تكسر الحميمية الأسرية، صعوبة مراقبة الآباء لأبنائهم، إنزواء كل فرد في الأسرة بوسيلته الإعلامية...

^١ - ع. الاله بلقزيز: "عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة؟ العرب والعولمة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص: ٣٠٨.

^٢ - أحمد زايد: "منظرو الإعلام الجدد، بين الإعلام والاتصال والدعاية"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، البيضاء، ٢٠٠٧، ص: ٦٢.

^٣ - أحمد زايد: "منظرو الإعلام الجديد"، مرجع سابق، ص: ٦٣.

^٤ - محمد منصور حسن: "علم الاجتماع التطبيقي"، مركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢، ص: ١٨٠ - ١٨١.

النسبة المئوية العامة	إلى حد ما	لا	نعم	على المستوى الأسري والإجتماعي
98%			x	هل قلل الإعلام من دور والديك في عملية التنشئة الإجتماعية
76%			x	هل صعب الإعلام على والديك توجيهك و مراقبتك
80%			x	هل أدت وسائل الإعلام إلى تباعد العلاقات بين والديك في مناقشة ما يتعلق بأسرتك
70%			x	هل وضع الإعلام مسافة بينك وبين أسرتك
100%			x	هل أصبح لك ولأسرتك عالم خاص ينفرد به كل واحد
95%			x	هل ازداد عدد الساعات التي تقضيها مع الإعلام
98%			x	هل تنشئ صداقات على مواقع الدردشة الاجتماعية
70%			x	هل تستفيد من قضاء وقتك مع إحدى الوسائل الإعلامية
68%			x	هي تعد وسائل الإعلام وسيلة الاتصال بينك وبين أصدقائك و أسرتك
72%			x	هل ظهرت مشاكل جديدة بسبب وسائل الإعلام {حددها في الملاحظات}

3- على المستوى الثقافي والمعرفي:

تؤكد معظم الدراسات على أن للإعلام الجديد تأثير مباشر في تكوين ثقافة الفرد ومعرفته وخاصة الجانب السلبي في حياة الشباب. ولا شك أن الانفتاح الحر الذي سبق ذكره لقنوات وشبكة الانترنت، جعلت فئة الشباب تنقاد وراء هاته الثورة الإعلامية مما افرز سلوكيات معينة أنتجت الاستمارات والاستبيانات المقدمة أهمها : التقليد والاتكالية، انفصام الشخصية ... وغيرها.

لاشك أن التغيرات الطارئة على الإعلام المعاصر كان لها أثرا قويا على الشباب فظهرت مجموعة من الممارسات على المستوى الثقافي والمعرفي، حيث نجد ظهور:

الاتكالية: التي جعلت الشباب خاملا في إطار تنمية معارفه، فلم تعد هناك ثقافة القراءة والجد والتحصيل، وإنما الاتجاه إلى وسائل الإعلام للبحث عن المعرفة دون توجيهه، ولم ينكر الشباب موضوع الاستبيان أخذهم المعرفة خصوصا من الشبكة العنكبوتية دون رقيب وكذا عدم التأكد من صحة المعلومات، بحيث يلجأ إليها في كافة الميادين الأدبية

والعلمية والتقنية والدينية . كما أن أخذهم لتلك المعارف كان على حساب ما يتلقونه داخل مؤسسات هم الثانوية أو الجامعية.

تأثر اللغة العربية: لاشك أن لغتنا العربية قد بدأت تفقد لمعانها مع شباب اليوم والذي صنع خاصة به لا نكاد نفهمها الأسر ذلك أن حب التشبه بالغرب والحديث بلغته كرمز للحضارة هي فكرة صاحبت الشعوب العربية التي لازالت ترزح تحت نير استعمار فلثوي سلمي يغزو البيوت دون سلاح، فلم تعد اللغة العربية تستعمل كما هي، فلا قواعد تحترم، ولا صيغها وكذا مفرداتها التي أقبرت في ظل شيوع مفردات شبابية، هي عبارة عن خليط لغات غربية وعربية ولهجات محلية. غير أن الانكى في ذلك هو تأثير تلك اللغة الجديدة الوافدة علينا في تعليم الشباب، حيث أصبح الشباب يكتبون بلغات الدردشات المعتمدة على الاختصار مما أثر في تحليلات الشباب إنشاءاتهم التي أصبحت يندى لها الجبين . وقد ظهرت كلمات مقترضة جديدة تروج في صفوف الشباب وكاد الاتفاق على لقة محترمة تدعى العرنسية وهي مزيج من العربية والفرنسية والمكتوبة أساسا بالحروف اللاتينية وهذا ما سيؤثر لا محالة على لغتنا الرصينة ويهوى بها في مزالقات خطيرة.

الفضول: إن تواجه المعلومة وكثرتها وتنوعها يجعل الشباب يلج مواقع أو قنوات أكبر من سنة بحيث يدفعه فضول المعرفة إلى اقتحام عوالم غريبة وجديدة . ولاشك أن المواقع الإباحية هي التي تستهوي نسبة مهمة من الشباب خصوصا في السنوات الأولى من المراهقة، بحيث يكون الدافع هو الرغبة في الاطلاع على قضايا الكبار، ولأن التربية الجنسية لازالت ضمن طابوهات العالم العربي فإن شبابنا يبحث عنها في أماكن إعلامية، قد تقدم له بطريقة سلبية مما يؤثر عليه مستقبلا إن على المستوى النفسي أو المستوى الصحي.

التقليد: إن محاولة تقليد كل ما يقدم للشباب عبر وسائل الإعلام دون التأكد من مدى صلاحيته وتلاؤمه مع الشخصية العربية و"لعل فهم قيمة الخبر بشكل جيد يتطلب التوفر على عين مدربة" ^١، لكن هذا ما يفتقده شبابنا اليوم يحث يلجؤون إلى تجريب كل ما يحصلون عليه دون التفكير في نتائجه.

والخطر في الأمر أن شبابنا يقلد أشياء لا تمت بصلة إلى واقعهم سواء على مستوى لباسه أو أكله، فعلى المستوى الأول نجد الشباب اليوم لا يفرق بين الخصوصية الذكورية والخصوصية الأنثوية ، بل لا نكاد نفرق بين لباسهما اقتناعا بأن ذلك يدخل في مجال حرياتهما . أما على مستوى الأكل فقد زاد الاهتمام بالوجبات السريعة وبالأكلات الغربية وتم الابتعاد عن الأكل المحلي بل عدَّ ذلك من باب البلاهة والتخلف مما حطم الحميمية الأسرية التي تحقق عبر الاجتماع على مائدة الطعام وأدى إلى التفرقة . أما على مستويات أخرى فنجد شيوع ثقافات غربية أدت بشبابنا إلى تبني أفكار هدامة، حيث تم استباحة جملة من الأشياء كالصداقة بين الجنسين والتباهي بما يسمى **Boy Freind** أو **Girl Freind** كما انتشرت طرق كثيرة للزواج بين الشباب كالزواج العرفي أو زواج الوشم أو الدم.

^١ - امبرتو إيكو: "دروس في الأخلاق"، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٠، ص: ١١٢.

النسبة المئوية	إلى حد ما	لا	نعم	على المستوى
60%	x			هل يساعدك الإعلام في اكتساب معارف جديدة؟
90%			x	هل ساعدك على اكتساب المعرفة دون توجيه؟
92%			x	هل تقلد المعرفة بناء على التقليد والمحاكاة دون التفكير في تبعاتها؟
70%	x			هل تتعرف على المعلومة قبل السن الضرورية لمعرفتها؟
98%			x	هل تجد تعارضا بين ما تتلقاه في الأسرة وما تتلقاه عبر وسائل الإعلام؟
97%			x	هل تتأثر لغتك العربية بما يقدم إعلاميا؟
60%			x	هل تجد تناقضا فيما يقدم لك في المدرسة وما تتأثر به إعلاميا؟
97%			x	حين تحتاج إلى معلومة أو معرفة هل تتجه مباشرة إلى الانترنت؟
50%			x	هل تتعلم لغات جديدة من الإعلام؟

٤- على المستوى الأخلاقي والسلوكي:

مفهوم السلوك: يعرف السلوك الإنساني بأنه مجمل النشاطات والأفعال التي تصدر عن الفرد سواء كانت ظاهرة أو غير ظاهرة، ويمكن قياس السلوك الإنساني عبر النشاطات الفسيولوجية والحركية التي تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر والوساوس، وهو شيء متغير ويخضع السلوك للتأثر بعوامل البيئة والمحيط الذي نعيش به، ولاشك أن الإعلام له دور كبير في التأثير على سلوك الإنسان وخصوصا فئة الشباب ولا شك أن للسلوك أبعاد عديدة نجلها فيما يلي:

البعد المكاني: وهو السلوك الذي يحدث في مكان معين: البيت، الفصل، المجتمع.

البعد الزمني: إن السلوك يستغرق فترة قصيرة أو طويلة، طفولة، مراهقة ماضي، حاضر...

البعد البشري: أن السلوك الإنساني سلوك بشري صادر عن قوة عاقلة فاعلة.

البعد الاجتماعي: أن السلوك الإنساني خاضع لمؤثرات اجتماعية كالعادات والتقاليد الممارسة في المجتمع ويعد هذا الأخير ضابط السلوك البشري إذ يقسم السلوكات التي لائقة ومنافية كما "يحكم على أنه مناسب أو غير مناسب شاذ، فالسلوكات قد تكون مقبولة في مجتمع ومرفوضة في مجتمع آخر".^١

البعد الأخلاقي: وهو بعد ممارس من طرف المرين والمصلحين والوعاظ الذين يعملون على تعديل السلوك الذي يرون فيه اعوجاجا.

^١ - سهام درويش أبو عيطة: "مبادئ الإرشاد النفسي"، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٧، ص: ٣٨.

ولاشك أن السلوكيات الناتجة عن الإعلام الجديد لها تأثير كبير على الشباب مما أدى إلى بروز ظواهر عديدة عادية أحيانا وغريبة أحيين أخرى مثل : التدخين، تعاطي الكحول، ضعف التحصيل الدراسي نتيجة الإدمان على مشاهدة برامج وأفلام تروج للظاهرتين الأوليتين ثم تسبب في الظاهرة الثالثة نتيجة إهمال الدروس والواجبات والإدمان على الإعلام. ولا يتأتى تعديل السلوك إلا من خلال التعزيز والنمذجة ولاشك أن الشباب أحيانا لا تقع عليهم اللائمة لأن السلوكات البشرية المقدمة لهم هي المساهمة في فساد أخلاقهم، وتعلمهم لها يتم عبر المحاكاة والتقليد

مفهوم الأخلاق: الخلق في لغة العرب هو الطبع والسجية ويعنى به أيضا المروءة والدين، قال الفيروز أبادي :
"الخلق: بالضم، وبضممتين: السجية والطبع والمروءة والدين"^١.

وقال ابن منظور: "الخلقُ: الخليقة، أعني الطبيعة، وفي التنزيل و"إنك لعلى خلق عظيم" القلم: ٤، والجمع أخلاق لا يكسر على ذلك: والخلقُ يقال خالِصِ المؤمنِ وخَالِقِ الفاجرِ: وفي الحديث (ليس في الميزان أثقل من حسن الخلق).
والخلقُ: بضم اللام وسكونها، هو الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانها المختصة بها.^٢

واصطلاحا هي هيئة ثابتة في الإنسان، حتى تصبح عادة لصاحبها، فالكريم هو من كان سخيا طول حياته وليس لمرة أو مرتين، والشجاع هو من عوهد عليه ذلك طيلة حياته.

وهناك مجموعة من السلوكيات التي ظهرت جراء تأثر الشباب بالإعلام نجملها فيما يلي:

الإدمان: لا شك أن أنواع الإيماني كثيرة فهناك من أدمن السجائر وآخر أدمن الكحوليات بانواعها، وهناك من أدمن المخدرات، وكل ذلك اعتقادا منهم أنه هروب من المشاكل كما يقدم في الأفلام، مما يؤثر على عقول الشباب ويؤثر على مستقبل الأمة الإسلامية ومما يفرز أيضا قيما متدنية وظهور مفاسد اجتماعية، كزنا المحارم، الاغتصاب والتحرش...

انتشار الأنانية: لاشك أن الإعلام الجديد يساهم بشكل كبير في شيوع الأنانية ويزكّمها مما يجعل شباب اليوم يفكر في نفسه ويبحث عن الحلول لنفسه متناسيا الآخرين ومهملا خصائص عديدة وصفات حميدة نص عليها الشرع كالترحم، والايثار والتعاون والتكافل. ولهذا ارتفع صوت المصلحة الفردية وساد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ومن ثم ارتفعت نسبة الجرائم الأخلاقية والانحراف وانتشار مجموعة من الأنماط الإجرامية كالعنف والجرائم الجنسية.^٣ ولاشك أن هاته الصفات فد يتحلّى بها المنحدرون من فئات اجتماعية ميسورة وكذا فئات اجتماعية معوزة.

انتشار ثقافة الاستهلاك : وتتحلّى بهاته الصفة الفئات الميسورة التي تظل مهووسة بكل ما هو جديد، بحيث يجدها الإعلام فريسة سهلة لإغراء. ويظل الشباب مهووسا بشراء كل ما يروج وما يقدم له . بحيث نجده متلهفا على آخر صيحات الموضة في اللباس والسيارات والأجهزة الذكية، ذلك أن الأسر تساعد في تفاقم هاته الأزمة بتوفير المال الذين يحتاجون إليه دون الانتباه إلى خطورة الظاهرة . مما يجعل هؤلاء الشباب غير مجرد مستهلكين بعيدين كل البعد عن

^١ - الفيروز أبادي: "القاموس المحيط"، دار الفكر، بيروت، ص: ٧٩٣.

^٢ - ابن منظور: "لسان العرب"، دار صادر، بيروت (١٠، ٨٦، ٨٧).

^٣ - محمد سعيد فرح: " خصوصية الأسرة أمام العولمة، الندوة السنوية التاسعة لقسم علم الاجتماع، الأسرة المصرية وتحدي العولمة "، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص: ٢١ - ٢٢.

الإنتاج. كما يؤثر سلبا على تنمية المجتمعات مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الم ديونية لدى العديد من الدول العربية ويعتبر المغرب نموذجا لها.

التطرف والعنف: لاشك أن هاته الخصلة تبقى من نصيب الفئة المتوسطة أو المعوزة من الشباب التي لا تملك مالا ولا جاها ومن ثمة تبحث عن عالم طوباوي يأخذها إلى تحقيق أحلامها . فوجدت الموعظة الدينية والدعوة إلى الفوز بالجنة طريقا لها مما جعلها فريسة سائغة أمام الجماعات الإرهابية الجديدة . ولاشك أن انتماء العديد من أبناء بلداننا العربية إلى ما يسمى بتيار داعش لخير دليل على ذلك، حيث تغسل أدمغة الشباب ويوعدون بمستقبل جميل بدل الرديء الذي يعيشونه فيقررون الانتقام من الميسورين (أو الفجار بتعبيرهم) سواء في بلدانهم أو بلدان أخرى وينساقون وراء خلافة وهمية، لتنفيذ هجمات إرهابية.

ويتمظهر العنف أيضا على مستوى المدارس والكليات، حيث لم يعد للحوار مكان بل حلت محله الطائفية والحزبية الضيقة بين صفوف الطلبة في الجامعات وحلت الهراوات والأسلحة البيضاء بدل الكلمة لشد انتباه المعارضين وفرض الرأي على الآخر.

إن وسائل الإعلام بكافة تنويعاتها "تشكل أدوات حاسمة في التغيير والتأثير جماهريا سليا وإيجابا " . ولعل فئة الشباب هي الفئة المستهدفة لأنها عماد الأمة ومستقبلها، ومن ثمة يتعاطف الشباب مع قضية ما كالقضية الفلسطينية أو السورية ويحرض على الجهاد في العراق، فلا تمضي أيام إلا ونجد أبناءنا في برائن منظمات إرهابية تسوقهم إلى التضحية بأنفسهم وأرواحهم في سبيل عالم طوباوي لا يوجد إلا في مخيلتهم.

الشعور بالاغتراب: إن جلوس الشباب لساعات طويلة أمام أية وسيلة إعلامية، من شأنه أن يشعره بالاغتراب مما يؤدي إلى الإهمال في الواجبات الدراسية والأسرية، ويظل الشباب متعلقا إلى التلفاز أو الحاسوب أو الهاتف دون ملل أو كلل ولعل الاستبيانات قد أثبتت أن أقل وقت يقضيه الشباب مع الوسيلة الإعلامية لا يقل عن ساعتين وقد يصل إلى عشر أو اثنا عشر ساعة في اليوم . إن ما يقدم اليوم في الإعلام قد أفقد الشباب الرهبة من العنف والتعود عليه وعلى مشاهده من خلال مشاهد التقتيل والدم المألوفة، مما أثر على درجة إحساسهم وتفاعلهم مع الحالات الإنسانية وربما قد أخفى الإحساس بالشفقة اتجاه الآخر.

الانفصام: هو الانفصام الذهني ويعد أحد الأمراض العقلية ويتميز بمجموعة من التظاهرات كالهلوسة والاضطراب في التفكير ولعل التناقض الذي يعيشه الشباب في مجتمعاتنا المغربية كثيرا ما يؤدي به إلى الانفصام، بفعل ما يجده في المؤسسة التعليمية وما يربى عليه في البيت، وما يقدم له في الإعلام، ومن ثمة نجد الانفصام قد يتمظهر على مستويات عديدة.

- على المستوى السلوكي: العدا، الكلام النابي...

- على المستوى الوجداني: الانصياع للآخرين الانضمام إلى مجموعات إرهابية كما سبق الذكر.

- على مستوى التفكير والإدراك: يظهر الشاب نفسه بمظهر الضحية في حين هو سبب المشاكل في الفصل أو البيت، كما نجده يضع اللوم على المسؤولين والمربين والوالدين تملصا من المسؤولية.

- إنها نماذج من السلوكات التي يقوم بها الشباب المسلم متأثرا بإعلام غربي أو محلي وبعمولة متسلطة.

¹ - صاحب حسين: "الإعلام والإعلام المضاد"، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٨٧، ص: ١٧.

النسبة المئوية	إلى حد ما	لا	نعم	على المستوى الأخلاقي و السلوكي
78%			x	هل تشعر بالسعادة حين تنزوي بهاتفك أو بحاسوبك؟
82%			x	هل اكتسبت سلوكيات جديدة من وسائل الإعلام؟
60%	x			هل تربي فيك وسائل الإعلام ثقافة الاستهلاك؟
70%	x			هل تقوم بشراء كل جديد مروج من طرف وسائل الإعلام؟
60%			x	هل أصبحت القوة و العنف ضروريين في حياتنا اليومية؟
98%			x	هل يعود انتشار العنف بالمدارس والجامعات إلى ما يروج إعلاميا؟
78%			x	هل يؤثر فيك الإشهار و الأفلام؟
60%			x	تؤكد الأفلام المعاصرة أن الحق يؤخذ بالقوة؟
99%			x	رؤية الانفجارات و التنكيل و التنكيل أصبح معتادا في العالم المعاصر؟

خاتمة:

في الأخير نقترح بعض الحلول لتجاوز الظاهرة نجعلها فيما يلي:

- لاشك أن مجتمعاتنا تحتاج إلى نقطة أساسية من خلالها يمكن أن نتجاوز كل مشاكلها ألا وهي العودة إلى الدين وترسيخ ثقافة التسامح والمواطنة والتشبث بالهوية ومناهضة العنف، فإذا تم غرس هاته المبادئ في الطفل لاشك أننا سنتمكن من حصانة فعلية حينما يصبح شابا، ومن ثمة لن يتأثر بوسائل الإعلام كيفما كان نوع عرضها.
- كما تجدر الإشارة إلى أنه ينبغي الاستفادة من التسارع التكنولوجي بأن يقارب الخبراء في المجال الإعلامي ويبرزون سلبياته للشباب حتى تكون تلك الوسائل منبعا للاستفادة لا للتضليل.
- التأكيد على دور الأسرة وتكاملها مع المدرسة والمؤسسة الدينية للأخذ بيد الشباب إلى بر الأمان، وكذا العمل على إبراز مهاراتهم وتنمية مواهبهم على تقبل الذات أولا ثم الآخر ثانيا.
- علينا أن نؤمن إيمانا قاطعا أننا اليوم نعيش إعلاما موحدا اختزل المسافات والأزمات وألغى الجغرافيا ساعيا إلى إلغاء الحدود الثقافية وهذا ما لا يجب أن يقبل البتة لأن الله تعالى خلقنا مختلفين وقوتنا في اختلافنا، لذلك على العالم العربي أن يجد موقعا له في هذا النظام، لا أن يبقى في دور المستهلك فقط.

- ينبغي إعداد سياسات حكومية في الدول العربية في القطاع الإعلامي، تركز فيها اللغة العربية والهوية الإسلامية ثم الهوية المحلية. وهذا يحتاج إلى إصلاح جذري لما يقدم على قنواتنا، ثم طرح برامج وطنية تعالج خصوصيات محلية وتقدم تطلعات عربية لأن سبب العجز العربي هو أنه يعيش أوضاعاً ليست له ويشاهد برامج صنعت لغيره.
- ضرورة مقاومة الغزو الثقافي العالمي، لكن ليس في منظوره التقليدي والانطواء على الذات العربية وإنما إخضاعه للنقد البناء وتبيان عيوبه للشباب من أجل الفصل بين الذات العربية ومقوماتها وبين الآخر وخصوصياته متبنين سياسة الحوار والعقلانية.

قائمة المراجع:

- ١- امبرتو إيكو: "دروس في الأخلاق"، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠١٠.
- ٢- إبراهيم إمام: "العلاقات العامة والمجتمع" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١.
- ٣- ابن منظور: "لسان العرب"، دار صادر، بيروت.
- ٤- أحمد زايد: "منظرو الإعلام الجدد، بين الإعلام والاتصال والدعاية"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، البيضاء، ٢٠٠٧.
- ٥- الفيروز أبادي: "القاموس المحيط"، دار الفكر، بيروت.
- ٦- حسن إبراهيم مكي، بركات عبد العزيز محمد: "المدخل إلى علم الاتصال" الكويت، منشورات دار السلاسل، ١٩٩٥.
- ٧- سالم ساري، خضر زكريا: "مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة وإنتاج مشكلات جديدة"، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤.
- ٨- سهام درويش أبو عيطة: "مبادئ الإرشاد النفسي"، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٧.
- ٩- صاحب حسين: "الإعلام والإعلام المضاد"، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٨٧.
- ١٠- ع. الاله بلقزيز: "عولمة الثقافة أو ثقافة العولمة؟ العرب والعولمة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
- ١١- عبد اللطيف حمزة: "الإعلام له تاريخه ومذاهبه" القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
- ١٢- علي ليلة: "الثقافة العربية والشباب"، سلسلة شبابنا أمالنا، القاهرة، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٣هـ.
- ١٣- محمد سعيد فرح: "خصوصية الأسرة أمام العولمة، الندوة السنوية التاسعة لقسم علم الاجتماع، الأسرة المصرية وتحدي العولمة"، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ١٤- محمد عابد الجابري: "المسألة الثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤.
- ١٥- محمد منصور حسن: "علم الاجتماع التطبيقي"، مركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ١٦- محمد نور الدين آفاية: "الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة"، نموذج هابرماس، دار أفريقيا للشرق، ط ٢.

دور التكوين في تحسين أداء المنظمة

أ.حورية زقندري/جامعة لونيبي علي، البليدة ٢، الجزائر

ملخص :

تعتبر عملية تكوين الموارد البشرية من المهام ذات الأهمية البالغة في المؤسسة، وهو وسيلة للنمو باعتبار أن كفاءة اليد العاملة هي البعد الوحيد للإنتاج، فبفضل المعرفة وحسن الأداء يمكن الوصول إلى أقصى درجة من النجاح كما يعتبر أحسن وسيلة للتأقلم مع التغيير، فبمجرد إدخال تكنولوجيا وتقنية جديدة لابد من إعادة النظر في مؤهلات المستخدمين ولا يكون ذلك إلا عن طريق التكوين، الذي يكون أقل تكلفة من اللجوء إلى التوظيف

و سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على مجموعة من التساؤلات حول أهمية التكوين و دوره في رفع أداء المؤسسة.و ذلك من خلال التساؤلات التالية :

س١ : ما هي مبادئ وأهداف التكوين ؟

س٢: ما هي أهم الطرق المتبعة في العملية التكوينية وأبرز مهامها ؟

س٣: كيف يتم التخطيط الاستراتيجي للعملية التكوينية ؟

الكلمات المفتاحية : التكوين ، الأداء ، البيئة الداخلية والخارجية.

مقدمة :

تعد وظيفة التكوين في المؤسسات من أهم مقومات التنمية البشرية التي تعتمد عليها هذه الأخيرة في مواجهة التحديات والضغوطات، و التي ترتبط مباشرة بالفرد كونه المحرك الأساسي في المؤسسة، حيث تدل كافة المؤشرات إلى تزايد الاهتمام بوظيفة التكوين لارتباطها بمستوى أداء الفرد للوظيفة التي يشغلها و من أهم المشاكل التي تعاني منها المؤسسات اليوم هو مشكل تكوين الموارد البشرية الذي يعتبر وظيفة مهمة تمكن المؤسسة من مساندة المتطلبات الداخلية والأفاق المستقبلية ، باعتباره وسيلة فعالة يتمكن من خلالها الفرد من تأدية مهامه بالمستوى المطلوب وفقا لما تحدده المؤسسة من أهداف.

تعريف التكوين:

يعرف التكوين على أنه " عملية تعلم سلسلة من السلوك المبرمج أو متابعة مجموعة من التصرفات المحددة مسبقاً"^(١).

كما يعرف على أنه "عملية شاملة ومعقدة تتناول جميع التدابير اللازمة لإيصال الفرد إلى وضع يخوله بالإطلاع بوظيفة معينة وإنجاز المهام التي تتطلبها وجعله قادرا على متابعة عمله"^(٢).

(١) محمد عبد الفتاح الصيرفي، "الإدارة الرائدة"، مصر، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص. ٢-٣.

يعرّف التكوين أيضا " هو نشاط مخطط يهدف إلى تزويد الفرد بمجموعة من المعلومات والمهارات التي تؤدي الى زيادة معادلات الفرد في أداء عمله."^١

- كما يعرف على انه " عملية تتضمن اكتساب مهارات ومفاهيم وقواعد واتجاهات لزيادة تحسين أداء الفرد."^٢

التعريف الإجرائي: ويقصد بالتكوين إعداد العامل وتدريبه على مهنة معينة بقصد رفع مستوى أدائه، وتوفير كل العوامل الأساسية التي تساعد على الرفع من روحه المعنوية عن طريق الحوافز مثل المكافآت و الترقية و تحسين ظروف العمل
أولا: مبادئ عملية التكوين:

تتمثل المبادئ التي يجب اتخاذها بعين الاعتبار في العملية التكوينية فيما يلي:

- ضرورة خلق الدافع لدى المتكوّن، فكلما كان الدافع قويًا كلما ساعد ذلك على سرعة التعلم واكتساب المعارف والمهارات الجديدة، ويعني هذا ربط التكوين بهدف يرغب فيه المتكّوين.

- متابعة تقدم المتكّون لأن كثرة المعلومات لا تكفي في حدّ ذاتها لاكتساب المهارة، وإنما الفهم لما تعنيه هذه المعلومات واستيعابها، فقد يجد المتكّون صعوبة في استيعاب المهارة الجديدة بدون تعلم كيفية تطبيقها، وهذه مهمة المتكّون في متابعة درجة تقدّم المتكّون والتحقق من الاستيعاب النظري والعملي لمحتويات برامج التكوين.

- ربط التكوين ببرامج للتقييم بعد تعلم المهارات من خلال التكوين، لابد من ربط النتيجة أو الأثر الناتج بنظام الثواب أو العقاب، من الدعامات الإيجابية وجود فرص للترقية وزيادة الأجر، لذلك يجب على الإدارة التحقق من أن المكافأة هي مقابل انجاز الفرد المتكّون مع وجود نوع من التناسق بين برنامج التكوين واحتياجات الأقسام التشغيلية، ووفقا لمتطلبات وظائف العمال، إذا كان السلوك لا يتماشى مع السلوك التنظيمي فلا بد أن يتبع لذلك إجراء نقابي يستخدم نظام العقوبات وماهي إلا لتقوية وتدعيم والحفاظ على السلوك التنظيمي بحيث تقع على الفرد الذي يخالف هذا السلوك والانضباط التنظيمي.^٣

- ضرورة الممارسة العملية للتكوين، لكي نكتسب المهارة والمعرفة لا بد من مشاركة المتكّون وإعطائه الفرصة والوقت المناسب للتعلم، من توفير الأدوات والوسائل التكوينية، وأن يعرف المتكّون المغزى منها.

- ارتباط التكوين بالتكنولوجيا الحديثة، لمسايرة التطور والتغير يجب ربط سياسة التكوين بتكنولوجيا الأساليب العلمية لما يخدم طبيعة المؤسسات و الظروف البيئية المحيطة بها، مما يحقق في النهاية تقدم المؤسسة والوصول إلى تكوين متطور يحقق أهداف التنمية الإدارية. فالمؤسسة عبارة عن نظام جزئي يتأثر بالنظام الكلي للمجتمع ومختلف التطورات التي تحدث فيه، ل ذا يجب عند اعداد مخطط تكويني مراعاة الظروف والمتغيرات المحيطة بالمؤسسة، حتى تستطيع المؤسسة مسايرة التحولات والمستجدات الخارجية.^٤

أهداف التكوين:

(٢) حسن حلي، "تدريب الموظف"، لبنان، منشورات كويدات، ط٢، ١٩٨٢، ص٢٥.

١- صلاح الدين، عبد الباقي، "إدارة الموارد البشرية"، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر، ٢٠٠٠، ص٢٦٢.

٢- رواية محمد حسن، "إدارة الموارد البشرية"، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩، ص١٦٧.

٣- حنفي عبد الغفار: "السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد"، القاهرة، دار الجامعة المغربية. ١٩٩١، ص٢٦٠.

٤- عيساوي عبدالرحمان محمد: "علم النفس الإنتاج"، القاهرة، دار المعرفة الجامعية. ٢٠٠٣، ص٦٥.

يحقق تكوين الأيدي العاملة مجموعة من الأهداف أهمها:

- ضمان أداء العمل بفعالية وسرعة واقتصاد وسد الثغرات التي توجد بين معايير الأداء التي يحددها الرؤساء وبين الأداء الفعلي للأفراد.
 - ترغيب الفرد في عمله باعتبار زيادة إنتاجه مرهون برغبته في أداء العمل.
 - توفير الدافع الذاتي لدى الفرد لزيادة كفاءته وتحسين أدائه، من خلال توعيته بأهداف المنظمة وسياساتها، وبأهمية عمله ومدى مساهمته في تحقيق تلك الأهداف.
 - رفع كفاءة أداء للعامل، عن طريق إتاحة الفرصة أمامه، لكي يقف على كل ما هو جديد في مجال التطور التكنولوجي والعلمي، وما يترتب عليه من تطور في فنون وأساليب العمل^١.
 - الارتقاء بمستوى جودة الأداء لجعل الأفراد أقل تعرضا للخطأ عند أداء هذه المهام، أو جعل المدير أكثر قدرة على استغلال مهارات مرؤوسيه المتعددة لمصالح المنظمة.
 - الارتقاء بمستوى الأمان الوظيفي، حتى تكون أقل عرضة لإصابات وضغوط العمل، من خلال تطوير القدرات الفنية والسلوكية والعقلية للأفراد، سواء الأفراد الجدد والذين يحتاجون للتكوين على كيفية أداء وظائفهم بكفاءة أو التنمية لرفع مستوى أداء الأفراد القدامى أو ذوي الخبرة^٢.
 - تحسين العلاقات الإنسانية، والتقليص من درجة التوتر والاستقرار الوظيفي داخل التنظيم.
 - إحداث توازن بين طموحات الأفراد والاحتياجات المحددة من طرف المنظمة^٣.
 - رفع الروح المعنوية للأيدي العاملة، نتيجة إلمامهم بأبعاد العمل ومهاراتهم في أدائه واهتمامهم به.
 - إن تلقي الفرد لمهارات ومعلومات أكبر عن العمل خلال مرحلة التكوين يعطيه إحساس داخلي بالأمن والأهمية.
 - فضلا عن أن في ذلك قيمة سيكولوجية في حد ذاتها، تساهم في زيادة اهتمامه بالعمل وتقلل من معدل دوران العمل ومن نسبة التغيب، وإذا ساهمت هذه المهارات والمعلومات في زيادة كفاءته وجودة أدائه، فإنها ستعطي للفرد فرصة لتحسين مستواه المادي والفني.
- أ- بالنسبة للفرد:

الموظف الجديد يمكن له من خلال التكوين التزود بمهارات و معارف قد لا يكون يملكها أصلا، تمكنه من أداء واجبات عمله بالكفاءة المطلوبة، كما ينعكس التكوين بنتائج إيجابية بالنسبة للفرد العامل (القديم)، حيث يتمكن من خلال التكوين من مواكبة التطورات في حقل الشغل والتعرف على المهارات والمعارف الجديدة

^١ - سلطان محمد سعيد: "إدارة الموارد البشرية"، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٣، ص ١٩٠.

^٢ - محمود أبوبكر مصطفى: "إدارة الموارد البشرية" مدخل تحقيق الميزة التنافسية"، القاهرة، الدار الجامعية، ٢٠٠٤، ص ٣٦٠.

^٣ - Sekiou (L) et autres : **Gestion de ressources humaines**. Les éditeurs. 4 L.I.N.C, Montréal (Canada), 1993, P.293.

- كما يعمل على تحسي ن وتطوير سلوكيات تتناسب مع طبيعة الأعمال التي يؤديها والعلاقات التي تتطلبها هذه الأعمال، كما أن التكوين والتطوير يزيد من التزام الأفراد وولائهم للمنظمة، ويعزز من ادراكهم بأن المنظمة مكان جيد للعمل^١.

- كما يفيد التكوين في تنميط العادات والقيم، التي يمكن أن تشكل الأبعاد الأساسية لثقافة المنظمة (المؤسسة)، وعن طريق التنميط يمكن أن تتحقق الملائمة بين الفرد وعمله، الفرد ومجموعته، الفرد والمنظمة.
ب- بالنسبة للمؤسسة:

بالنسبة للمؤسسة، فإن أهم مهام التكوين، تتمثل بإزالة او معالجة نقاط ضعف الأداء، سواء كان ذلك للأداء الحالي أو الأداء المستقبلي، فعن طريق معالجة نقاط ضعف الأداء يمكن أن يتحسن الأداء، مما ينعكس بنتائج إيجابية على مستوى المؤسسة، ويساهم في تطورها واستمرارها^٢.

أضف إلى هذا، يساعد التكوين في تجديد وإثراء المعلومات، الأكثر تلاؤماً مع المعطيات الحديثة.

- يساعد التكوين في خلق اتجاهات إيجابية داخلية وخارجية نحو المنظمة.

- يساعد في ربط أهداف الأفراد بأهداف المنظمة.

- يساعد في انفتاح المنظمة على المجتمع الخارجي.

- يساعد في تطوير أساليب القيادة وترشيد القرارات الإدارية.

- يساعد في فعالية الاتصالات والاستشارات الداخلية^٣.

ج- بالنسبة لتطوير العلاقات الإنسانية:

يعمل التكوين على تقوية العلاقات الإنسانية بين العاملين ويطور اتجاهاتهم وذلك من خلال:

- امتداداهم في البداية بكل المعلومات التي تتعلق بأهداف المؤسسة وسياستها ومراحل تنفيذ العمل

- تسهيل وسائل الاتصال سواء كان من أعلى إلى أسفل أو من أسفل على أعلى (الهابط أو الصاعد) بطريقة تحافظ على أهداف وسياسات وأعمال المؤسسة^٤.

أضف إلى ذلك يعمل التكوين على تطوير أساليب التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ويساهم في تنمية وتطوير عملية التوجيه الذاتي لخدمة المنظمة^٥.

^١ - الهيبي مطر خالد عبدالرحيم: "إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي"، عمان، دار حامد للنشر، ٢٠٠٠، ص ٢٠٣.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٠٤.

^٣ - شحادة نظمي وآخرون: "إدارة الموارد البشرية"، عمان، دار الصف للنشر، ٢٠٠٠، ص ٥٢.

^٤ - غربي علي وآخرون: "تنمية الموارد البشرية"، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ص ١١١.

^٥ - شحادة نظمي وآخرون، المرجع السابق، ص ٥٣.

ولهذا المسعى أصبح التكوين وسيلة هامة، تسمح بشكل عام بتقييم الموارد البشرية ويكون الانطلاق الخاص والضروري بالاحتكاك والتفاعل مع مستوى التأهيل، التكوين يعتبر استثمارا هاما بالسنة للإدارة، بوضع شروط أفضل للاندماج في جميع المستويات.

إن تنمية الموارد البشرية تمثل أحد أهم العمليات وأك ثرها إلحاحا، باعتبارها العملية الضرورية لتحريك الفرد وتنمية القدرات والكفاءات البشرية في جوانبها العلمية والعملية ولتقنية والسلوكية، فهي وسيلة تعليمية تمد الإنسان بمعارف أو معلومات أو مبادئ تزيد من طاقته في العمل.

ثانيا: طرق التكوين :

يمكن إبراز طرق التكوين حسب موقع ومكان العمل وهي:

٠١: طرق التكوين في مكان العمل:

أ- التكوين عن طريق الرئيس المباشر:

تلقي هذه الطريقة عبء التكوين على عاتق الرئيس المباشر- المشرف-، باعتبار أن الرئيس المباشر مسؤول على رفع الكفاءة الإنتاجية في الوحدة التي يشرف عليها ومن ثم تكون علاقته بمرؤوسيه علاقة تكوينية.

- وبموجب هذه الطريقة يتم تكوين الفرد في نفس مكان العمل وفي ظروفه الواقعية، وخلال وقت العمل الرسمي، تحت إشراف رؤسائه المباشرين الذي يوجهونه ويصححون له أخطائه، فهذه الطريقة تسمح للفرد بالتعلم من خلال أدائه الفعلي للعمل.

ب- التكوين عن طريق عامل قديم:

لا تختلف هذه الطريقة في التكوين عن الطرق السابقة، فقد يتولى التكوين أحد العاملين القدامى، ممن لهم خبرة طويلة في العمل ولديهم معلومات فنية كبيرة إلى جانب توفر القدرة لديهم كمعلمين، يقدمون المعرفة للمتكونين من خلال الوصف والإيضاح والشرح والتطبيق وإكساب الخبرة.

ج- التكوين تحت توجيه وملاحظة المشرف:

يحدد المشرف دورا إيجابيا منظما في تكوين مرؤوسيه على أداء أعمالهم ويشار إلى هذا التكوين إلى أن طريقة تحت التوجيه المنظم والملاحظة المستمرة من قبل المشرف المكوّن^١.

٠٢: طرق التكوين خارج العمل:

أ- أسلوب المحاضرة: فهو يعتبر عملية تعلم وأخبار أو بمعنى آخر هو عبارة عن حديث مكتوب أو غير مكتوب يقدمه فرد لمجموعة ما، وقد يكون هذا الحديث نقاش وحوار، ويعتمد نجاح مثل هذا الأسلوب على المحاضر نفسه، وعلى مقدار براعته وقدرته على تنظيم أفكاره وآرائه وعرضها على مستمعيه^٢.

^١ - سلطان محمد سعيد، مرجع سابق، ص ١٩٧.

^٢ - شاويش مصطفى نجيب: "إدارة الموارد البشرية (إدارة الأفراد)"، عمان، دار الشروق، ١٩٩٦، ص ١٤١.

ب- أسلوب الندوات والمؤتمرات: تعتمد هذه الطريقة على تجزئة موضوع التكوين إلى مواضيع فرعية ويعطي للمشاركين وقتا كافيا للإعداد والتحضير من أجل مناقشة موجهة لموضوعات محددة، تحت قيادة أحد الأفراد تختاره المجموعة، أو عن طريق مناقشة جماعية.

ج- طريقة تمثيل الأدوار:

يقوم مسؤول التكوين بعرض المشكلة والخلفية العلمية لها ومبادئها ثم يعطي المسؤول مثالا عمليا، على ان يقوموا هم بتنفيذه ، وهذه الطريقة ما هي إلا محاولة لتقليد الواقع ويرتكز هذا النوع في حالات مثل : التكوين على البيع والتسويق، التكوين على إدارة المقابلات الشخصية...الخ¹.

د- طريقة التطبيقات العملية:

بموجب هذه العملية يقوم المكون بأداء عمل معين بطريقة عملية سليمة أمام المكونين، موضحا لهم طريقة وإجراءات الأداء والعمليات وتصلح هذه الطريقة خاصة في الأعمال اليدوية والحرفية.²

هـ- طريقة مناقشة حالات:

الحالة هي وصف لموقف عمل معين، تكتب على شكل مذكرة لفكرة معينة أو قضية ويطلب من المتكوّن حل هذه القضية وإعطاء الحلول لها، بعد تحديد المشكل المطروح . إذ يساعد هذه الأسلوب المتكون على اكتساب مهارات في تشخيص وتحليل المشاكل المعقدة والمتباينة، والتي لا يمكن ان تتوفر تعليما ت وافية لكل الاحتمالات حول هذا الموقف، مما يتطلب الاجتهاد في اتخاذ القرارات لمعالجتها. كما نجد غالبا ما يحمل التكوين في هذه الطريقة مناقشة حالة او حالات ففي هذه الحالة جد مفيدة لاكتساب مهارات التحليل واتخاذ القرار، خاصة في الوظائف الإدارية والعلاقات العامة.

و- طريقة التكوين الفردي أو الجماعي:

ونعني بالتكوين الفردي تكوين كل فرد على حدا، ويتم هذا عن طريق التكوين أثناء العمل

أما التكوين الجماعي يقصد به تكوين أكثر من فرد واحد، قد يتم في مراكز التكوين داخل المؤسسة، أو خارج المؤسسة (مراكز متخصصة).³

ص- تكوين الحساسية:

تهدف هذه الطريقة إلى تنمية روح الاعتماد على الذات والتبصر بالمشاكل الذاتية داخل الجماعة، وتبدأ بتكوين جماعة التكوين من ١٠ إلى ٢٠ فرد. على أن لا يكون هناك قائد محدد، ولا مشكلة محدّدة بصورة سالفة، والتوجيه الوحيد لهذه الجماعات هو محاول دراسة سلوك الأفراد والجماعة ومشاعرهم ومشاكلهم، ويؤدي تكوين الحساسية إلى التقارب بين أفراد الجماعة وفهم مشاكلهم والطرق البديلة للحل ومحاولة توفيق هذه الحلول لطبيعة الجماعة أو تغيير طبيعة سلوك الجماعة.⁴

¹ - ساعاتي أمين، مرجع سابق، ص ١٩٧.

² - عبد الباقي صلاح الدين، مرجع سابق، ص ١٨١.

³ - نفس المرجع، ص ٢٧٩.

⁴ - ماهر احمد: إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

م- طريقة التنقل بين الوظائف:

يعني نقل الفرد المراد تنميته من وظيفة ذات مهام وشروط أداء معينة إلى وظيفة أخرى لها مهام شروط أداء مختلفة، إذ أن ممارسة الفرد المتكون لمهام واعمال وظيفية خلال فترة قد تمتد بين ٠٤ إلى ٠٦ أشهر ثم انتقاله إلى وظيفة أخرى ذات مهام وأعمال مختلفة قد (تستغرق نفس المدة الزمنية) تكسبه المهارات والخبرات الجديدة.

- وعليه فالتنقل الفوري بين الوظائف يساهم في إثراء وتوسيع المهام الوظيفية وإدراك واكتساب الخبرات التي تؤهله لمعرفة مهام تنظيم المؤسسة ككل^١.

- يتضح من خلال الطرق المعروضة سابقا عدم وجود أسلوب مثالي أو أفضل للتكوين يصلح استخدامه بصفة عامة، وإنما تخ تلف طرق التكوين باختلاف الظروف والمواقف . فاختلاف المستوى الوظيفي للمتكونين يحتم اختلاف طرق وأساليب التكوين في كل مستوى في السلم الهرمي والهيكل للمؤسسة، كما إن اختلاف الغرض من عملية التكوين والتطوير والتنمية يحتم اختلاف طريقة التكوين المستخدمة والإمكانيات التي تسخرها المؤسسة في تفعيل كفاءة التكوين. ومنه نستخلص أن لضمان نتائج فعالة في برامج التكوين وطرقه لابد من استخدام طرق مناسبة لظروف المنظمة وظروف أفرادها، ويقتضي ذلك اختبار برامج التكوين في ضوء أهداف محددة وواضحة لتنمية الأفراد وفقا لمواقفهم وطموحاتهم ما يتكيف مع المواقف الفعلية للمنظمة.

ولهذا فإن المنظمات المعاصرة أخذت تتعامل مع التكوين كجزء أساسي من استثماراتها الإستراتيجية، باعتباره عنصرا حيويا لابد منه لبناء الكفاءات والخبرات المتجددة لتحقيق الأداء الفعال.

التخطيط الاستراتيجي للتكوين :

يتبنى المدخل الاستراتيجي للتكوين، والذي يتمثل في تخطيط طويل الأجل لمدة زمنية تتراوح بين خمس و عشر سنوات (٠٥ إلى ١٠ سنوات) بعد مراجعة للماضي وتحليل الحاضر واستقراء للمتغيرات البيئية المتوقعة. وتتعدد الأسباب الداعية لتصميم إستراتيجية التكوين أهمها:

- التوافق مع متطلبات تخطيط الموارد البشرية، الذي يوضح الوظائف التي ستنشأ وتلك التي ستشعر مستقبلا على مدى (٠٥ إلى ١٠ سنوات) ويتطلب ذلك تخطيطا تكوينيا طويل المدى لتأهيل الأفراد.
- قد تتطلب مواجهة التحديات تطويرا في التكنولوجيا، في خصائص التجهيزات (الألات) ومستوى الأداء، وهذا بدوره يتطلب تنمية قدرات الأفراد لتفهم خصائص هذه المعدات والتجهيزات الجديدة وإدارتها بفعالية وكفاءة^٢
- عن البعد الاستراتيجي للتكوين يساهم في تطوير أهداف المؤسسة وهذا من خلال تطوير وتنمية الكفاءات المطلوبة^٣
- وعليه تنبع إستراتيجية التكوين في جذورها من رسالة المنظمة، فتقوم بتحديد الأهداف طويلة الأجل أو الأهداف الإستراتيجية للمنظمة على إدراك التوجهات الإستراتيجية في كل من الوظائف الأخرى، مثلا وظيفة التسويق المالية، إدارة الموارد البشرية... الخ.

^١ - بلوط حسن إبراهيم، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

^٢ - أحمد سيد مصطفى: "إدارة الموارد البشرية. منظور القرن الحادي والعشرين"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠، ص ٢٥٤.

^٣ - SONTAG (Michel) : **Développer et intégrer la formation en entreprise**. Ed. liaison, Paris, 1994, P. 13.

سياسة اعداد برنامج تكويني:

إذا كان التكوين مهما في الدول الصناعية، فإنه أشد أهمية بالنسبة إلى الدول التي تسير في طريق التنمية الصناعية والتي تنقصها الخبرات في كافة الميادين، لأن العملية ضرورية تهدف إلى تنمية قدرات الفرد ومهاراته وتنمية الكفاءات الإنسانية التي تؤدي إلى زيادة لفعالية في الأداء حيث يتطلب:

أ- تنمية مهارات الأفراد، أي زيادة قدرة وكفاءة الفرد على أداء عمل معين عن الطريق تكوينه عليه والظروف المحيطة به وأسلوب أدائه.

ب- تنمية القدرات الذهنية للأفراد واكتمال شخصيتهم . ولا تنحصر وظيفة برامج التكوين في درجة عالية من المهارة فحسب، وإنما تمتد أيضا إلى تنمية قدرات شخصية الفرد ككل.

ج- خلق الجو الاجتماعي والنفسي الملائم بين العمال، وتغيير الصورة والاتجاه الذي كان من الممكن أن يحمله العامل في نفس اتجاه المشروع الذي يعمل فيه، وذلك عن طريق توضيح كافة الاستفسارات التي ترواه

د- رفع مستوى جودة الإنتاج عن طريق مهارة الأفراد المديرين، وللتدريب فعالية مرتبطة بالقدرة والاستعداد الخاضعين للبرامج المهنية، وفي هذا الإطار يوضح **Malthis (L)** برامج التكوين بالمؤسسة، حيث يكون التكوين فيها مشكلا من مجموعة من العناصر والنشاطات تشارك في تقييم الطاقة العملية للأفراد في المؤسسة وتكون مدمجة بطريقة جد منظمة ضمن السياسة العامة للموارد في المؤسسة، وأن كل توجهات التكوين توضع من طرف الإدارة العامة للموارد البشرية وأن تكون موازية لهذه السياسة، ومنه يكون التكوين مساعدا على التغيير، بحيث يجعل الفرد أو الجماعة قادرة على التحكم في مناهج وبنية العمل، وأن يأخذ بعين الاعتبار بعد الجماعة داخل المؤسسة، ويعطي إمكانية الإحساس أكثر بحقيقة المؤسسة ويعمل كمحدد للمشاكل على المستوى الاجتماعي¹

- ولهذا نجد فرنسا مثلا لكي تستجيب لحاجة اقتصادها الماسّة إلى مزيد من التكوين لجأت إلى سنّ قانون يجبر المؤسسات أن تنقص ١٢% على الأقل من مصاريف الأجور في ميدان التكوين، وإلا فإن المبالغ المالية الواقعة في حدود هذه النسبة المثوية والتي يتم انفاقها تقصد بيت الخزينة العامة.

_ وهذا المسعى فإن التكوين ليس له معنى إلا اذا استمر طوال حياة المؤسسة، فالمؤسسة مطالبة بالبحث عن الأداء الفعال، ومنه الاستثمار في التكوين هو استثمار على المدى البعدي ويخص المؤسسة ككل²

- إن تنمية الأفراد في مجتمع يتسم بالتغيير السريع يتسم بالتغيير السريع، يعتبر نشاطا رئيسيا يجب أن تمارسه المنظمة وتخصص له الموارد اللازمة، إذا أرادت الإبقاء على قوى عاجلة وفعالة³.

- وفي هذا السياق يكّد "جمال برعي محمد" عل أننا نعيش عصرا يفرض علينا تدريب جميع العاملين في شتى المجالات باختلاف مستوياتهم واعمارهم نظرا للاكتشافات الحديثة التي تتطلب تغيير المعلومات والمعارف والخبرات بصورة مستمرة⁴.

1- Malthis (L): **Gestion prévisionnelle des R.H. ed.d'organisation**, Paris.1982,P. 144.

2- Hervé Hamon : « **Investir dans la formation_ l'entreprise à la recherche de la performance** ». Revue entreprendre et forme. Paris, fiche N°1 juin 1993, PP 89_90.

3- سلطان محمد سعيد، مرجع سابق، ص ١٨٢ .

4- برعي جمال محمد: "التدريب والتنمية"، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٣، ص ٤١٧ .

- وعلى هذا الأساس فرضت التطورات التي نشهدها حالياً واقعا تعليميا جديدا على إدارة الموارد البشرية، فالتقليص وإعادة هندسة الإدارة من قطاع إلى آخر والذي أثر على توظيف احسن الكفاءات والمهارات المطلوبة لمواجهة تلك التطورات، فإن الخيارات الاستراتيجية التكوينية لا تزال مطروحة الآن وهذا من خلال التساؤلات التالية:

١- هل تعمل المؤسسات على تطوير الكفاءات أم اللجوء إلى توظيف الأفراد الجدد؟

٢- كيف يمكن إيجاد سبل لتطوير وتحسين أداء الأفراد للتقليل من اللجوء إلى الخارج (التوظيف الخارجي)؟

- ان الخيار الاستراتيجي الأول الذي تواجهه المؤسسات ينحصر بأن ا لمؤسسات تبادر إلى تكوين وتطوير أفرادها وتبذل جهودا ووقتا ومالا من أجل رفع مهارات وكفاءات الأفراد، أما البعض الآخر من المؤسسات يتوجه إلى توظيف مكونين ومطورين من قبل سوق العمل، إلا أن هذه المؤسسات الأخيرة قد تواجه بعض المشاكل في حالة توظيف أفراد غير مكونين ووضعهم في الوظائف الشاغرة، ولكي تتغلب هذه المؤسسات على تلك المشاكل لا بد لها من التركيز على الاحتياجات التكوينية التي تنمي أداء الأفراد^١.

- أما الخيار الاستراتيجي الثاني، تطلب المؤسسات دون استثناء من الموارد البشرية العاملة معها الامتثال لها ومعنى الامتثال هم ان يتقيد الأفراد بقواعد وإجراءات وسياسات المؤسسة.

- أما الخيار الاستراتيجي الثالث الذي تواجهه المؤسسات يتعلق بمثالية التكوين والاستبدال الخارجي، المسألة الأولى لها علاقة بحجم الاستثمار التكويني المطلوب دفة تكاليف مقابل شروط إنجاح الأداء الوظيفي المرغوب به، والمسألة الثانية مرتبطة بالأولى، كون الأداء الضعيف يحتاج إلى التكوين . لأنه من حق الأفراد التكوين من اجل التخلص من الأداء الضعيف.

تحديد الاحتياجات التكوينية:

تلجأ الكثير من المنظمات إلى تصميم برامج التكوين وتخصيص موارد مالية عالية لها، وذلك بسبب اتقاد هذه المنظمات بضرورة هذه البرامج، وتخطيء بعض المنظمات في هذا السعي، وذلك بسبب عدم استناد تصميم البرامج إلى حاجة فعلية للتكوين، وما يزيد الأمر سوءا أن هناك اعتقد لدى المنظمات ورجال الإدارة بأن التكوين (التدريب) يمكنه أن يحل مشاكل انخفاض الأداء، في حين كثر من هذه المشاكل يمكنها ان تحل بأساليب أخر غير التكوين . لذلك فإن تحديد الحاجة إلى التكوين ينبغي أن يستند إلى تشخيص سليم لأسباب المشكلات التي تعاني منها المنظمة ويعاني منها أداء الأفراد^٢.

ونعني بالاحتياجات التكوينية المعلومات أو المهارات التي يراد تعديله وتطويرها في الأفراد، وهي لا تقتصر فقط على جوانب الخلل أو النقص، ولكن جوانب تطويرية استعداد لترقية الأفراد او مواجهة تغيرات متوقعة.

ويتعلق مفهوم الحاجات التكوينية ببعدين زمنيين، الحاضر والمستقبل. أما الحاضر فهو يعبر عن الاحتياجات الحالية التي تتعلق أساسا بالمعارف والمهارات الناقصة التي يراد تكملتها وبمشاكل آنية تنظيمية يراد حلها.

^١ - بلوط حسن ابراهيم، مرجع سابق، ص ٢٥١.

^٢ - أحمد ماهر: "إدارة الموارد البشرية"، القاهرة، الدار الجامعية، ٢٠٠٤، ص ٣٢٩.

وفيما يتعلق بالحاجات المستقبلية للتكوين، فهي مرتبطة بإستراتيجية المؤسسة على المدى الطويل، فافتتاح فروع جديدة للأعمال أو إدخال تغييرات تكنولوجية بغرض تدعيم مركزها التنافسي.

لهذا فإن الحاجات التكوينية مستمرة، ومتجددة وتظهر في مراحل عديدة في حياة المنظمات وبما انها اول خطوة في تخطيط البرامج التكوينية، فإنه يستدعي تحديدا دقيقا وواضحا لهذه الاحتياجات حتى تتحقق الأهداف المسطرة، وتقوم المنظمات بتحديد حاجاتها التكوينية في المراحل التالية:- ملاحظة ضعف الأداء الذي يراد علاجه.

- إعداد للأفراد الجدد عند تعيينهم.

- نقل الأفراد أو ترقيتهم.

- افتتاح فروع جديدة تابعة للمؤسسة.¹

أ- تصميم برامج التكوين: بعد تحديد الحاجة إلى التكوين تقوم المؤسسة بتصميم برامج التكوين، ومن هنا يتم بناء البرنامج التكويني وتصميمه لتحقيق الأهداف المرجوة.

" تصميم البرنامج التكويني عملية تعني تحديد الأهداف التكوينية التعليمية وانتقاء مفردات البرنامج وتتابعتها وتوقيتها والأساليب التكوينية التي ستعتمد وشروط المشاركة بالبرنامج ومعايير تقويم قياس فاعلية البرنامج".²

- وتتضمن عملية تصميم البرنامج عدّة إجراءات هامة وهي:

- تحديد أهداف البرنامج.

- تحديد نوع المهارات التي سيتم تكوينها.

- وضع المنهاج المناسب للتكوين.

- اختيار أسلوب التكوين.- اختيار المكونين.

- تحديد مكان التكوين.- تحديد فترة التكوين.

- توفير مستلزمات التكوين.³

تنفيذ برامج التكوين: يلي مرحلة التصميم لبرنامج التكوين مرحلة أخرى هي تنفيذ البرنامج، سواء كان هذا البرنامج داخل المؤسسة أو خارجها، فعلى مدير وأخصائي التكوين الاشراف على التنفيذ والتأكد أن التصميم الذي وضع قد أمكن تنفيذه. ويتضمن تنفيذ برنامج التكوين أنشطة هامة هي وضع الجدول الزمني لتنفيذ البرنامج وترتيب مكان وقاعات التكوين، والمتابعة اليومية لسير البرنامج.⁴

- وتتوقف طول فترة التكوين على طبيعة ومستوى المتكونين، كما يتم توزيع الوقت المحدد لكل موضوع على الأساليب التكوينية التي يتضمنها البرنامج.

¹ - Ibid. p, 38.

² - مؤيد سعيد السالم: عادل حرحوش، "إدارة الموارد البشرية. مدخل استراتيجي"، عمان، عالم الكتب الحديثة، ٢٠٠٢، ص ١٣٢.

³ - شاويش مصطفى نجيب، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

⁴ - أحمد ماهر: إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

- كما يجب كذلك تحديد مكان تنفيذ البرنامج التكويني سواء داخل المنظمة او خارجها في مراكز متخصصة.
- وبصفة عامة فإن اختيار المكان المناسب لتنفيذ البرنامج التكويني يحكمه عاملان أساسيان هما
١- مدى توافر امكانيات التكوين لدى المنظمة، من حيث المكونات ووسائل التكوين التي تساعد المتكويين على استيعاب المعلومات و المعارف المقدمّة في البرنامج التكويني.

٢- مدى توافر أجهزة تكوين خارجية ومدى توافر إمكانيات وظروف جيدة للتكوين بهذه المراكز^١

التقييم:

التكوين كأى من الوظائف الأخرى لإدارة الموارد البشرية، لابد من متابعته وتقييمه لغرض تحديد مدى فعاليته، ذلك ان وجود مجموعة من المحاضرات او المواضيع لا يضمن حدوث التعلم لدى المتكون و عليه فإن مسؤولية إدارة الموارد البشرية لا تنحصر في تحديد الحاجة إلى التكوين، ومن يحتاج اليه ونوعية ذلك التكوين، بل تمتد لتثبت بأساليب علمية أن هذه الاحتياجات قد تمت تلبيتها بواسطة برنامج التكوين.

ولإنجاز عملية التقييم من الضروري تقييم جميع العناصر المكونة لهذه العملية، وقد حدّد "وليام ترسي" هذه العناصر في:^٢

أ- المتكوّن . ب- المكوّن . ج- محتوى البرنامج . د- التسلسل والوقت المخصّص للتكوين.

هـ- استراتيجيات التكوين . و- المواد و أجهزة التكوين.

وتتم هذه العملية عبر خطوات وهي:

١ - تحديد طرف التقييم.

٢ - تحديد الفلسفة المنهجية للتقييم

٣ - تحديد أسلوب جمع البيانات.

٤ - جمع البيانات.

٥- تحليل البيانات.

٦- استخلاص النتائج.

٧- وضع توصيات خاصة بالمستقبل .

معوقات تطبيق إستراتيجية التكوين في المؤسسات:

إذا كانت مهمة مسئول التكوين حيوية وضرورية للرفع من فعالية التنظيمات، إلا أن هناك عدّة مشاكل تمنعها من تحقيق أهدافها وتحول دون إمكانية تنفيذ برنامجها، ويمكن توضيح هذه المشكلات والمعوقات في:

^١ - الهيتي مطر (خالد عبد الحريم): إدارة الموارد البشرية " مدخل استراتيجي"، عمان، دار حامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص ٢١٨.

^٢ - وليام ترسي: ترجمة سعد أحمد الجبالي، " نظم التدريب والتطوير"، معهد الإدارة العامة، السعودية، ١٩٩٠، ص ٥٨٢-٦٠٠.

- ١- جهل بعض المسؤولين لأهمية الدور الذي يمكن لمصلحة التكوين أن تلعبه، وبالتالي اعتباره مصلحة إدارية موجودة بها واردة في الهيكل التنظيمي للوحدة وهمها الوحيد هو أخذ ملفات العمال الجدد إلى مصلحة المستخدمين واستقبالهم الأولي.
- ٢- عدم كفاءة الكثيرين من القائمين على هذه المصالح، حيث يقومون بأعمال روتينية وإدارية تتماشى مع فهمهم لمهمة مسؤول التكوين.
- ٣- اعتبار مصلحة التكوين غير منتجة مثلها مثل المصالح الإدارية الأخرى وبذلك تقل أهميتها وأهمية الدور المنوط بها
- ٤- عدم وضوح الاستراتيجية العامة للمنظمة وعدم وضوح أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها.
- ٥- عدم توفر التسهيلات اللازمة للقيام بالعملية التكوينية، جمود القوانين والتشريعات، عدم توفر النظم التكنولوجية الحديثة الداعمة للتكوين وضعف الإمكانيات المالية المتاحة.
- ٦- عدم وضوح أهداف البرنامج التكويني الذي يعتبر أساس نجاح الدورة
- ٧- افتقاد الدورة التكوينية للأسس العلمية والعملية في تخطيط وتنفيذ وتقييم ومتابعة النشاط التكويني، حيث الاعتماد الغالب في هذه الدورات على الأساليب التقليدية التي تحول دون إمكانية تقدم أو تطوير أنظمة المنظمة وتحقيق كفاءة وفعالية التكوين^٢.

خاتمة :

تعد وظيفة التكوين من أهم مقومات المؤسسات الحديثة، فالتكوين ضروري لبناء قوة بشرية منتجة، وفي هذا النشاط تهدف المؤسسة إلى تنمية مهارات الأفراد وذلك لمواجهة احتياجات حالية ومستقبلية تتطلبها المؤسسة في ظل التغييرات البيئية التي تواجهها، لأن التكوين لا يهم المؤسسة لوحدها بل كذلك يعني الأفراد العاملين فيها، وتنمية حب العمل لديهم داخل المؤسسة مما يعود بالفائدة عليها وعلى الأفراد.

فالتكوين كنشاط ووظيفة رئيسية من وظائف المؤسسات المعاصرة يسعى إلى تحسين أداء العاملين في المنظمة وإكساب الموظفين المهارة اللازمة التي تمكنهم من مواجهة التغيرات المختلفة في البيئة الداخلية والخارجية، بحيث يجب أن تركز إستراتيجية التكوين على تحليل نقاط القوة والضعف في أداء وسلوك العاملين الحاليين وتحديد الاحتياجات التكوينية اللازمة، ومن ثم وضع البرامج التكوينية الفعالة من أجل الوصول إلى سلوك وأداء يمكن الموظفين من أداء أعمالهم بأفضل كفاءة.

^١ - غياث بوثلجة: " مبادئ التسيير البشري"، الجزائر، دار الغرب، دون سنة، ص ٧٧_٧٨.

^٢ - خيري خليل الجميلي: " التنمية الإدارية في الخدمة الاجتماعية"، مصر، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨، ص ١٠٧، ص ١٠٩.

قائمة المراجع :

- ١- أحمد سيد مصطفى: "إدارة الموارد البشرية"، منظور القرن الحادي والعشرين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.
- ٢- أحمد ماهر: "إدارة الموارد البشرية"، القاهرة، الدار الجامعية، ٢٠٠٤.
- ٣- الهيتي مطر (خالد عبد الحريم): "إدارة الموارد البشرية" مدخل استراتيجي"، عمان، دار حامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- ٤- الهيتي مطر خالد عبد الرحيم: "إدارة الموارد البشرية" مدخل استراتيجي"، عمان، دار حامد للنشر، ٢٠٠٠.
- ٥- برعي جمال محمد: "التدريب والتنمية"، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٣.
- ٦- حنفي عبد الغفار: "السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد"، القاهرة، دار الجامعة المغربية، ١٩٩١.
- ٧- خيري خليل الجميلي: "التنمية الإدارية في الخدمة الاجتماعية"، مصر، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨.
- ٨- سلطان محمد سعيد: "إدارة الموارد البشرية"، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٣.
- ٩- شوايش مصطفى نجيب: "إدارة الموارد البشرية (إدارة الأفراد)"، عمان، دار الشروق، ١٩٩٦.
- ١٠- شحادة نظمي وآخرون: "إدارة الموارد البشرية"، عمان، دار الصف للنشر، ٢٠٠٠.
- ١١- صلاح الدين، عبد الباقي، "إدارة الموارد البشرية"، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر، ٢٠٠٠.
- ١٢- عيساوي عبدالرحمان محمد: "علم النفس الإنتاج"، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣.
- ١٣- غربي علي وآخرون: "تنمية الموارد البشرية"، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.
- ١٤- غياث بوثلجة: "مبادئ التسيير البشري"، الجزائر، دار الغرب، دون سنة.
- ١٥- مؤيد سعيد السالم : عادل حرحوش، إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي"، عمان، عالم الكتب الحديثة، ٢٠٠٢.
- ١٦- وليام ترسي: ترجمة سعد أحمد الجبالي، "نظم التدريب والتطوير، معهد الإدارة العامة، السعودية، ١٩٩٠.
- ١٧- محمد عبد الفتاح الصيرفي، "الإدارة الرائدة"، مصر، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- ١٨- حسن حلبي، "تدريب الموظف"، لبنان، منشورات كويدات، ط٢، ١٩٨٢.
- ١٩- محمود أبوبكر مصطفى: "إدارة الموارد البشرية" مدخل تحقيق الميزة التنافسية"، القاهرة، الدار الجامعية، ٢٠٠٤.
- ٢٠- Hervé Hamon : « **Investir dans la formation_ l'entreprise à la recherche de la performance** ». Revue entreprendre et forme. Paris, fiche N°1 juin 1993, PP 89_90.
- ٢١- Malthis (L): **Gestion prévisionnelle des R.H. ed.d'organisation**, Paris.1982,P. 144.
- ٢٢- SONTAG (Michel) : **Développer et intégrer la formation en entreprise**. Ed. liaison, Paris, ٢٣

^١ السمري، ٢٠٠١.

^٢ البداينة، ٢٠٠٤.

العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني: أسبابه، أشكاله وآثاره، سبل الحد منه

د. عبدالله صالح محمد الدرايسه/شركة أسأل لتنمية الموارد البشرية/عمان، الأردن

ملخص:

سعت الدراسة للتعرف على واقع العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني، وذلك من خلال اتباع المنهجية الكيفية وباستخدام المقابلات المعمقة وتحليل الوثائق. وكشفت الدراسة عن الأسباب الرئيسية لظاهرة العنف ضد المرأة والتي كان أهمها عدم توفر جو من الحوار والنقاش داخل بناء الأسرة، كما ويعتبر حب الرجل للسيطرة ونظرته الدونية للمرأة سبباً آخر. وأظهرت الدراسة أن أهم أشكال العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني تمثلت في العنف اللفظي وهو الأكثر انتشاراً بين ضحايا العنف، وتلاه العنف الجسدي أو البدني. وقد كان للعنف آثاراً مختلفة منها ال نفسية، وال جسدية، والاجتماعية والاقتصادية.

وفيما يتعلق بالأسباب التي تدفع المرأة في المجتمع الأردني للبقاء أسيرة علاقة عنيفة فقد وجد أن أهم هذه الأسباب رغبة المرأة في التأكيد على عدم الرضوخ والانكسار أمام الزوج. وخرجت الدراسة بعدة طرق يمكن من خلالها محاولة الحد من ظاهرة العنف ضد المرأة في مجتمعنا الأردني وكان من أهمها إتباع أساليب توعوية للمقبلين على الزواج، وعمل النشرت وتسخير الفن بأشكاله المختلفة لذلك.

كلمات مفتاحية: العنف، أشكال العنف، الآثار النفسية، تحليل الوثائق، المرأة المعنفة.

مقدمة :

تعد العائلة في غالبية المجتمعات مصدر الأمان لأفرادها، ولقد تعرضت العائلة لكثير من التغيرات التي أصابت تراكيبها الاجتماعية، وانعكست على وظائفها عامة، فكثير من العائلات فشلت في أداء وظائفها الاجتماعية والنفسية، وأصبحت تشكل عامل خطورة على أفرادها، فلم تعد الجريمة ترتكب في الشوارع والأسواق وحدها، بل أصبحت العائلة مسرحاً لها، فانتشرت جرائم العنف داخل العائلة بأشكالها كافة، وأصبح الجناة من داخل العائلة أكثر أحياناً من خارجها في الجرائم المرتكبة في العنف داخل العائلة^١.

ولما ظلت معظم القوانين التي تحكم نظام الأسرة في مختلف المجتمعات الإنسانية محكومة بالفكرة القائلة إن المرأة والأبناء امتداد طبيعي لملكية الرجل وان له الحق في حرية التصرف بهما، فقد افرز ذلك أشكالاً متعددة من أنواع العنف والقهر الاجتماعي الذي يمارس ضد المرأة والأبناء من قبل الرجل^٢.

وتستقطب ظاهرة العنف ضد المرأة اهتماماً عالمياً، وقد بدأ ذلك جلياً من خلال الندوات الدولية والأبحاث والدراسات التي طرقت هذا المجال، فظاهرة العنف ضد المرأة منتشرة في جميع شرائح المجتمع وطبقاته، فهي واحدة في كل المجتمعات، وان اختلفت أساليبها، وأنواعها، وآثارها^٣.

^١ ضيف الله، ٢٠١٠.

^٢ الكرمي، ١٩٩٢.

^٣ الدباس، ٢٠١٠.

أما فيما يخص مفهوم العنف، فقد جاء في قاموس الهادي بأنه الاسم من العَنف وهو الشدة والقسوة، أي أنها تتضمن استخدام القوة أو القسوة بشكل مكثف^١.

وينظر علماء الاجتماع إلى العنف بأنه الاستخدام الفعلي للقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والإتلاف بالملكات، كما ويعرفه القانونيين بأنه الاعتداء البدني أو النفسي الواقع على الأشخاص ويحدث تأثيرا أو ضررا عاديا أو معنويا مخالفا للقانون ويعاقب عليه القانون. ويرى علماء النفس بأن العنف سلوك عدواني بين طرفين متصارعين يهدف كل منهما إلى تحقيق مكاسب معينة أو تغيير وضع اجتماعي معين^٢.

وتعرف البنات (٢٠٠٥) العنف ضد المرأة على أنه : أي سلوك عدائي موجه نحو المرأة بقصد إلحاق الأذى والضرر الجسدي أو النفسي أو المادي أو الاجتماعي أو الصحي أو اللفظي، وبالأخص العنف الموجه من الزوج ضد الزوجة كما ويعرف بأنه أي عمل مقصود أو غير مقصود، يرتكب بأية وسيلة بحق المرأة لكونها امرأة، ويلحق بها الأذى والإهانة بطريقة غير مباشرة، ويخلق لديها معاناة نفسية أو جنسية أو جسدية، من خلال الخداع أو التهديد أو الاستغلال أو التحرش أو الإكراه أو العقاب أو أي وسيلة أخرى، وإنكارواهانة كرامتها الإنسانية أو سلامتها الأخلاقية، أو التقليل من امن شخصها ومن احترامها لذاتها أو شخصيتها، أو الانتقاص من إمكانياتها الذهنية والجسدية^٣.
وتتعرض المرأة لأشكال مختلفة من العنف ومن هذه الأشكال ما يلي^٤:

- **العنف الجسدي:** ويعني استخدام القوة الجسدية نحو الزوجة، وهو من أكثر أشكال العنف وضوحا، ويتم باستخدام الأيدي أو الأرجل، أو أية أداة من شأنها ترك آثار واضحة على جسد المعتدى عليها.
- **العنف اللفظي:** ويكون على شكل شتم الزوج لزوجته وإحراجها أمام الآخرين، ونعتها بألفاظ بذيئة وعدم إبداء التقدير والاحترام لها. ويعتبر العنف اللفظي هداما بشكل كبير، خاصة لصورة الذات لدى الزوجة.
- **العنف النفسي:** إن العنف النفسي مقترن بالعنف الجسدي فالمرأة التي تتعرض للعنف الجسدي تصاب بمعاناة نفسية من اكتئاب، وضغط، وقلق، وعدم القدرة بالتنبؤ بسلوك الزوج.
- **العنف الاجتماعي:** ويعني حرمان الزوجة من ممارسة حقوقها الاجتماعية، والشخصية، وانصياعها لمتطلبات الزوج الفكرية والعاطفية، ومحاولة الحد من انخراطها في المجتمع وممارسة أدوارها، مما يؤثر في استقرارها الانفعالي، ومكانتها الاجتماعية.
- **العنف الصحي:** ويقصد به حرمان الزوجة من الظروف الصحية المناسبة لها، وعدم مراعاة الصحة الإنجابية لها.

^١ دراغمة، ٢٠٠٢.

^٢ بنات، ٢٠٠٥.

^٣ كرادشة وآخرون، ٢٠٠٧.

^٤ البدنية، ٢٠٠٤.

^٥ المخارمة وآخرون، ٢٠٠٢.

- العنف الجنسي: ويكون بإجبار الزوج زوجته على المعاشرة الجنسية دون مراعاة الوضع النفسي أو الصحي لها، ولجوء الزوج إلى استخدام قوته وسلطته لممارسة الجنس مع زوجته . وقد يظهر العنف الجنسي على شكل المعاشرة السيئة للزوجة، أو المعاشرة غير الشرعية، أو الهجر.
- وغيرها من العنف السياسي، أو الإداري أو حتى المادي والاقتصادي.

وتزداد مسألة العنف ضد المرأة في المجتمع العربي والمجتمع الأردني إشكالية، عندما تتعارض خصائص الأفراد الديمغرافية مع خصائص المحيط الاجتماعي والثقافي من جهة، والشرائع والقوانين المعمول بها من جهة أخرى؛ بحيث تزيد من احتمالية تعميق حدة العنف ضد المرأة، وتجذره إلى الحدود التي يصعب معها معالجته أو الحد منه، أو التمييز بين ما هو عنف وما هو غير ذلك، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بضرورة الإحاطة بمثل هذه الظواهر ودراستها من مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية؛ وذلك بهدف تقديم معرفة ورؤى واضحة وعميقة حول ظواهر العنف، وأسبابها وانعكاساتها والعوامل المؤدية لها.

ويعد المجتمع الأردني مجتمعاً أبوياً يسيطر فيه الذكور على الإناث، كما يسيطر على المصادر المالية والاجتماعية واتخاذ القرارات. إذ أن الذكور مفضلون على الإناث، وينظر لهم على أنهم الأقوى، في حين ينظر للإناث على أنهم الأضعف وبأنهن عاطفيات وتابعات ومسلمات، لذا فإن توزيع القوى في الأسرة الأردنية يأخذ الشكل الهرمي، فالذكور في أعلى الهرم، والإناث والأطفال في أسفل الهرم، ومن هنا يمكن النظر إلى أن ممارسة القوى الذكورية لتحقيق السيطرة والتحكم بالأسرة هي شكل من أشكال العنف الأسري¹.

وفي دراسة حول المفاهيم الخاصة بالعنف الأسري والإساءة كما تراها شرائح المجتمع الأردني، أشارت نتائج الدراسة إلى وجود أربعين شكلاً مختلفاً من الممارسات التي اعتبرها المقابلون أشكالاً للعنف الأسري والإساءة . كما أشارت النتائج إلى وجود ضحايا رئيسيين لحالات العنف الأسري والإساءة الأسرية، ومتسببين أساسيين فيها . ودلت النتائج بأن الضحايا الأساسيين هم من الإناث (الزوجة، والابنة، والأخت، والأم وأم الزوج)، ثم الأطفال من الجنسين. وفي المقابل فإن الذكور هم المتسببون أو المعتدون في حالات العنف الأسري والإساءة، خاصة الزوج والأخ . وأظهرت الدراسة وجود فروقات بين الأفراد من الجنسين فيما يعتبر ممارسات عنيفة أو مسيئة، وذلك اعتماداً على أعمار المقابلين، ومستوى تعليمهم، وأماكن سكنهم².

وأجرى درويش (٢٠٠١) دراسة على عينة عشوائية من ٢٠٠٠ أسرة للكشف عن العنف ضد المرأة في مدينة الزرقاء، حيث أظهرت النتائج أن أكثر المتعرضات للعنف الأسري هن الزوجات، وتبين من هذه الدراسة أن أكثر أنواع العنف الذي تتعرض له الزوجة هو العنف النفسي بنسبة حوالي الربع، ومن أشكاله التحقير والسخرية بألفاظ بذيئة والشتيم أمام الآخرين. كما أكدت الدراسة على أن ردود أفعال المعتنفات نحو العنف كان بالاستسلام، ثم البكاء، والصرخ، واللجوء إلى الأقارب، وترك المنزل، وأفعال عنف مضادة، في حين كان اللجوء إلى الاستشارة المتخصصة والشرطة قليلاً، وذلك بسبب الخوف من المجتمع وكلام الناس، والخوف من انتقام المسبب للعنف، والاعتماد الاقتصادي على المسبب للعنف.

¹ تحليل ميخائيل معوض: "سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)"، الطبعة الثالثة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٣٢٩، ٣٣١.

² منصور محمد جميل يوسف وآخرون: "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، دار تامة، جدة، ١٩٨٩، ص 452.

³ الحافظ نوري: "المراهق دراسة سيكولوجية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص 28.

وقامت العواودة (٢٠٠٢) بدراسة عن العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، ومدى انتشاره بين الزوجات من عينة الدراسة، والأسباب الكامنة وراءه. وتوصلت إلى أن العنف الاجتماعي هو أكثر أنواع العنف انتشاراً بين الزوجات، حيث بلغت الأهمية النسبية لوجوده (٥٦%)، وقد تمثل أكثر أنواع العنف الاجتماعي شيوعاً بحرمان الزوجة من الخروج للعمل وبأهمية نسبية بلغت قيمتها (٥٦.٨%). وتشير الدراسة إلى أن (٩٧.٣%) من الزوجات قد تعرضن - على الأقل - لشكل واحد من أشكال العنف.

أما بالنسبة للأرقام الصادرة عن إدارة حماية الأسرة في عام (٢٠٠٦)، فقد لوحظ تزايداً كبيراً في أعداد حالات العنف ضد المرأة حيث وصلت ما يقارب ١٧٦٤ حالة وقضية تم توديع ٧٩٤ منها للقضاء (٧٣١ قضية اعتداء جنسي و٦٣ قضية اعتداء جسدي)، وهذا بالمقارنة مع ٦٦١ حالة عام ٢٠٠٢. (إدارة حماية الأسرة، ٢٠٠٦) و(بنات، ٢٠٠٥).

ويهدف هذا البحث إلى دراسة العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني من خلال تطرقه لأسباب الظاهرة، وأشكالها الرئيسية، وأهم المظاهر والآثار، ومن ثم الأسباب التي تدفع المرأة للبقاء أسيرة علاقة عنيفة. وتحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما الأسباب الكامنة وراء تعنيف المرأة في المجتمع الأردني؟
٢. ما أهم أشكال العنف التي تعانيه المرأة الأردنية؟
٣. كيف تتأثر المرأة الأردنية بالعنف الموجه ضدها؟
٤. لماذا تبقى المرأة الأردنية أسيرة علاقة عنيفة؟
٥. ما أهم السبل الكفيلة للحد من هذه الظاهرة؟

منهجية الدراسة:

أعد هذا التقرير البحثي حول قضية العنف ضد المرأة في الأردن باستخدام المنهجية الكيفية في العام ٢٠١٢/٢٠١٣، وتم فيه جمع المعلومات والبيانات باستخدام المقابلة المعمقة وتحليل الوثائق والدراسات السابقة حول هذا الموضوع.

المشاركات:

وفيما يخص المشاركات، فقد اخترت بطريقة قصدية من خلال الخبرات المعاشة أو من خلال بعض الدوائر صاحبة الاختصاص، وتم مقابلة أربع نساء واحدة منهن عزباء والأخرى متزوجات، وتراوحت مدة المقابلات ما بين ٤٥-٧٠ دقيقة لكل مقابلة. وتم اطلاع المشاركات على غرض الدراسة وسرية البيانات المجموعة. ومن الجدير ذكره أن المشاركات رفضن أن يتم تسجيل المعلومات صوتياً واشترطن أن يتم التدوين كتابياً.

جمع البيانات:

جمعت بعض الوثائق من الصحف اليومية ومن مواقع المدونات والمنتديات من على شبكة الأنترنت. بعد ذلك جرى تحليل هذه البيانات وتصنيفها في فئات رئيسية وتضمنت كل فئة عدد من العناوين.

أدوات الدراسة :

اقتصرت أدوات الدراسة على المقابلة المعمقة وتحليل الوثائق المنشورة في الصحف والمواقع الالكترونية لآخره سنوات.

تحليل النتائج ومناقشتها:

يبين الجدول رقم (١) ملخصاً لما تم التوصل إليه من نتائج جراء تحليل بيانات المقابلات المعمقة وتحليل الوثائق المأخوذة من الصحف الرسمية وبعض المواقع الالكترونية، ويظهر فيها الإجابة عن أسئلة الدراسة.

جدول رقم (١): تصنيف البيانات

العناوين	الفئات الرئيسية
<ul style="list-style-type: none"> ■ الفقر. ■ النظرة الدونية للمرأة. ■ استمرار سيطرة الرجل في كل المجالات. ■ وجود نقاط ضعف في النظام التعليمي. ■ درجة التعليم بين الزوجين. ■ عدم معرفة المرأة بحقوقها. ■ ارتفاع عدد أفراد الأسرة. ■ جرائم الشرف. ■ عدم قدرة الزوجين على إيجاد الحلول لبعض المشكلات الأسرية. ■ افتقاد الأردن لوثيقة وطنية ضد العنف الموجه للمرأة. ■ أسباب نفسية. ■ تدخلات عائلة الزوج. ■ قلة الحوار داخل الأسرة. ■ غيرية الزوج المفرطة. ■ عدم تعاون الزوجين في الأعمال المتعلقة بالأسرة. 	أسباب العنف
<ul style="list-style-type: none"> ■ العنف الجسدي. ■ العنف النفسي والمعنوي. ■ العنف الرمزي. ■ العنف اللفظي. ■ العنف الجنسي. ■ سلب الحقوق والحريات. ■ العنف الاجتماعي. 	أشكال العنف
<ul style="list-style-type: none"> ■ آثار اقتصادية (تقويض التنمية). ■ آثار نفسية. ■ آثار اجتماعية. ■ آثار جسدية. 	آثار العنف
<ul style="list-style-type: none"> ■ عدم رغبتها بالشعور بالانكسار والهزيمة. ■ الخوف على الأولاد من التشتت. 	أسباب بقاء المرأة الأردنية أسيرة علاقة عنيفة

<p>عدم جدوى طرق الإصلاح. أسباب اجتماعية.</p>	
<ul style="list-style-type: none"> ▪ استخدام الفن بأشكاله المختلفة. ▪ عمل دورات إرشادية للمقبلين على الزواج. ▪ المنشورات. ▪ استنهاض الرأي العام. ▪ التأثير على صناع القرار. ▪ تشديد محاسبة مرتكبي الجرائم. ▪ دور الوعاظ والأئمة. ▪ توعية الفئات الفقيرة والمهمشة. ▪ تأهيل ضحايا العنف الأسري. ▪ تفعيل دور إدارة حماية الأسرة. ▪ إنشاء جمعيات مناهضة للعنف ضد المرأة. ▪ تفعيل الاتفاقيات الدولية. ▪ عمل حوافز لأفضل تغطية إعلامية لمناهضة العنف ضد المرأة. 	<p>سبل الحد من هذه الظاهرة</p>

ومن خلال تحليل البيانات المأخوذة من المقابلات والوثائق وجد ان نسبة الأسباب الكامنة وراء ظاهرة العنف ضد المرأة المذكورة في الوثائق أكبر منها في المقابلات . وتضمنت البيانات عدداً من الأسباب الرئيسية، أهمها عدم توفر جو من الحوار والنقاش داخل بناء الأسرة، وتفسر الدباس (٢٠١٠)، أن الزوج يلجأ إلى العنف ضد الزوجة لما يعانيه من ضعف في أساليب ومهارات التواصل معها، حيث يصعب عليه التعبير عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته، ومن ثم يميل الزوج إلى توجيه اللوم على الضحية. وفي كثير من الأحيان يكون العنف نتيجة الشعور بالإحباط، وعدم القدرة على تحقيق الذات والشعور بالغيرة الشديدة. وقد ورد على لسان إحدى المشاركات أن سبب عنف الزوج تجاهها هو " أتوقع لأنه خلص دراسته من بلد أجنبي وهناك الانحلال الخلقي، وهذا ولد عنده نوع من الغيرة سواء من شغلي أو من زملاء".

كما ويعتبر حب الرجل للسيطرة ون ظرته الدونية للمرأة من أهم الأسباب لتعنيف المرأة في المجتمع الأردني كما تشير لذلك إحدى المعنفات: "هو بدو يكون الأمر النهائي وممنوع نقول لأ". وهذا يتفق مع دراسة البداينة (٢٠٠٤)، حيث ترى أن الرجل يقوم بممارسة القوى الذكورية لتحقيق السيطرة والتحكم بالأسرة.

ويعتبر هجر الزوج لزوجته أو استعفافه عنها من أهم أسباب العنف الجنسي بحق هذه المرأة ويؤكد ذلك تصريح المعنفة "الله يجهد بالك مثل ما جهدت بلاي"، وفيه جرح لمشاعرها وسحق لكرامتها، ومن الممكن ارجاع السبب في هذا النوع من العنف إلى إتباع الزوج للسبل المنحرفة كمشاهدة الأفلام الإباحية. هذا وقد نفت كل المشاركات أن تكون هناك صلة بين الحالة المادية والعنف على الرغم من تركيز الوثائق عليهما، وربما يعود ذلك الى أن الحالات المدروسة من الطبقة الوسطى.

وكما توضح بيانات الجدول (١) أهم أشكال العنف ضد المرأة في المجتمع الأردني، حيث نجد الاتفاق الكبير ما بين البيانات المحللة من الصحف والمواقع الالكترونية مع بيانات المقابلات المعمقة . وقد وجد من خلال التحليل أن العنف اللفظي هو الأكثر انتشاراً بين ضحايا العنف، ويليه العنف الجسدي أو البدني. وهذا ما توضحه المشاركات فالعنف يبدأ

غالبا لفظيا ويتبعه عنفا جسديا . ويكون العنف اللفظي بالشتيم والسب بكافة أنواعه، أما العنف البدني فيختلف باختلاف الحالة من دفع إلى ضرب مبرح وركل . وعادة ما يلزم نوعا العنف السابقين العنف النفسي . ويرى درويش (٢٠٠١) أن أكثر أنواع العنف الذي قد تتعرض له الزوجة هو العنف النفسي وبنسبة ٢٥% من الزوجات، ومما يجدر ذكره أن العنف الجنسي قد يظهر لنقص الوازع الديني، أو للتأثر بالأفلام الجنسية، أو لتعذيب الزوجة (محرمة وآخرون، ٢٠٠٢).

وللعنف ضد المرأة انعكاسات على الأسرة والمجتمع، وتظهر آثاره على المرأة المعنفة وأطفالها، كما يتخذ العنف أبعاداً سلبية على سلامة المرأة النفسية واستقرارها الأسري. وقد كشف الآثار التالية:

١. الآثار النفسية: حيث تفقد المرأة ثقتها بنفسها واحترامها لذاتها، وهذا من الممكن ان يقودها للتفكير بالا "نتحار" مره حاولت الانتحار لا شعوريا واشربت كم حبة دوا " ، او النفور من الأسرة "وأحيانا بنفر من الأولاد، حتى يمكن أكرههم بسبب أبوهم". ويختلف الاحساس بأي آثار العنف لها الوقع الأكبر في النفس بين النساء ومن الممكن أن يعزى ذلك لاختلاف مستوى النساء التعليمي، فمنهم من يرى أن اللفظي هو الأكثر أثراً، وبعضهن الآخر يرى البدني هو الأشد تأثيراً "أنسى الكلام الجارح وأنسى الأفعال لكن الأحاسيس المتولدة عن الدفع والذو والضرب لا يمكن أن أنساها".

٢. الآثار الجسدية: وقد تكون نتيجة للضرب المبرح وشد الشعر والدفع.

٣. الآثار الاجتماعية: وهذا يتضمن التأثيرات السلبية على المجتمع من حول المرأة المعنفة. وتشير البنات (٢٠٠٥) إلى أن هذه الآثار من أشد ما يتركه العنف على المرأة والأسرة والمجتمع، فضرره لا يقتصر على المرأة المعنفة، وإنما يمتد ليشمل أسرته ومجتمعها، ومن أبرز آثاره زيادة التفكك الأسري ناهيك عن اضطرابات العلاقات الاجتماعية.

٤. الآثار الاقتصادية: من نتائج انتشار العنف ضد المرأة تقويض التنمية الاقتصادية وإعاقة متطلبات التنمية الاقتصادية (بناء على تحليلات الصحف اليومية).

وفيما يختص بالأسباب التي تدفع المرأة في المجتمع الأردني للبقاء أسيرة علاقة عنيفة، فقد وجد أن من أهمها رغبة المرأة في التأكيد على عدم الرضوخ والانكسار أمام الزوج "بظل معنن" وهذه الجملة تدلل على وجود شرخ كبير في العلاقة الزوجية بحيث تنتقل من العلاقة التكاملية بين الشريكين إلى التحدي بينهما ومحاولة إثبات الذات . ومن الممكن الاستشفاف بأن هذا التأكيد بقدر ما هو سبب لبقاء العلاقة بقدر ما هو سبب لحصول الصراعات الزوجية المؤدية للعنف. ويرتكز السبب الثاني في محاولة المرأة الحفاظ على وحدة الأسرة والأولاد خصوصاً، والخوف عليهم من التشتت . وكما تقول إحدى المشاركات "وين بدي أروح معاي شلة". بينما يتضح ثالثاً بأنه اذا لم تفلح محاولة تدخل الأقارب في إصلاح العلاقة وإيقاف العنف ضد هذه المرأة فأنها سوف ترفع الراية وتستسلم للواقع المعاش . والسبب الرابع، هو سبب اجتماعي كالخوف من كلام الناس ووضعية المرأة المطلقة في المجتمع وهذا أحد الأسباب التي نتجت أيضا عن دراسة درويش (٢٠٠١).

وهناك عدة طرق يمكن من خلالها محاولة الحد من ظاهرة العنف ضد المرأة في مجتمعنا الأردني، وقد استخلصت في أغلبها من تحليل الوثائق . ومن تلك الطرق إتباع أساليب توعوية للمقبلين على الزواج، وعمل النشرات وتسخير الفن بأشكاله المختلفة لذلك . كما ولا بد من التأثير على السياسات وصانعيها وتشديد محاسبة مرتكبي جرائم الشرف. وتبرز الحاجة إلى ضرورة الاهتمام بإعداد الوعاظ والأئمة بحيث تكون لهم القدرة على تدعيم الوازع الديني

والاخلاقي ومنظومة القيم الحميدة لدى الأفراد. ومن ثم يجب الوصول الى الفئات المهمشة من النساء وتوعيتها بحقوقها، واعداد برامج لتأهيل ضحايا العنف وتفعيل دور المؤسسات الحكومية والخاصة لمكافحة هذه الظاهرة والحد منها.

قائمة المراجع:

١. إدارة حماية الأسرة، (٢٠٠٦)، "إحصائيات حول القضايا التي تعاملت معها في عام ٢٠٠٦"، عمان، الأردن.
٢. البدينة، ذياب، (٢٠٠٤)، "الإطار الوطني لحماية الأسرة الأردنية من العنف داخل الأسرة الأردنية"، المجلس الوطني لشؤون الأسرة، وثيقة غير منشورة، عمان، الأردن.
٣. بنات، سهيبة، (٢٠٠٥)، "العنف ضد المرأة، أسبابه وآثاره وكيفية علاجه"، دجلة والمعتز للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، الأردن.
٤. الدباس، ريماء، (٢٠١٠)، "العنف ضد المرأة"، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن.
٥. دراغمة، ديماء، (٢٠٠٢)، "العنف الأسري وأثره على الصحة النفسية للمرأة الفلسطينية"، رسالة ماجستير، جامعة القدس، مودعة في قسم الرسائل الجامعية، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان.
٦. درويش، مها، (٢٠٠١)، "العنف الأسري في مدينة الزرقاء"، دراسة وصفية، مركز التوعية والارشاد الأسري.
٧. السمري، عدلي، (٢٠٠١)، "العنف في الأسرة: تأديب مشروع أم إنهاء محذور"، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
٨. ضيف الله، عالية، (٢٠١٠)، "العنف ضد المرأة بين الفقه والمواثيق الدولية"، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، الأردن.
٩. العواودة، أمل، (١٩٩٨)، "العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
١٠. كرادشة، منير والخاتنة، عبد الخالق، (٢٠٠٧)، "علاقة المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية بأشكال العنف ضد المرأة"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٤٥، عمان، الأردن.
١١. الكرمي، حسن، (١٩٩٢)، الهادي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٢. المحارمة، حمد والزيد، ريم والحياري، رجاء والنحاس، أمل، (٢٠٠٢)، "المفاهيم الخاصة بالعنف الأسري والإساءة كما تراها شرائح المجتمع الأردني"، معهد الملكة زين الشرف التنموي، عمان، الأردن.

دور المعاملة الوالدية في ظهور الإضطرابات النفسية لدى المراهق

د.حسان سخسوخ/جامعة سطيف ٢، الجزائر

ملخص:

تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة كغيرها من مراحل النمو التي يمر بها كل فرد في المجتمع، إلا أن هذه المرحلة تعد من أهم مراحل حياة الإنسان فهي نقطة انتقال إذ تعد الحد الفاصل بين مرحلة الطفولة المتأخرة ومرحلة الرشد، وأنها هي التي تجعل المراهق (ة) كرجل أو امرأة صغير (ة)، كما يمر الفرد في هذه المرحلة العمرية بمجموعة من التغيرات النفسية، العقلية، والجسمية، فهي تمس جهازه النفسي والعقلي، حيث تتحول ميوله واهتماماته نحو اتجاهات أخرى لم يعيشها من قبل، سيتم في هذا المقال تناول مفهوم المراهقة وأشكالها ومطالب النمو ومختلف جوانبه ثم العوامل المحددة لشكل المراهقة، والمراهقة في البيئات المختلفة انتهاءً بمشكلات المراهقين النفسية ودور المعاملة الوالدية وأزمة الهوية لدى المراهق.

الكلمات المفتاحية: المعاملة الوالدية، المراهق، الاضطرابات النفسية.

١- مفهوم المراهقة:

هي مرحلة انتقالية في عمر الإنسان تبدأ بالبلوغ الذي يعتبر طريقاً بين الطفولة المتأخرة والمراهقة، تح دث فيها تغيرات في شخصية المراهق من الناحية الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية فهو ينتقل من التفكير القائم على إدراك الملموس إلى التفكير الأعمق في الأمور المعنوية والفكرية وتزداد قدرته على النقد والتحليل وتفهم الأمور وينتقل من مرحلة الاعتماد على غيره إلى الاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتي ويتسع نطاق علاقاته الاجتماعية.

تسمى هذه المرحلة أحياناً بالبلوغ للدلالة على النمو الداخلى والتطور مقابل عملية التعلم، لكن المراهقة والبلوغ ليستا كلمتين مترادفتين، فالمراهقة تطلق على مرحلة تبدأ بالبلوغ وتستمر حتى مرحلة النضج ويقتصر معنى البلوغ على النمو الفسيولوجي والجنسي و يصبح الفرد فيها قادراً على التناسل وحفظ سلالته.^١

وعرفتها مادينا **Medinnus** بأنها: ((مرحلة تبدأ بظهور علامات النضج الجنسي في جوانب النمو الجسدي والاجتماعي وتنتهي عندما يقوم الفرد بتولي أدوار الكبار في أغلب الأحوال علي أنه شخص بالغ)).^٢

وعرفها سيجموند فرويد **Sigmund Freud** بأنها: ((فترة تبدأ من البلوغ وتنتهي عند نضوج الأعضاء الجنسية بالمفهوم النفسي)).^٣

2- الفرق بين المراهقة والبلوغ:

^١ عبد الرحمان العيسوي: "المراهق والمراهقة"، دار النهضة العربية، بيروت، 2005، ص 209- ٢١٠.

^٢ امتثال زين الدين الطفيلي: "علم النفس النمو من الطفولة إلى الشيخوخة"، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٢٦.

^٣ خالد محمد أبوشعيرة ثائر الغباري: "سيكولوجية النمو الإنسان بين الطفولة والمراهقة"، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ٢٠٠٩، ص ٢٢٤.

ينبغي التمييز بين المراهقة والبلوغ، حيث أن الكثير يخلط بين المصطلحين، فالبلوغ يعني فقط وصول الأعضاء التناسلية إلى حالة النضج التي تمكنها من أداء وظائفها التناسلية، أما المراهقة فهي تغيرات جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية وأخلاقية وروحية فالمراهقة أشمل من البلوغ^١.

البلوغ يمثل المظهر البيولوجي لمرحلة المراهقة وهو محدد بالمرحلة، محدد نسبيا من فترات النمو عند الكائن الحي ومصحوب بتغيرات على مستوى الأعضاء التناسلية^٢.

3- تحديد مرحلة المراهقة:

لا يمكن تحديد مرحلة المراهقة بدقة لأنها تعتمد على السرعة الضرورية في النمو الجسدي، فهي متفاوتة فمن غير السهل أن تقرر هذه المرحلة من حياة الإنسان، ومما لا ريب فيه أن هذا الاحتمال ينتهي في بداية العشرينيات من العمر^٣.

يتجه البعض إلى توسيع مرحلة المراهقة فيرون أنها تضم الفترة التي تسبق البلوغ ويحدونها بين 10 و20 سنة، ومنهم من يحصرها ما بين 13 و 19 سنة^٤.

وهناك من اعتبرها الفترة الممتدة من البلوغ الجنسي وحتى الرشد وتقابل 13 سنة عند البنات و 14 سنة عند الذكور، وقد تم تقسيمها إلى مرحلة المراهقة المبكرة من ١٢-١٤ سنة، والمراهقة الوسطى من ١٥-١٧ سنة والمراهقة المتأخرة من 21 - 18 سنة^٥.

وفيما يلي المراحل الزمنية للمراهقة:

٣-١- المراهقة المبكرة:

تمتد هذه الفترة من بداية البلوغ إلى ما بعد وضوح السمات الفسيولوجية الجديدة بعام تقريبا، وهي تتسم باضطرابات مثل القلق، التوتر والصراع النفسي، وبصفة عامة هذه المرحلة تتميز بأنها فترة تقلبات عنيفة وحادة مصحوبة بتغيرات في مظاهر الجسم ووظائفه. مما يؤدي إلى الشعور بعدم التوازن وظهور الصفات الجنسية الثانوية وضغوط الدوافع الجنسية التي لا يعرف المراهق كيفية كبحها أو السيطرة عليها، وعادة ما تظهر الاضطرابات الإنفعالية على شكل ثورات مزاجية حادة مفاجئة وتقلب دوري ما بين الحزن والفرح والشعور بالضيق وعدم معرفة ما سيحدث له^٦.

٣-٢- المراهقة الوسطى:

تمتد هذه المرحلة من ١٥-١٨ سنة وتتميز بشعور المراهق بالنضج والاستقلالية وتعتبر هذه المرحلة قلب مراحل المراهقة حيث تنضج فها مختلف المراحل المميزة لها، كما تتميز هذه المرحلة بالشعور بهدوء والاتجاه إلى تقبل الحياة بكل ما فيها من اختلافات أو عدم الوضوح والقدرة على التوافق، كما يتميز المراهق هنا بطاقة هائلة وقدرة على العمل وإقامة علاقات متبادلة مع الآخرين ومن المميزات الخاصة بهذه المرحلة ما يلي:

^١ خليل ميخائيل معوض: "سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)"، الطبعة الثالثة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٣٣٠.

^٢ محمود عطا حسين عقل: "النمو الإنساني"، دار الخرجي، الرياض، ١٩٩٣، ص ٣٣٧.

^٣ رمضان محمد القادي: "علم النفس الطفولة والمراهقة"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٥٣.

^٤ حامد عبد السلام زهران: "علم النفس النمو الطفولة والمراهقة"، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧٣، ١٠٨.

^٥ سيد محمد الطواب: "سيكولوجية النمو الإنساني"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٢٣-٣٢٤.

^٦ حامد عبد السلام زهران: "علم النفس النمو الطفولة والمراهقة"، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١١-١١٥.

- الشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

- الميل إلى مساعدة الآخرين.

- الاهتمام بالجنس الآخر على شكل ميول واقامة علاقات مع الآخرين.

- وضوح الاتجاهات والميول لدى المراهق.

٣-٣- المراهقة المتأخرة:

تمتد هذه المرحلة من حوالي ١٨-٢١ سنة وهي فترة يحاول فيها المراهق إعادة لم شتاته ويسعى من خلالها إلى توحيد جهوده في إقامة وحدة متألّفة من مجموع أجزائه ومكونات شخصيته، ويتميز المراهق في هذه المرحلة بالقوة والشعور بالاستقلالية ووضوح هويته والالتزام بالمسؤولية ويشير الباحثون إلى أن مرحلة المراهقة المتأخرة تعتبر مرحلة التفاعل وتوحيد أجزاء الشخصية والتناسق فيما بينها بعد أن أصبحت الأهداف واضحة والقرارات مستقلة^١.

٤- أشكال المراهقة ودور المعاملة الوالدية:

٤-١- المراهقة المتوافقة (المتكيفة):

تتميز المراهقة المتوافقة بالاعتدال والتوازن والهدوء النسبي والميل إلى الاستقرار والاعتدال العاطفي والخلو من العنف والتوترات كما تتميز بالتوافق مع الوالدين والأسرة عموماً والتوافق المدرسي الذي أهم ما يميزه النجاح الدراسي، بالإضافة إلى التوافق الاجتماعي والرضا عن النفس والاعتدال في الخيالات وأحلام اليقظة.

ومن بين أهم العوامل التي تؤدي إلى المراهقة المتوافقة ما يلي:

- المعاملة الوالدية (الأسرية) المتفاهمة التي تتسم بالحيوية والمرونة واحترام رغبات المراهق.

- توفير الجو المناسب وحرية التصرف في الأمور الخاصة.

- توفير جو من الثقة والصراحة بين الوالدين والمراهق في مناقشة مشكلاته بتقدير من والديه والاعتزاز به.

- ارتفاع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة بحيث توفر له مختلف الحاجات المادية والضرورية.

- شغل وقت الفراغ بالمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والرياضية للسلامة الجسمية والصحية العامة.

- الميول العقلية الواسعة والقراءات المختلفة^٢.

٤-٢- المراهقة المنحرفة:

في هذا النوع من المراهقة يوجد انحلال خلقي تام وانهياب نفسي وبعد عن المعايير الاجتماعية في السلوك والانحرافات الجنسية، بلوغ الذروة في سوء التوافق كما يتميزون بالفوضى والاستهزاء.

ومن بين أهم العوامل لهذا النوع من المراهقة مايلي:

- مرور المراهق بخبرات قاسية أو صدمات عاطفية عنيفة.

^١ كامل محمد عويضة: "علم نفس النمو"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦٣-٦٤.

^٢ مروة شاكرا الشربيني، "المراهقة وأسباب الانحراف"، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٦، ص ٧٨.

- انعدام الرقابة الوالدية أو ضعفها.
- قسوة الوالدين في معاملة المراهق.
- تجاهل رغبات المراهق.
- مختلف العوامل الصحية والجسمية كالاختلال الغددي والضعف البدني.
- سوء الحالة الاقتصادية للوالدين.
- الفشل الدراسي.

٣-٤- المراهقة الانسحابية المنطوية:

يتسم هذا النوع من المراهقة بالانطواء والاكنتئاب والتردد والخجل والقلق والشعور بالنقص كما يتميز بنقد النظم الاجتماعية والثورة على الوالدين، الاستغراق في أحلام اليقظة التي تدور حول موضوعات الحرمان من الحاجات غير المشبعة، والاتجاه نحو النزعة الدينية بحثا عن الخلاص من مشاعر الذنب.

- اضطراب الجو الأسري.
 - السيطرة والتسلط الوالدي.
 - تركيز الوالدين على النجاح الدراسي والتفوق مما يثير قلق الأسرة وقلق المراهق.
 - جهل الوالدين لوضع المراهق الخاص في الأسرة وتربيته بين إخوته.
- يتأثر هذا النوع من المراهقة بعدة عوامل منها:

٤-٤- المراهقة العدوانية المتمردة:

تتميز هذه المراهقة بالتمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع والانحرافات الجنسية والعدوان على الإخوة والزملاء كذلك التعلق الزائد بالروايات والمغامرات والشعور بالظلم ونقص تقدير الذات.

ولعل العوامل المؤثرة في هذا النوع من المراهقة هي:

- التربية الضاغطة والقاسية والمتسلطة الممارسة من قبل الوالدين.
- صرامة الوالدين في التعامل مع أبنائهم.
- تركيز الوالدين على النواحي الدراسية فقط.^١

٥- مطالب النمو في مرحلة المراهقة:

- تكوين علاقات جديدة ناضجة مع رفاق السن من الجنسين.
- إكتساب الدور الاجتماعي الجنسي السليم.
- تقبل التغيرات الجسمية والتوافق معها.

^١ عبد الفتاح دويدار: "سيكولوجية النمو والارتقاء"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٥٦-٢٥٨.

- تحقيق شئ من الاستقلال الاقتصادي.
 - إختيار مهنة معينة ومحاولة تحقيق الإشباع الجسدي والعقلي والاجتماعي والانفعالي.
 - الإعداد والاستعداد للزواج والحياة الأسرية.
 - تكوين المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع.
 - معرفة واكتساب السلوك الاجتماعية وتحمل المسؤولية الاجتماعية وممارستها.
 - تحقيق الاستقلال العاطفي عن الوالدين والأصدقاء.
 - اكتساب القيم الدينية والاجتماعية ومعايير الأخلاق في المجتمع باعتبارها موجبات للسلوك السوي والمقبول اجتماعيا.^١
- ٦- جوانب النمو لدى المراهق:

١-٦- النمو العقلي:

تعتبر الفترة من 14 إلى 16 فترة توجيه مهني وتوجيه دراسي لأن القدرات الخاصة تظهر فيها بوضوح، وفي هذه الفترة ينمو خيال المراهق نموا ضعيفا وينتقل التفكير من المحسوسات إلى المجردات أو المعقولات، كما يتجه تفكيره إما إلي وراء الطبيعة من خالق مدبر وجنة ونار، وبعث وحساب ويميل المراهق إلى التفكير الديني وإلى الاعتماد على المنطق أكثر من اعتماده على الذاكرة والحفظ الآلي، والمراهقون في هذه المرحلة يفضلون تقليد من يختارونه من الأبطال ليكون مثلهم الأعلى.^٢

٢-٦- النمو الانفعالي:

إن المراهقة مرحلة عنيفة من الناحية الانفعالية حيث تختلج نفسية المراهق ثورات تمتاز بالعنف والاندفاع، كما يساوره من آن لآخر أحاسيس بالضيق والتبرم والزهد، ولقد اختلف الباحثون في تقسيم بواعث هذه الاضطرابات الانفعالية التي تسود حياة المراهق، فهناك من يرجعها إلى ما يطرأ من تغيرات على إفرازات الغدد، وهناك من يرجعها إلى العوامل البيئية التي تحيط بالمراهق.

ومن مظاهر النمو الانفعال لدى المراهق مايلي:

- الحساسية الزائدة: المراهق مرهف الحس في بعض أموره، تسيل مدامعه سرا أو جهرا ويندوب أسى وحزنا حينما يمسه الناس بنقد هادئ.
- الكآبة: يتردد المراهق أحيانا في الإفصاح عن انفعالاته وعن نفسه خشية أن يثير نقد الناس ولو موضوعيا فينطوي على ذاته، ويلوذ بأحزانه وهمومه وهواجسه و يتعد عن صحبة الناس.
- الاندفاع: يندفع المراهق أحيانا وراء انفعالاته حتى يصبح متهورا يركب رأسه، فيقدم على الأمر ثم ينخدل عنه في ضعف وتردد ويرجع باللوم على نفسه، ولذلك سرعان ما يستجيب لسلوك الجمهرة الصاخبة الثائرة في طيش قد يرمي به إلى التهلكة.^٣

^١ عبد الرحمان العيسوي: "سيكولوجية النمو دراسة في نمو الطفل والمراهق"، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص ٣٦-٣٨.

^٢ عبد الفتاح دويدار: "سيكولوجية النمو والارتقاء"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٥٢-٢٥٤.

^٣ محمود عطا حسين عقل: "النمو الإنساني"، دار الخريجي، الرياض، ١٩٩٣، ص ٣٣٠.

٦-٣- النمو الجسمي:

في هذه المرحلة تنمو الغدد الجنسية وتصبح قادرة على أداء وظائفها ف التناسل، وهذه الغدد الجنسية عبارة عن المبيضين عند الأنثى ويقومان بإفراز البويضات ويحدث الطمث عند الفتاة نتيجة لانفجار البويضة الناضجة في المبيض، ويؤدي ذلك إلى نزول دم الحيض وهو دم أحمر قان ويحدث أول حيض للفتاة ما بين 9-14 سنة ويتوقف تحديد هذا السن على عوامل سلالية وفسولوجية ووراثية وبيئية، ويطلق على مظاهر النضج الجنسي عند البنين والبنات اصطلاح "الصفات الجنسية الأولية" ولكن يصاحب النضج الجنسي ظهور مميزات أخرى يطلق عليها اصطلاح "الصفات الجنسية الثانوية" مثلا عند البنات تنمو عظام الحوض بحيث تتخذ شكل حوض الأنثى، واختزان الدهن في الأرداف ونموهما ونمو الشعر فوق العانة وتحت الإبطن وكذلك نمو أعضاء أخرى كالرحم والمهبل والثديين، وعند الذكور نمو شعر الذقن والشارب وخشونة الصوت. أما الغدد التناسلية في الذكر فهي الخصيتان، وتقوم بإفراز الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية. عرفنا أنه يمكن تحديد النضج الجسمي عند الفتاة بظهور أول حيض أما عند الفتى فإننا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة أول عملية قذف، ولذلك يمكن تحديد بداية البلوغ عند المراهق عن طريق ملاحظة "الصفات الجنسية الثانوية" كظهور شعر العانة وخشونة الصوت وبروز العضلات. وإلى جانب نضوج الغدد الجنسية في الذكر والأنثى فإن هناك بعض التغيرات التي تحدث في إفرازات الغدد الصماء^١.

٦-٤- النمو الاجتماعي:

تتميز العلاقات الاجتماعية في مرحلة المراهقة بأنها أكثر تمايزا، وأكثر اتساعا وشمولا عنه في مرحلة الطفولة، فبنمو الفرد تزداد آفاق علاقاته الاجتماعية وتتسع لتتابع مراحل النمو المضطرد، وتستمر عملية التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية.

وباتساع دائرة العلاقات الاجتماعية خلال التفاعل الاجتماعي يتخلص المراهق من بعض جوانب الأثرة والأنانية التي تطبع سلوكه في مرحلة الطفولة، فيحاول أن يأخذ ويعطي ويتعاون مع الآخرين، وأثناء تفاعل المراهق وتعامله تتأكد لديه مظاهر الثقة بالنفس، وتأكيد الذات، ولذا نجد ميل المراهق للعناية بمظهره وملبسه وطريقة حديثه، ويتولد لدى المراهق شعور بالولاء والانتماء لجماعة الرفاق.

ويتأثر النمو الاجتماعي السوي الصحيح في المراهقة بالتنشئة الاجتماعية من جهة والنضج من جهة أخرى، وكلما كانت بيئة الطفل ملائمة كلما ساعده ذلك على أن يكون علاقات اجتماعية ملائمة عندما تتسع دائرة معاملاته.

ويتضح تألف المراهق مع الأفراد الآخرين فيما يلي:

- يميل إلى الجنس الآخر.
- الثقة وتأكيد الذات.
- الخضوع لجماعة الأقران.
- يدرك العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد الآخرين.
- إتساع دائرة التفاعل الاجتماعي.

^١ الآية ٥٩ سورة النور.

- التمرد، السخرية.

- التعصب، المنافسة.^١

٧- محددات شكل المراهقة:

يمكن تحديد العوامل التي تشير إلى شكل المرحلة كالتالي:

- عوامل تتعلق بسرعة التغيرات الجسمية والاجتماعية والانفعالية ويترتب عليها ظهور

- حاجات واهتمامات إذا حققها المراهق كما ينبغي مرت مراهقته بسلام.

- عوامل تتعلق بغموض البيئة الجديدة للمراهق فإن استطاع أن يكتشفها ويحقق قدرا من الانسلاخ عن أساليبه الطفيلية ويستبدلها بأساليب أرقى في تعامله أمكنه أن يعيش مراهقته هادئة متكيفة.

- عوامل تتصل بالرفاق والراشدين، إن كانت مواقفهم قائمة على التفهم والمساعدة علي تخطي المشكلات بتهيئة أجواء التعاون والتفكير الجماعي وإشباع الحاجة إلى الجماعة، مرت المراهقة دون مشاكل تذكر.

- عوامل تتعلق بكثرة الإحباطات التي قد يواجهها من أسرته أو من المجتمع كأن تكون الأسرة نابذة له ولتطلباته أو توفير المجتمع فرصة عمل مناسب له، وإذا اشتدت الإحباطات فإنها تبعث في نفسه اليأس والقنوط، فيلجأ إلى تحقيق أمانيه عن طريق أحلام اليقظة أو استخدام الحيل الدفاعية كالإسقاط والتبرير.

- عوامل تتعلق بخبرات المراهق السابقة كتدريبه علي تحمل المسؤولية والاعتماد علي النفس وتنمية القيم الدينية عنده وتوفير فرص التوجيه والإرشاد المناسب له ومروره بالخبرات السارة.

- عوامل أسرية تتعلق بأساليب المعاملة الوالدية، فإن كانت متوازنة بعيدة عن التساهل والإهمال والتسلط أدى ذلك إلى أن تكون مراهقته متكيفة.

كل تلك العوامل تساهم في خلق مراهقة لكنها لا تعمل منفردة لكنها في تفاعل دينامي، ومعاناة الفرد من الاضطرابات في هذه المرحلة ترجع إلى الفترات الحرجة في حياته والتغيرات النفسية والاجتماعية والتكوين النفسي له بسبب التنشئة وخبرات الطفولة.^٢

٨- المراهقة في البيئات المختلفة:

تحتل المراهقة مركزا مرموقا في الثقافات والبيئات والجماعات المختلفة، فمن الناس من يحيطها بتقاليد خاصة، ومنهم من يؤكد أهمية بدءها عند الفتاة أو الفتي ومنهم من يحتفل بنهايتها.

فالثقافة الإسلامية الشرقية ترسم الخطوات الرئيسية والعلاقات الاجتماعية لصلة المراهق بأهله وذويه، لقوله تعالي :
(وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).^٣

^١ فؤاد البهي السيد: "الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٣٢-٢٣٣.

^٢ وليم ماستر زورالف سبيتز: "المراهقة والبلوغ"، ترجمة رزوق خليل، دار المناهل، ١٩٩٨، ص ١٣٥.

^٣ منذر عبد الحميد الضامن: "علم نفس النمو"، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٥، ص ٨٧.

ويهتم سكان "الأسكا" بالفتاة عندما تبلغ حيث يقيمون لها كوخا منعزلا عن القبيلة ويحبسونها فيه نهارا لمدة تبلغ ما يقرب من ستة أشهر، ولا يسمحون لها بمغادرة هذا الكوخ إلا ليلا فترافقها أمها في جولة قصيرة ترجع بعدها الفتاة إلى كوخها، وعلمها أن تتعلم وهي في سجنها الصناعات المنزلية المختلفة التي تتطلبها حياتها الزوجية المقبلة، وعلمها أيضا أن تمتنع عن تناول الطعام لفترات زمنية مختلفة، لتتدرب علي الصبر وإنكار الذات وعلي الأعمال الشاقة، وعندما ينتهي سجنها يقيمون لها حفلا كبيرا تعلن فيه هي عن فضائلها ومميزاتها، وعندئذ يتزوجها أحد رجال القبيلة بعد غروب الشمس علي هيئة دائرة يرقص في وسطها الرجال، وتدفع كل أم بابنها المراهق إلي وسط الدائرة لتعلن بدء استقلاله عنها. يختبر رجال القبيلة شجاعته ومهارته وقوته، فيضربونه ضربا مبرحا وقد يحطمون بعض أسنانه، ويجذبونه من شعره بقسوة، ويأمرونه أن يقفز فوق النيران المشتعلة، فإذا صبر علي جميع هذه المكاه كما يصبر الرجل القوي، فإنهم يعلنون بلوغه ويشمونهم بوشم خاص، ويحق له بعد ذلك أن يلبس ملابس الرجال وأن يحارب معهم، أما إذا بكى وفشل في امتحانه فإنهم يرجعونه إلي أمه حتى ينضج.

ويؤكد بعض البيئات الأوروبية أهمية الرشد أو نهاية المراهقة، حيث يقيمون في انجلترا حفلا كبيرا للفتي حينما يبلغ ٢١ سنة، وتقدم له أسرته مفتاحا كبيرا من الورق يرمز إلي الحرية^١

٩- المشكلات النفسية في مرحلة المراهقة:

يتميز المراهق بسعيه لإشباع حاجاته وتحقي ق طموحاته الجديدة وإقباله علي الحياة، وهو في الأثناء يعيش مشكلات وتغييرات عديدة، فهو يتعامل مع أناس أكبر منه سنا، وتتعدد صداقاته، ويتولد لديه الميل إلي أفراد الجنس الآخر، ويحاول أن يصل إلي النضج من خلال القيام بأعمال تجلب له حب الآخرين واحترامهم ورضاهم، وي مكن إجمال المشكلات التي يواجهها المراهق فيما يلي:

- التحدث في صورة أكثر لياقة ولباقة.
- التصرف بحساسية مع الأشخاص غير الميالين إليه.
- الرغبة في الحصول علي حب أكثر من قبل الآخرين.
- محاولة زيادة الثقة في النفس.
- الإحساس بالقلق والتوتر في المواقف الاجتماعية.
- الشعور بالأهمية في المجتمع والجماعة التي ينتمي إليها.
- عدم تحمل المثل العليا المفروضة من المجتمع.
- عدم القدرة علي التحكم في مختلف الانفعالات.
- سرعة الإثارة والاهتياج.
- القلق من أمور بسيطة.
- التصرف بعصبية.

^١حاتم محمد آدم: "الصحة النفسية للمراهقين"، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢٥-٢٦.

- أحلام اليقظة.

- الإحساس بالذنب نتيجة ما يقوم به من تصرفات.

- رفض تسلط الآخرين.

- عدم الثقة في النفس.

- الإحساس بعدم الاستقرار.

- التصرف بطرق قد يرفضها المجتمع.

- الحساسية الزائدة وسرعة الاستثارة.^١

كما يعيش الفرد في هذه المرحلة أزمة هوية حادة، حيث يسأل نفسه من أنا؟ حيث يتوجب عليه بناء هوية اجتماعية ثقافية ومهنية، وإلا فإنه سيعيش اضطراب الدور في سن الرشد، وهنا تبرز أهمية المعاملة الوالدية التي يجب أن تتيح للمراهق فرصة اكتشاف الأدوار الاجتماعية المختلفة وبأسلوب صحي وسليم، فاكتماب الأدوار بوضوح يؤدي إلى تشكل هوية واضحة، أما في حال عدم وضوح الأدوار الاجتماعية التي تنتظر الفرد، فالنتيجة هي اضطراب وغموض الهوية.^٢

١٠- الصحة النفسية للمراهق ودور المعاملة الوالدية:

تعتبر الأسرة الشكل الأول من أشكال الحياة، من خلالها ينمو إحساس المراهق بالأمن والتقبل، والمراهقة المتوافقة انعكاس لحياة أسرية مستقرة خالية نسبياً من الصراعات يقوم فيها الوالدان بدور مميز في بناء شخصية المراهق من خلال معاملتهم له، والأساليب غير المتوازنة من المعاملة تجعله عرضة للإصابة بالأمراض النفسية.

ويؤكد العديد من الباحثين والعلماء على أن المعاملة السيئة تشعر المراهقين بفقدان الأمن، وتضع في أنفسهم بدور التناقض الوجداني، وتنمي فيهم مشاعر النقص والعجز عن مواجهة مصاعب الحياة وتعودهم كبت انفعالاتهم وتوجيه اللوم إلى أنفسهم، وعندما يكبرون توقظ صراعات الحياة الجديدة الصراعات القديمة لديهم فتظهر الاضطرابات النفسية. من أوائل الذين تناولوا أثر المعاملة الوالدية في إصابة الأبناء بالمرض النفسي، فرويد Freud الذي يرى أن ما يزرعه الوالدان في نفوس الأطفال خلال السنوات الأولى سيظهر لاحقاً على شخصياتهم، إذ تنمي المعاملة القاسية فيهم مشاعر عدم الاطمئنان الذي يجعلهم يلجئون إلى أساليب توافقية غير مناسبة لجذب الانتباه كالغيرة، والعدوان، والعزلة

* مارسيل موس MAUSS Marcel (١٩٧٢ - ١٩٥٠) عالم اجتماع، و انتروبولوجي فرنسي، تأثر بفكر أستاذه و قريبه إميل دوركهايم، دخل موس معترك الحياة العلمية و الإنتاج المعرفي في حضم المنعطف الحاسم الذي عرفه الفكر السوسولوجي في فرنسا المتمثل في وضع قطيعة إب ستيولوجية مع الفلسفة و انتشار الأفكار الوضعية و إمكانية دراسة المجتمع بأدوات العلوم الصحيحة. فكانت انطلاقتها المبكرة في الكتابة السوسولوجية، و من ثم انخرط في دراسة الأديان والسحر و مورفولوجيا الحياة الاجتماعية للإسكيمو و الصلاة و الهبة وتقنيات الجسد، وعلاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى و الأسس الأخلاقية للقانون و السياسة وغيرها من المواضيع، إضافة إلى مئات التعليقات النقدية على الكتب و مختلف البحوث المنشورة، و ما ساعد ه في ذلك معرفته لعدة لغات منها الإنجليزية و الألمانية و اللاتينية والسنسكريتية و السلتنية و لاسكندنافية.

إن أشهر أعمال موس و التي ساهمت بشكل كبير في إرساء أسس علمي الاجتماع و الأنتروبولوجيا، هي دراسته لظاهرة "الهبة" التي ترجمت لعدة لغات أوروبية وغيرها.(أنظر: مارسيل موس، بحث في الهبة: شكل التبادل و علته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، بيروت، يناير ٢٠١١، ص ١٠ و ١١).

^٢ مارسيل موس، بحث في الهبة: شكل التبادل و علته في المجتمعات القديمة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

المبالغة في الحب والحماية الاستعداد للإصابة بالأمراض النفسية، إلا أن شعور الأبناء بعدم الأمن في علاقتهم بوالديهم يسبب لهم القلق وأشارت هورني **Horney** إلى أن الذي يدفعهم إلى اتخاذ أساليب توافقية مختلفة للتخفيف من حدته، ومع مرور الزمن تثبت هذه الأساليب في شخصياتهم فيصبحون عدوانيين أو مبالغين في الخضوع، وقد يتخذون لأنفسهم صورا مثالية غير واقعية أو يغرقون في الإفراق على ذواتهم لكسب تعاطف الناس، كما أن التدليل يحطم ثقتهم في أنفسهم ويشعرهم بالنقص في قدراتهم، ويرى أدلر **Adler** أن ذلك يسلبهم استقلالهم واعتمادهم على ذواتهم، ويزرع فيهم الاعتقاد بأن العالم كله لهم، ويعمق العقاب البدني مشاعر النقص لديهم ويجعل النقد الزائد عن الحد نظرهم سلبية نحو التعاون والعلاقات الاجتماعية مع الآخرين، وتؤدي السخرية إلى شعورهم بالخوف. أما إريكسون **Erikson** فيرى أن الثقة في الذات والآخرين والعالم تنشأ من خبرات الرعاية الأولى التي تخلق لدى الأبناء الإحساس بالتقبل، والفشل في تكوينها يشعرهم بأنهم لا يستطيعون الثقة فيمن حولهم، مما يؤدي إلى التشكك والخوف من الرفض وتوقع الخذلان والتقدير السلبي للذات، ويحدد اختلاف هذا الإحساس أساس المواجهة الناجحة لضغوط الحياة في مراحل العمر التالية.

ويرى بيك **Beck** أن الرفض والإهمال يؤديان إلى تكون مفهوم سلبي عن الذات يجعل الطفل يركز على جوانب الفشل، هذا التصور يمتد إلى العالم من حوله فيشعر بأنه غير آمن فيبالغ من شأن ما يواجهه من أحداث ويقلل من شأن قدرته على مواجهتها مما يزيد من شعوره بالعجز وعدم القيمة فيصاب بالاضطرابات النفسية. ويؤيد ذلك راتر **Rutter** الذي يرى أن عدم وجود علاقات آمنة بين الطفل ووالديه يشعره بعدم الثقة والكفاية، مما يزيد من تأثره بالضغوط والعجز.

ويذهب كل من بالدوين **Balduin**، ونويل **Nowel**، وبارش وزملائه **Burch & others** إلى أن المعاملة الوالدية تؤثر على النمو الجسدي والانفعالي، وأن المعاملة المتسلطة تؤدي إلى الانعزال والهدوء غير السوي وعدم القدرة على التعامل مع الآخرين مما يستلزم خضوع الأبناء للعلاج النفسي.

كما يعتقد إريكسون **Erikson** أن المراهق يعيش أزمة نفسية واجتماعية حيث تتولد لديه جملة من المشاعر التي لم يألفها من قبل، فيشعر أن لديه دوافعه الخاصة التي يجب أن يحترمها الآخرون، غير أن نقص خبرته بالحياة وبالآخرين تجعل تعامله قاصرا ومحدودا ويتسم بالنظرة الضيقة، فينتج عن هذا الوضع الصراع في تحديد الهوية، فهو يفكر في شيء والواقع شيء آخر، وهنا علي الوالدين الاستمرار في حماية المراهق ومساعدته علي تحقيق الإشباع العاطفي والمادي، وفي الوقت نفسه تشجيعه علي اكتساب الثقة بالنفس ومدحه والثناء عليه بطريقة واقعية وحثه علي الاعتماد علي نفسه والانتماء الجماعي الإيجابي الذي يساعده علي فهم وتحديد أدواره الاجتماعية المستقبلية¹.

مما سبق يمكن القول أن نمو الأبناء السوي وغير السوي يرتبط بدرجة كبيرة بمعاملة الوالدين، فإذا كانت قائمة على إشاعة الأمن وإشعار الأبناء بالتقبل نموا واثقين من أنفسهم وإمكانياتهم، وانعكس ذلك بالإيجاب على صحتهم النفسية واتجاهاتهم نحو الحياة وعلاقتهم بالآخرين، أما إذا كانت قائمة على إثارة مشاعر الخوف والإحساس بالرفض ترتب على ذلك أن يكونوا عرضة للاضطرابات النفسية وجنوح الأحداث.

¹ نفس المرجع، ص ١٣.

خلاصة:

إن تجاوز الاضطرابات النفسية والاجتماعية التي يمر بها المراهق مرتبط إلى حد بعيد بالوسط الأسري وبالتحديد بالمعاملة الوالدية، فالأسرة التي تتميز بالمناخ السوي والصحي من حيث اعتدال قنوات الاتصال **Canaux de communication** وتوازن الأدوار والابتعاد عن أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة (من قبيل التسلط والإهمال واللامبالاة والتدليل المفرط والحماية الزائدة والتفريق بين الأبناء والتغيب الوالدي **Absentéisme parental** لسبب أو لآخر...)، سوف تهيء لأبنائها فرص اكتساب السلوك السوي والقدرة علي مواجهة الحياة، أما الأسرة المفككة والتي تتميز بشكل خاص باضطراب قنوات الاتصال وأساليب المعاملة الوالدية الخاطئة، فإنها لا شك ستكون بيئة ملائمة للاضطرابات النفسية وكل ما يتصل بها من أعراض مرضية معرفية وانفعالية وجسدية، ناهيك عن جنوح الأحداث **Délinquance juvénile** والجريمة. إضافة إلى الأسرة فإن المجتمع يجب أن يتحمل مسؤولياته تجاه الشباب من خلال تخطيط سياسة عامة بالرجوع إلى الباحثين والمتخصصين تشمل العديد من التخصصات والمؤسسات والهيئات (مثل المدرسة والجامعة والمسجد والإعلام والفضاءات الافتراضية وغيرها) وأيضاً الجمعيات والنوادي العلمية والثقافية والفنية والرياضية وتوجيهها بشكل عملي وواقعي نحو تهيئة الظروف المختلفة من أجل بناء الشاب السوي والمواطن الصالح ومن ثمة المجتمع المتماسك والناجح.

قائمة المراجع:

- ١- الحافظ نوري: "المراهق دراسة سيكولوجية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.
- ٢- امتثال زين الدين الطفيلي: "علم النفس النمو من الطفولة إلى الشيخوخة"، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٣- حاتم محمد آدم: "الصحة النفسية للمراهقين"، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ٤- حامد عبد السلام زهران: "علم النفس النمو الطفولة والمراهقة"، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٥- خالد محمد أبوشعيرة ثائر الغباري: "سيكولوجية النمو الإنسان بين الطفولة والمراهقة"، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ٢٠٠٩.
- ٦- خليل ميخائيل معوض: "سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)"، الطبعة الثالثة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٤.
- ٧- عبد الرحمان العيسوي: "المراهق والمراهقة"، دار النهضة العربية، بيروت، 2005.
- ٨- عبد الرحمان العيسوي: "سيكولوجية النمو دراسة في نمو الطفل والمراهق"، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- ٩- عبد الفتاح دويدار: "سيكولوجية النمو والارتقاء"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣.
- ١٠- رمضان محمد القدافي: "علم النفس الطفولة والمراهقة"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- ١١- سيد محمد الطواب: "سيكولوجية النمو الإنساني"، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٩٣.
- ١٢- فؤاد البهي السيد: "الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.

- ١٣- كامل محمد محمد عويضة: "علم نفس النمو"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- ١٤- محمود عطا حسين عقل: "النمو الإنساني"، دار الخريجي، الرياض، ١٩٩٣.
- ١٥- مروة شاكر الشريبي: "المراهقة وأسباب الانحراف"، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٦.
- ١٦- منذر عبد الحميد الضامن: "علم نفس النمو"، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٥.
- ١٧- منصور محمد جميل يوسف وآخرون: "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، دار تهامة، جدة، ١٩٨٩.
- ١٨- وليم ماسترزورالف سبيتز: "المراهقة والبلوغ"، ترجمة رزوق خليل، دار المناهل، ١٩٩٨.

نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية: قراءة في الإرث الأنثروبولوجي

زهرة عباس، طالبة دراسات عليا، جامعة مستغانم-الجزائر

ملخص:

مما لا شك فيه أن تبادلنا للهدايا يتكرر كل يوم بمناسبة وبدون مناسبة، فهي ذات تأثير على الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد كونها تدخل ضمن ممارساتنا اليومية اللاواعية في بعض الأحيان، كما تشكل ظاهرة اجتماعية تحكمها قواعد عرفية وشرعية وحتى قانونية (الهبة). هذا بالنسبة لما يميز هذه الظاهرة في عصرنا هذا إلا أن الإرث الأنثروبولوجي يؤكد أن تبادل الهدايا في كثير من الشعوب والقبائل البدائية كان يعتبر أهم أنظمة التبادل التي لها أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

الكلمات المفتاحية: التبادل، القبائل البدائية، الهدايا، نظام، مكانة.

مقدمة :

إن كل نظام اجتماعي هو جزء من وحدة متناسقة، ولا يمكن فهم هذا النظام إلا إذا درس في ضوء علاقته بالكل، وبذلك يكون على الباحث- من وجهة النظر الوظيفية- أن يأخذ في الحسبان عاملين أساسيين يلعبان دورا تبادليا وفا علا في هذا النظام الاجتماعي أو ذلك، وهما : النموذج الذي يعرفه الأفراد ويؤثر في سلوكهم من جهة، والثقافة التي ينشئون عليها والتي تعنى بتلبية الحاجات الكلية للمجتمع من جهة أخرى، وذلك لأن الأنظمة الاجتماعية لا يمكن أن تؤدي وظيفتها إلا كجزء من المجموع الكلي للثقافة.

فقد كانت المجتمعات البدائية تعتمد في اقتصادها على الإنتاج والاستهلاك، سواء في الأسرة أو القبيلة مما يحقق الاكتفاء الذاتي حيث كانت تسد معظم حاجياتها بفضل التبادل مع الجماعات الأخرى، وتتميز هذه القبائل البدائية بنظام اقتصادي يعرف بتبادل الهدايا و المقايضة، وهو ما التمسناه عند قراءتنا للإرث الأنثروبولوجي من خلال ما توصل إليه الإثنوغرافيين عند دراستهم لمجموعة من القبائل البدائية.

قبائل جزر محيط الهادي و شمال الغرب الأمريكي :

بولينيزيا و ميلانيزيا وهما قبائل تسكن جزر المحيط الهادي إضافة إلى قبائل شمال الغرب الأمريكي، قام بدراستها مارسيل موس* من خلال ما تم تدوينه وتوثيقه من أحداث حول تلك المجتمعات، مع بعض الأدلة المكملة من الآداب الرومانية المبكرة والهندوسية والجرمانية، وبتفصيل أكثر نلجأ إلى تعبيره عن المنهج الذي استعان به حيث يقول : " لقد اتبعنا في بحثنا منهجا مقارنا دقيقا، وكما هو الحال دائما لم نتطرق إلى موضوعنا إلا انطلاقا من مجالات جغرافية- ثقافية مختارة: بولينيزيا (Polynesie) وميلانيزيا (Melanesie)، وشمال الغرب الأمريكي، وكذلك بعض التقاليد القانونية العريقة. إضافة إلى ذلك، لم نخترب طبيعة الحال إلا المدونات القانونية، التي بفضل الوثائق والأعمال الخاصة بفقهاء

اللغات استطعنا الولوج من خلالها إلى وعي المجتمعات بذاتها، فالأمر يتعلق هنا بالكلمات والأفكار، وقد ضيق هذا من حيز المقارنات التي أجريناها^١.

كان هدفه دراسة الشكل القديم للتبادل والتزاماته الثلاثة (العطاء، القبول، ورد العطاء)، وسؤال البداية التي انطلق منه هو: لماذا يكون الرد على الهدية بالهدية ملزماً رغم أن العملية برمتها، تبدو في الظاهر على الأقل قائمة على المجانية وحرية قبولها أو الرد عليها؟ وكشف عن نظام البوتلاتش الذي يركز في أساسه على أن يقوم الشخص من ذوي المكانة والمركز الاجتماعي في هذه القبائل بتوزيع نوع معين من الأغذية الصوفية على الضيوف في حفل رسمي كبير، وبعد فترة من الزمن يرد الضيوف هذه الأغذية في حفل رسمي كبير أيضاً بعد مضاعفة ما أخذوه منه في الأصل^٢.

وهذا التبادل الذي يتم بين أفراد المجموعة تصاحبه دائماً بعض الطقوس والشعائر، وتعمل هذه الأخيرة على حفظ حقوق أطراف العلاقة في الأخذ والرد، ولذلك فإنها تحقق الاستقرار الاجتماعي وتدعم أواصر العلاقات بين القبائل. "ويلجأ الأفراد في حفل كبير إلى إحراق هذه الأغذية ذات القيمة الاجتماعية العالية وبعض ممتلكاتهم ليظهروا ترفعهم عن الأشياء المادية ويدعون غيرهم من الأشخاص الذي يحضرون حفل البوتلاتش إلى مجاراتهم، فكلما أحرق أو أتلّف الشخص هذه السلع المادية كلما دع ذلك إلى اكتساب المزيد من الشرف والمكانة الاجتماعية المرموقة. يعتبر نظام البوتلاتش أقدم النظم الاقتصادية في المقايضة والتبادل والتجارة، ويتضمن عنصرين هامين هما القرض والكرامة، والظاهر أن تبادل الهدايا يتم بشكل إرادي إلا أنه يحوي صفة إلزامية فيه، فمن وجهة نظر موسى فالأفراد الذين يشتركون فعلاً في عملية التبادل يمثلون القوانين الأخلاقية للجماعة، وفي نفس الوقت تقوي وتعزز هذه القواعد والقوانين"^٣.

تكشف ظاهرة تبادل الهدايا حسب موسى، بوصفها "ظاهرة اجتماعية كلية" وتدرس بشموليتها ومجمل أنساقها، أي بأبعادها الدينية والقانونية والأخلاقية والاقتصادية، السياسية والمورفولوجية، الجمالية والأسطورية، كما أن الالتزامات المتضمنة المذكورة أنفاً يتم التعبير عنها رمزياً مع إعطاء أهمية للموضوع المتبادل. كما يؤكد على أن الموضوعات المتبادلة لا تنفصل كلياً عن البشر الذين يقومون بتبادلها، مما يؤسس لمجتمع مشترك وأحلاف متينة يصعب حلها، وهذا ما هو إلا تعبير مباشر لتجنب الصراع المستمر وبالتالي التحالف والتضامن والسلم^٤. وكان لهذه الدراسة تأثيرها العميق فيما بعد على الأنثروبولوجيا الاقتصادية، والرمزية، وعلى دراسة القرابة والزواج.

الهبّة واللاوعي الجمعي..!

وهكذا يتضح لنا مما تقدم أن مارسيل موسى حاول أن يدرس التبادل بوصفه أساس الروابط الاجتماعية وأهميته في التنظيم الاجتماعي، ومعرفة أشكاله وتطوراتها وما يتعلق به من أخلاق وقوانين ورموز، كما لم يمنح التجريد النظري أهمية تذكر بالمقارنة مع اهتمامه وتقديره للوقائع الاجتماعية الحية والمعاشة في الواقع اليومي

^١ عدلي أبو طاحون، النظريات الاجتماعية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دون سنة، ص ٤٠١.

^٢ عبد الله عبد الرحمن تيم، "المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موسى نموذجاً"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٦، البحرين، ٢٠١١.

^٣ خليل السعداني "كتاب الهبة لمارسيل موسى" موقع أنثروبوس، تصفح يوم ٢٦/٠٥/٢٠١٥، على الساعة ٢٣:٠٦

<http://www.aranthropos.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8>

^٤ مارسيل موسى، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

إذا كان المفكر الفرنسي قد نجح في تفسير الأسباب الداعية إلى تقديم الهبات، فإنه لم يكن مقنعا في توضيح دواعي إعادتها وهذه النقطة التي أثارها تلميذه كلود ليفي شتراوس، حيث يرى موس أن للأشياء الموهوبة روح تدفعا للعودة إلى مالكيها الأصليين، وتحدث عن مفهومين هما "هاو" و"مانا" تمثلان روح الأشياء استقاهما من الحكيم تماتي رانايبيري الذي ينتهي إلى شعب الماوري (السكان القدامى لنيوزيلندا)، "فالهاو" يسعى إلى العودة إلى مكان ولادته في الغابة والعشيرة ولدى مالكيه على وجه الخصوص، ولهذا الهبات في البوتلاتش تتحرك بشكل دائري لتعود إلى نقطة بدايتها^١.

فالملفت أن موس اكتفى بنقل تصورات الأفراد الممارسين أو ذهنياتهم - كما يفضل رواد مدرسة الحوليات الفرنسية تسميتها- لهذا النوع من التبادل وتفسيرهم حول عودة الشيء المهدي إلى مالكيه الأصلي، ولم يحاول أن يتساءل لماذا كانت تفسيراتهم على هذا النحو؟ فهو بهذا قد تجرد من ثوب السوسولوجيا واكتفى بالوصف الاثنوغرافي، وهنا مربط الفرس الذي أفلته موس!! خصوصا أنه لم يكتفي بمعايشة تلك القبائل وملاحظتها، بل كان مهورا أيضا بالاطلاع على الأدب الرومانية والهندوسية والجرمانية كما ذكرنا سابقا، لينتقل إلى دور الباحث في اللسانيات والأدب ليعتبر أن الهدية لغة بما تحمله من رموز، وليس هذا بغريب عن موس لأنه يجيد عدة لغات من بينها الإسكندنافية لغة مجتمع البحث، فنجده مهتما بالقصائد والمقاطع الشعرية ولعل ما يفند ذلك أنه وضع كتصدير لمقالته حول الهبة مقاطع شعرية ويقول: "إليك بعض المقاطع الشعرية من "الهفامال" إحدى أقدم القصائد الشعرية من الإذا الاسكندنافية. إنها تصلح أن تكون تصديرا لهذا العمل، وذلك لأهميتها في وضع القارئ بشكل مباشر في جو الأفكار والوقائع التي ستجري في إطاره البرهنة على صحة ما نذهب إليه"^٢.

ولأن مارسيل موس أحد أهم رواد مدرسة الحوليات الفرنسية، فتبقى أعماله كغيره من الرواد موسومة باهتمام الشديد لاستقراء العالم الذهني. والواضح أن طريقة تعاملهم مع الذهنيات إنما انطلقت من رؤية شمولية/كلية لا تجزئ الحوادث التاريخية ولا الظواهر الثقافية المتصلة بها عن ارتباطاتها (البيئية/الحضارية) العامة التي أسهمت في توليدها وصياغتها، ولعل هذه المقاربة للمسائل الذهنية إنما هي نتاج تأثرهم بأطروحات الأثنولوجيين من جهة وعلماء النفس من جهة أخرى، فضلا عن أطروحات مارسيل موس و متبناه الفكري الذي يرى: بأن الظواهر الاجتماعية ليست مجردة لأنها

^١ جعفر نجم نصر، "الأثروبولوجيا التاريخية: الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية"، ط ١، دار اوما للطباعة والنشر، العراق، ٢٠١٣، ص ٨٢.

^٢ حسب مدرسة الحوليات الفرنسية فإن المراد بالذهنيات: "مجموعة المواقف والسلوكيات الثقافية الظاهرة أو المستترة ضمن سياقات اللاوعي الجمعي والتي بموجبها تعبر عن الجوانب المعنوية واللاحسية لتجربة الانسان والجماعة ضمن بيئاتها الاجتماعية والمتجسدة في المعتقدات أو العمليات الدينية والموروث الثقافي، فضلا عن مجموعة التصورات العقلية إزاء بعض القضايا الوجودية الانسانية والبيئية المتعددة". (جعفر نجم نصر، المرجع السابق، ص ٧٨-٧٩).

تشكل كلا معقدا ومتشعبا^١. ومسألة الهبة تدخل ضمن حيثيات الذهنية^٢ الثقافية، بوصفها مسألة تدخل في حيز الاستعداد والموقف والسلوك في الوقت ذاته لأنها تعبر عن منظومة ثقافية اجتماعية مترسخة في اللاوعي الجمعي^٣.

جزر التروبرياندا وأستراليا:

لقد استعان مالينوفسكي* بدراسة مارسيل موس حول الهبة كأساس في دراسته لنظام الكولا، الذي يعني نوعا من الاتفاق والتعاقد عن طريق تبادل الهدايا بين قبائل أرخبيل التروبرياندا الميلانيزي Trobriand في المحيط الهادي كما يمارس في بعض جزر ماليزيا وأستراليا^٤. والكولا نظام شعائري تتبعه القبائل الماليزية التي تعيش في منطقة جزر واحدة، تنتشر على شكل حلقة وتكون دائرة مغلقة للتبادل، وفي نطاق هذه الدائرة يتبادلون خلال احتفالات كبرى بعض السلع ذات القيمة اقتصادية وهي عقود من الأصداف الحمراء وأساور من الأصداف البيضاء.

فكان قبائل التروبرياندا يتداولون "فايغوا" وهي نوع من العملة التي تنقسم إلى نوعان "موالي" وهي عبارة عن سوار جميل منحوت ومصقول من محار البحر ويحمله مالكة أو والداه في المناسبات الكبرى، أما النوع الثاني "سولافا" وهو عقد من الأصداف اللؤلؤية الحمراء، وتحمله النساء بشكل احتفالي والرجال بصفة استثنائية في حالات الاحتضار،^٥ ويوضح موس بأن "فايغوا" مصنفة حسب الجنس فالعقود مذكر والأساور مؤنثة لذلك يميل كل منها نحو الآخر بشكل يشبه التزاوج، وتسير "سولافا" في اتجاه عقارب الساعة- أي من الشرق إلى الغرب- بينما تسير "موالي" في الاتجاه المعاكس ويتم تبادل هاتين السلعتين في كل نقطة من نقاط الدائرة، ويتبع ذلك حفلات ومراسيم وطقوس وسحر، ويقوم الزائر وخاصة إذا كان من ذوي المكانة الرفيعة بتقديم هداياه من النقود، مثلا للشخص الذي اعتاد التبادل معه ويأخذ معه في مقابل ذلك بعض الأساور التي تهدى إليه نظير هديته في هذا الحفل الرسمي الكبير الذي أقامه أهل الجزيرة والمشاركون في عملية التبادل هذه يستلمون الأشياء لفترة من الزمن ولكنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا بها إلى الأبد، لأنه يتوجب عليهم تمريرها في خط السير المرسوم لها كما تجري العادة.^٦

وقد يذهب الرجال في رحلات الكولا خالي الوفاض لا يحملون أي هدايا ليقدموها إلى شركائهم، بل ليقدموها بندهايم تذكره بأن عليهم دين شرف قد أن أوان سداده، يتحقق النجاح في الكولا كما يظن من يمارسونها بإجراء طقوس سحرية لتهدئة الشريك وجعله يشعر بأنه كريم يستطيع أن ينتظر، والأساس التي يقوم عليها هذا التبادل المؤجل هو أن كل هدية تقدم يجب أن تساوي الهدية المستلمة، وهذا واجب مقدم الهدية فهو الذي يجري التقديرات. ويحدث أحيانا أن يتأخر

^١ نفس المرجع، ص ٨٦.

* ولد الأنثروبولوجي البريطاني سنة ١٨٨٤ بمدينة كراكاو KRAKOW في بولندا، وحصل على درجة الدكتوراه في الطبيعة والرياضيات ١٩٠٨، ولكنه تحولت اهتماماته إثر قراءته لكتابات السير جيمس فريزر "FRAZER" ليسافر إلى إنجلترا ١٩١٠ ليتلمذ على يد وستمارك وغيره من خيرة العلماء. وفي سنة ١٩٢٢ قام بنشر دراسته الشهيرة المذكورة أعلاه عن جزر التروبرياندا في شرق غينيا الجديدة، ويصبح بذلك من أهم رواد الأنثروبولوجيا الوظيفية. (أنظر: محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، ج ٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٣١).

^٢ محمود أبو زيد، نفس المرجع، ص ١٤٠.

^٤ مارسيل موس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٢-٢٥٣.

^٥ علماء شكري وآخرون، "دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩١، ص ٥٩.

^٦ طالبات قسم الاجتماع، "الهدية كشكل من أشكال العلاقات الاجتماعية: دراسة استطلاعية"، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ، ص ٦.

الشخص في رد الهدية المناسبة؛ ولذلك يتوجب عليه أن يقدم بعض الهدايا الصغيرة من حين لآخر حتى تتاح له فرصة تقديم الهدية المناسبة،^١ والملفت فيها ما يدل على تفكير الناس في أمور الريح والكسب والمساومة، ومع أن الكولا يصحبه أحياناً نظام مقايضة تجاري ثانوي لسلع تجارية ضرورية، وكذلك يصحبه تبادل للهدايا والخدمات إلا أن هذا التبادل التجاري ليس هو الأساس الذي تقوم عليه حلقة الكولا.

ويميز الأهالي بين الكولا والمقايضة ولذلك يعيبون أحياناً على الشخص طريقته في تبادل الكولا فيقولون أنه "يقوم بالكولا كما لو كان يقوم بعملية مقايضة"، فهذه العملية ليست عملية تجارية تقوم على المساومة أو إلى حساب أو تقدير قيمة الهدية. والمبدأ الآخر هو أن العرف والتقاليد تحتم على الرجل الذي يقبل هدية من شخص آخر أن يرد إلى المهدي ما يقابل هديته، ولكن لا يتعرض هذا الشخص لأي نوع من القهر أو القسر أو الضغط المادي لرد الهدية بمثلها^٢

ويرى مالينوفسكي أن شريك الكولا يشتري المجد كما يشتري الصداقة، فشركاؤه الذين يعيشون في جزر نائية يستطيع أن يعتبرهم حلفاء ويتوقع منهم الحماية، فالمكاسب الاجتماعية بما فيها الحصول على الشهرة والصيت هي الأساس في هذه العملية، فالتهادي في هذه الحالة يؤكد الروابط الاجتماعية والهدايا لا تعطي اعتباراً وإنما هي تقدم لمقابلة بعض الالتزامات الاجتماعية المحددة.

هدفت الدراسة إلى تغيير تلك النظرة الضيقة لبعض علماء الاقتصاد والأنثروبولوجيا حول اقتصاد المجتمعات البدائية، حيث يُعتقد أن التبادل فيها يقوم أساساً على إشباع حاجات اقتصادية وأنه مبني على الريح والكسب، ولذلك حاول مالينوفسكي إثبات أن روح السوق التي توجد في المجتمعات الغربية تنعدم في المجتمعات البدائية. فنظام التبادل في المجتمعات البسيطة- جزر التروبرياندا- يعتمد أساساً على أهمية التبادل الرمزي للهدايا والتنازل عن الثروة وتجاوز ما هو مادي، وما يمكن أن يحققه من تلبية لحاجات الفرد النفسية والاجتماعية نتيجة للتوقعات والالتزامات التي يتضمنها هذا التبادل وهو ما أراد مالينوفسكي أن يعرضه.

مالينوفسكي بين المطرقة والسندان :

يعد مالينوفسكي أحد الرواد والمهتمين بالعمل الاثنوغرافي الذي يهدف إلى فهم رؤية الفرد وعلاقته بالحياة ليتسنى لنا أن نفهم وندرك رؤيته للعالم، وينطلق فكره بوجه عام حول نظريته عن الثقافة من بديهيتين رئيسيتين هما:

- كل ثقافة بصرف النظر عن مدى تقدمها أو تخلفها يجب أن تشبع الرغبات والحاجات البيولوجية للإنسان وبذلك توجد فرصة حقيقية للاستقرار ولتقدم المجتمع.

-الاتجاه الثقافي ما هو إلا تدعيم آلي وتلقائي للفيسيولوجيا البشرية.^٣

إذن فالثقافة والرموز التي تحملها هي مجرد أداة أو وسيلة لإشباع الحاجات الغريزية الأساسية لدى أفراد المجتمع مثل الجوع والتناسل والمأوى. وهذه هي المشكلة التي واجهها مالينوفسكي إذ أنه بدأ بالاهتمام بالعمل الاثنوغرافي والوصف المستفيض عن الثقافة، وانتهى إلى طمس البناء المعنوي للظاهرة الثقافية بصورة عزلت الفكر البشري عن الواقع

^١ علياء شكري وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.

^٢ محمود أبو زيد، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

^٣ السيد حافظ الأسود، "الأنثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها"، ط ١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٧٥.

الاجتماعي، وألغت دوره البنائي في المجتمع، فالعادات والتقاليد والعرف تتأصل في الممارسة اليومية وتلعب دورها ليس في التفكير والرموز والتصورات بل في الغريزة والوجدان والرغبة والحجج الأساسية.

ف نجد أن الفرنسي بورديو قد تنافى رأيه مع ما جاء به مالينوفسكي، حيث حاول التعريف بحقيقة أن الجوانب الثقافية والرمزية والاجتماعية يجب أن تحظى بأولوية التحليل الاجتماعي، وقد نجم عن هذا أن بورديو قد نظر إلى الموضوعات المادية والاقتصادية من منظور ثقافي رمزي وليس إلى أسس مادية. فالثقافة لا تنفصل عن الواقع الاجتماعي ولا على آليات السوق والاقتصاد، فكما أن الثروة الاقتصادية تحتاج إلى رأسمال مادي من أجل أن تتعامل بفاعلية مع النظام الاقتصادي، فنفس المنطلق ينطبق على الثقافة، فالكفاءة الثقافية في أشكالها المختلفة والمتعددة تؤلف رأسمالا ثقافيا رمزيا من خلال دخولها في علاقات موضوعية وفاعلة مع نسق الإنتاج الاقتصادي.¹

لقد وجه انتقاد لمالينوفسكي حول دراسته لنظام الكولا، من قبل الأنثروبولوجي البريطاني "إدموند ليتش" والذي يعتبر وظيفي على شاكلته من حيث الارتباط بالواقع الاجتماعي، فيتساءل "ليتش": لماذا حلقة الكولا مستمرة في حين أنها تكون بلا فائدة نفعية؟ ليمتلص مالينوفسكي ويبرر موقفه بأنه ليس من مهمة الاثنوغرافي أن يدخل تفسيرات خاصة في مادته، ليقرر ليتش أن مالينوفسكي كان مخطئا من خلال إقناعنا بأن هذا السلوك لا بد أن تكون له غاية نفعية.² فقد كانت قيمة تلك الأشياء- الأساور والأصداف- التي لا تصلح للزينة ولا تنفع بالمعنى الضيق للكلمة، اجتماعية في الأساس : فلقد كانت تعيد تنظيم الشبكات الاجتماعية وترتيبها.³

والجدير بالذكر أن ملاحظات مالينوفسكي كانت مركزة بشكل شبه حصري على المبادلات الاحتفالية بين الرجال، جاءت دراسات حديثة قامت بها على وجه الخصوص الأنثروبولوجية الأمريكية أنات واينر Annette Weiner عام ١٩٧٦، لتوسع آفاق دراسات مالينوفسكي فرأت أن شبكات التبادل والأشياء المتبادلة مقتصرة على جنس واحد، وهي تساهم في التحديد الاجتماعي للذكورة والأنوثة فالنساء أيضا لهن تبادلاتهن . كما أن المبادلات الاحتفالية كانت مصحوبة بمقايضة سلع نفعية أشار إليها مالينوفسكي ولكنه أهمل تحليلها.⁴

خاتمة:

تشير الدراسات الأنثروبولوجية لمارسيل موس و مالينوفسكي وغيرهم التي حاولت فهم آليات المعاملات الاقتصادية والتبادل داخل القبائل البدائية، فتوصلت إلى أن تبادل الهدايا شكل من أشكال التبادل الاجتماعي التي تلعب دورا مهما في الحياة الاجتماعية، فيتلخص مبدأ التبادل في إعطاء شيء مقابل شيء آخر قد يكون مكافئا أو غير مكافئ له، فهو إذن أخذ و عطاء وليس هناك تبادل بالعطاء فقط أو بالأخذ فقط، فلا يقتصر على تبادل الخيرات أو المنافع المادية بل يتعداه إلى تبادل رمزي للأفكار والمعتقدات وأنماط السلوك . وهو نفس ما يذهب إليه ابن خلدون إلى أن التبادل يجمع بين الاجتماعي والاقتصادي، وهو قيام الإنسان بتحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعراض عنها.

¹ ربيع كردي، "البنائية الجديدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا"، ط ١، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٠.

² فيليب لابورت تولرا، جان- بيار فارنبييه، "إثنولوجيا أنثروبولوجيا"، تر: مصباح الصمد، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٠٣.

³ نفس المرجع، ص ٣٠٣.

(1) أبو نصر الفارابي: "الحروف"، تحقيق محسن مهدي، بيروت ١٩٧٠، ص ١٣٧-١٣٨.

خلاصة القول، أن ما تبدو عليه نظريا نظم التبادل في كثير من الثقافات الإنسانية البدائية طوعية وربما تلقائية، لكن في الواقع هي ملزمة تأخذ طابع الواجب، كما أنه تبادل متكافئ بحيث يتم تبادل سلع متساوية القيمة وأن لم تساويها فالواجب تعويضها بسلع إضافية أخرى . وعلى الرغم من بساطة هذا النظام إلا أنه ينطوي على كثير من العناصر والعلاقات المتشابكة، فالمبادلة يجب أن تتم في جو يسوده الرسميات والتكلف والجد والوقار ويجب الاستعداد له بالقيام بالشعائر المختلفة. ولعل كتابتنا لعنوان ورقتنا العلمية مصطلح نظام التبادل بدل أنظمة /نظم كانت مقصودة، لأنه وباستعراضنا لما سبق ستكتشف أن النظام منتشر ومشارك بين الثقافات المذكورة آنفا، والذي يتصل بظاهرة هامة من الظواهر الأخلاقية والاجتماعية وهي تبادل الهدايا أو التبادل الودي على حد تعبير كارل بولاني، والذي يتبعه التبادل الرمزي إلا أن الاختلاف يكمن في التسمية، فلك ثقافة لغتها الخاصة ومعتقداتها.

قائمة المراجع:

١. مارسيل موس، "بحث في الهبة: شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة"، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، بيروت، يناير ٢٠١١.
٢. عدلي أبو طاحون، "النظريات الاجتماعية المعاصرة. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دون سنة.
٣. عبد الله عبد الرحمن يتييم، " المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موس نموذجاً"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ٦، البحرين، ٢٠١١.
٤. خليل السعداني "كتاب الهبة لمارسيل موس " موقع أنثروبوس، تصفح يوم ٢٦/٥/٢٠١٥، على الساعة ٢٣:٠٦
<http://www.aranthropos.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8>
٥. محمود أبو زيد، "أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر"، ج٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.
٦. علياء شكري وآخرون، " دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية "، دارا لمعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.
٧. طالبات قسم الاجتماع، " الهدية كشكل من أشكال العلاقات الاجتماعية: دراسة استطلاعية"، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ.
٨. ربيع كردي، " البنائية الجديدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا "، ط ١، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١.
٩. السيد حافظ الأسود "الأنثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها"، ط ١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١.
١٠. جعفر نجم نصر، الأنثروبولوجيا التاريخية: الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية"، ط ١، دار اوما للطباعة والنشر، العراق، ٢٠١٣.



الأصول القرآنية لمصطلحات الفارابي المنطقية (الكليات الخمس)

أ. نصيرة كشوط/جامعة الجزائر ٢

ملخص :

التأصيل القرآني لألفاظ الفارابي المنطقية (الكليات الخمسة) هي دراسة استقرائية لأصل المصطلح المنطقي في لغة الفارابي المنطقية من خلال خطوتين الأولى تهدف إلى إبراز منهجه في استحداث مصطلحات العلوم والمعارف عامة والمنطق على وجه الخصوص من خلال التأصيل المنهجي لاستحداث المصطلحات وضبط التصورات المنطقية بينما نبين من خلال الخطوة الثانية تطبيق ذات المنهج وإبراز طريقة تحديد المصطلح المنطقي ومنهج ضبط المفهوم اللغوي الشائع في الثقافة العربية من خلال آلية ضبط المفاهيم اللغوية لتحديد التصورات المنطقية للمصطلحات (الكليات الخمس: الجنس، النوع، الفصل، العرض، الخاصة) التي حددها الفارابي في منهجه لتحري لغة المنطق العربي.

الكلمات المفتاحية: الكليات الخمسة، الفارابي، المصطلح المنطقي، الجنس، النوع، الفصل، العرض، الخاصة، منهج الفارابي، التأصيل القرآني، ألفاظ المنطق. لغة الفارابي المنطقية.

التأصيل المنهجي لاستحداث المصطلحات وضبط التصورات المنطقية:

لقد حدد (الفارابي) نشأة منظومة المصطلحات الخاص بكل صناعة وعلم، وفسّر تكوينها وبين أسباب استقرارها، وشرح كيفية انتشارها، إذ تكون نشأة المصطلحات في كل صناعة من الصنائع بداية وحسب (الفارابي) باتفاق الناس على ألفاظ محددة فيما بينهم، معروفة معانيها ودلالاتها لهم، وقد يستعمل الواحد لفظة في الدلالة على شيء ما عند مخاطبة غيره، فيحفظ السامع ذلك اللفظ ويستعمله عند مخاطبة المُتَشَيء الأول للفظ، فيكون الاصطلاح والتواطؤ على ذلك اللفظ، ثم يخاطبان غيرهما إلى أن يشيع وينتشر استعماله وتوظيفه عند جماعة، لينتقل بعد ها من جماعة إلى أخرى، وبالطريقة ذاتها تنتشر ألفاظ ومصطلحات أخرى في بلد آخر على أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون في أمورهم فتصبح تلك الألفاظ متداولة، مشكلة بذلك منظومة معينة بألفاظ محددة ودلالات متفق عليها، والأمر ذاته يحدث مع كل جماعة من الأفراد المتخصصين في كل صناعة من الصناعات، حتى أصبح لكل علم أو صناعة منظومة مستقلة من الألفاظ والمصطلحات تميزه عن غيره من العلوم والصنائع وتبرز منهجه في معالجة ومناقشة وتحليل المعرفة المتخصصة فيها، حتى إذا ذكر لفظ معين عرف إلى أي صناعة ينتسب، ووضّحت دلالاته وتبيّن معناه بحسب ما حدد له في المنظومة الاصطلاحية للصناعة التي ينتمي إليها، والأمر ذاته في مختلف الصناعات المتعارف عليها.

لكن إن حدث أن دخلت صناعة لم توجد قبلا في لغة أمة ما، فإنها وبالضرورة لا تتوفر على ألفاظ معبّرة عن دلالات تلك الصناعة، الأمر ذاته الذي حدث في تاريخ الفكر العربي مع مرحلة النقل والترجمة عن ثقافات أخرى، خاصة الثقافة اليونانية، ودخول علوم ومعارف جديدة جملة وتفصيلا على الحضارة العربية، وعلى لغتها ولسانها، علوم كان لا بد من وضع منظومة من الألفاظ والمصطلحات لها، على حسب معارف وموضوع كل صناعة وكل علم، وذلك من أجل إدراك موضوعاتها وفهم مناهجها والاستقاء من معارفها، ومصطلحات المنطق العربي تجسيدا لذلك وتطبيقا له، في التراث

العربي عامة، لأنه صناعة مستحدثة ومعارف جديدة، وفي مثل هذه الحالات المعبرة عن فترات مرحلية في تاريخ كل فكر تتكرر في مختلف الحضارات، كلما جد جديد في المجال العلمي، أو عند حدوث حركة فكرية ما تمخضت عنها انساق معرفية جديدة، في مثل هذه الحالات تلج الضرورة على استحداث منظومة من الألفاظ والمصطلحات تعبر عن المعارف الجديدة وتقرها إلى الأذهان.

وهو الأمر الذي شغل (الفارابي) بالنسبة إلى لغة المنطق، الذي كان آنذاك دخيلاً على الحضارة العربية، مستحدثاً على لغتها، جديداً على معارفها، فأخذ (الفارابي) على عاتقه هذه الإشكالية، وراح يفحص اللغة ويدقق المعارف المنطقية، باحثاً عن المنهج الملائم لنقل موضوعات صناعة المنطق اليوناني مع دقة معناها، وتحديد دلالتها في اللغة العربية، ليصل إلى منهجية صارمة ودقيقة في نقل المواضيع سواء المنطقية، أو المواضيع المعرفية لمختلف العلوم والصناعات الأخرى، في استحداث منظومة الألفاظ والمصطلحات الخاصة في كل علم وصناعة، إلى طريقة منهجية تعتمد حالتين: "الأولى: أن يُخترع لها أسماء لم تكن تُعرف عندهم من قبل. والثانية: أن يُنقل إليها أسماء اقرب الأشياء التي لها أسماء عندهم، فإذا كانت منقولة كلها أو بعضها عند أمة أخرى، فربما استعملت أسماء ما نقل عنها في الدلالة عليها، بعد أن يغير تلك الألفاظ تغييراً تصير بها حروفها وبنيتها، حروف أمته وبنيتها، ليسهل النطق بها عندهم"⁽¹⁾ وما يساعد على استحداث الألفاظ والمصطلحات، وتحديد دلالتها هو تتبع الخطوات التي وضعها (الفارابي) من أجل ذلك وهي:

أولاً: أن يبحثوا في الألفاظ التي كانت الأمة الأولى تعبر بها عن معانيها، وفي ثقافتهم ولغتهم، عن معنى مشترك لما تعبر عنه الألفاظ، فلين توفقوا في إيجاد تطابق للمعاني بين لغة الأمتين، أخذوا من ألفاظ أمتهم ما يعبر عن معاني ألفاظ الأمة المنقول عنها، وجعلوها أسماء وحدوداً لتلك المعاني الفلسفية والمنطقية"⁽²⁾

ثانياً: إذا وجدوا أسماء عامية، غير معلومة عند أمتهم، وليس لها عندهم أسماء، وكانت تلك المعاني التي عند الأمة الأولى، تشابه معاني أخرى عامية معلومة عند الثانية، ولهم عندهم ألفاظ، فالأفضل ألا يأخذوا هذه الألفاظ، بل ينظروا إلى اقرب الأشياء شَبَّهاً بها من معانيهم العامية، ويأخذوا ألفاظها ويسموا بها تلك المعاني"⁽³⁾

ثالثاً: إذا وجدت معانٍ سميت عند الأمة الأولى بأسماء اقرب إلى الأشياء العامية، شَبَّهاً بها عندهم، وعلى حسب تخيلهم للأشياء، وكانت تلك المعاني اقرب شَبَّهاً عند الأمة الثانية على حسب تخيلهم بمعانٍ عامية، فلا ينبغي على الأمة الثانية أن تسمي تلك المعاني بنفس التسمية الموجودة عند الأمة الأولى، بل يجب ألا تتكلم بها"⁽¹⁾

رابعاً: إذا كانت عند الأمة الأولى معانٍ، ولا توجد عند الأمة الثانية معانٍ تشبهاً أصلاً، "فإنما أن تخترع لها ألفاظ من حروفهم، وإما أن يشترك بينها وبين معانٍ أخرى تتفق معها في العبارة، وإما يعبر بها بألفاظ الأمة الأولى، بعد تغيير يسهل على الأمة الثانية النطق بها، على أن هذا المعنى سيكون غريباً جداً عند الأمة الثانية"⁽²⁾

خامساً: أما إذا كان هناك معنى فلسفي يشبه معنيين من المعاني العامية، ولكل واحد منهما اسم معين عند الأمتين، وكان اقرب شَبَّهاً بأحدها، فينبغي أن يسمى باسم اقرب شَبَّهاً به"⁽³⁾

(2) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(3) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(1) زينب عفيفي: "فلسفة اللغة عند الفارابي"، دار قباء، مصر ١٩٩٧، ص ١١٥.

(2) المرجع نفسه، ص ١١٦.

هذه هي القواعد والأسس التي وضعها (الفارابي)، بمثابة المنهج القويم لاستحداث الحدود والمصطلحات، خاصة في مرحلة النقل والترجمة للعلوم والمعارف من لسان إلى آخر، يختلف عنه في الحضارة والثقافة واللغة، هي قواعد منهجية عامة ومطلقة، عمل (الفارابي) على تطبيقها في مختلف أعماله الفلسفية بصفة عامة والمنطقية على وجه الخصوص، باعتبارها علوماً ومعارف منقولة عن الحضارة اليونانية، ذات اللغة والثقافة المختلفة عن الحضارة العربية بلغتها وثقافتها. فكان بذلك أول من وضع القواعد، وطبقها بمنهجها الذي حدده وضبط معالمه، فقدم منظومة اصطلاحيّة جديدة، مؤسساً بذلك نسقاً خاصاً في تاريخ المنطق العربي، نسقاً جاء كاملاً وشاملاً بفضل "مهارته اللغوية في تلخيص طرق نقل الألفاظ المجهولة عند العرب، والتي لم تُلمّهم حياتهم الفكرية اللجوء إليها، وقد جاءت محاولته في وقت شعر فيه المترجمون والنقلة بمشكلة المعاري والمترادفات، بعد انتشار العلوم الدخيلة، والتباس مضامين ومعاني ألفاظها"⁽¹⁾. وهو المنهج الذي سنبين ونوضح طريقة العمل به، وكيفية تطبيق خطواته من خلال دراسة ألفاظ الكليات الخمسة وتتبع التأصيل المفاهيمي لها من اللغة القرآنية وإبراز طرق ضبط تصوراتها المنطقية الأقراب في المعنى للمفاهيم الأصلية لها والأكثر وضوحاً بألفاظ اللسان العربي، لتكون دعامة البناء النسقي للمنطق الفارابي على وجه الخصوص ومرجع لغة المنطق باللسان العربي عامة. وسيكون بذلك تطبيق المنهج الفارابي في استحداث منظومة الحدود المنطقية باللغة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى سيكون إبرازاً وتحديداً لهذه المصطلحات والحدود وضبطاً لتصوراتها المنطقية، باعتبار أن حدود الفارابي المنطقية تمثل الحلقة المفقودة في تاريخ المصطلح المنطقي عند العرب، إذا ما تصفحنا مختلف الرسائل في الحدود والرسوم الفلسفية بصفة عامة والمنطقية على وجه الخصوص.

الكليات الخمس تأصيلاً وتحريراً وتأثيراً على لغة المنطق العربي:

الجنس لغةً: "بالكسر وسكون النون في اللغة ما يعم كثيرين، وهو الضرب من كل شيء وما دل على شيء وعلى كل ما أشبهه"⁽¹⁾ وفي عرف النحاة هو "اسم يصح إطلاقه على القليل والكثير كالماء فإنه يطلق على القطرة وعلى البحر"⁽²⁾ ويدل الجنس على "الكثرة تضمننا، بمعنى أنه مفهوم كلي لا يمنع شركة الكثير فيه، لا بمعنى أن الكثرة جزء مفهومه"⁽³⁾

كما ورد لفظ "الجنس" في لغة الشعر العربي القديم، إذ حدد (ابن منظور) في لسان العرب معناه اللغوي بالضرب من كل شيء وجمعه أجناس وجنوس، وكان متداولاً في الشعر القديم بهذا المعنى في وصف (الأنصاري) للنخيل بقوله:

تخيرتها صالحات الجنو س، لا استميل ولا أستقيل"⁽⁴⁾

لم يتطرق (جابر ابن حيان) في رسالته في الحدود والرسوم إلى لفظ أو حد "الجنس" بصفة مباشرة ومحددة وإنما أتى على ذكره عندما تطرق إلى "الحد" باعتباره مأخوذاً من الجنس والفصول المحدثّة للنوع. كما أن (الكندي) هو الآخر لم يأتي على ذكر حد أو لفظ "الجنس" في رسالته في الحدود والرسوم م لا على سبيل الذكر مع حد آخر ولا على سبيل التخصيص بتقديم شرح أو تفسير له.

(3) أبو نصر الفارابي: المصدر السابق، ص 137.

(1) زينب عفيفي: المصدر السابق، ص 118.

(1) التهانوي: "كشاف اصطلاح الفنون"، تحقيق علي درجوح، مكتبة لبنان، ط 1، 1996، ص 302.

(2) القاضي الفاضل عبد النبي: "موسوعة مصطلحات جامع العلوم"، ص 335.

(3) الكفوي: الكليات، "مؤسسة الرسالة"، بيروت، ط 2، 1993، ص 338.

(4) ابن منظور: "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، لبنان 1965، ج 3، ص 383.

يبدأ (الفارابي) بضبط التصور المنطقي لحد "الجنس" في قوله: "الجنس أعم المحمولين البسيطين اللذين يتشابه به شيئا في جوهرهما؛ مثل حيوان بالنسبة إلى زيد وعمر، وهو أعم كليين يليق أن يجاب بهما في جواب ما هو هذا الشخص، وكل جنس هو أعم من النوع الذي تحته فإنه يحمل على أكثر من نوع واحد" ⁽¹⁾. بمعنى أن الجنس أعم صفة جوهرية كلية تعبر عن ماهية الشيء ذاته، وتتحدد بالإجابة عن السؤال: ما هو هذا الشيء؟. "وكل جنس فهو أعم من النوع الذي تحته، فإنه يحمل على أكثر من نوع واحد، وكذلك كل نوع أخير فإنه يحمل على أكثر من شخص واحد" ⁽²⁾ أي أن الجنس وبما أنه أعم من النوع الذي تحته فإنه يحمل على عدة أنواع وبالمقابل فإن كل نوع أخير فإنه دائما يحمل على أكثر من شخص واحد. وعليه يمكننا التأكيد هنا على أن لفظ "الجنس" الذي ضبط (الفارابي) تصوره المنطقي هو أول من وضعه ووظفه منطقيًا في تاريخ المنطق العربي لأنه حتى وإن كان كمفهوم أصولي موجودا بمعناه الخاص إلا أنه كلفظ ومفهوم لغوي لم يتم ذكره على الإطلاق كما أنه لم يكن شائعا بل حتى انه لم يكن متداولًا أو معروفًا لا في لغة الشعر العربي القديم ولا في لغة القرآن الكريم، وبالتالي يمكننا التأكيد على أن (الفارابي) أول من وضع الحد وضبط التصور ضبطًا دقيقًا باللغة العربية واتبعه في ذلك من جاء بعده، إما بالاكْتفاء بالمعنى ذاته، وإما بإضافة أبعاد جديدة إلى جانب ما أكده (الفارابي).

النوع:

النوع لغة: "والنوع بالضم: الجوع، يقال رماه الله بالجوع والنوع، وجمعه نياح، يقال قوم جياح نياح" ⁽¹⁾ وهو كذلك "اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص، وهو صنفان؛ نوع حقيقي ونوع إضافي" ⁽²⁾

لم يرد في رسالة الحدود والرسوم (لجابر بن حيان) لفظ "الزهر" كحد ضبط مفهومه مثل باقي الحدود، وإنما ورد على سبيل الذكر في نص توطئة في الحد حين أكد بأن: "الغرض بالحد هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة، حتى لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل فيه ما ليس منه، لذا صار لا يحتمل زيادة ولا نقصانًا إذا كان مأخوذًا من الجنس والفصول المحدثة للنوع، إلا ما كان من الزيادات من آثار فصوله المحدثة لنوعه بالكل لا بالجزء، كالضحك للإنسان وذي الرجلين فيه وأشبه ذلك" ⁽³⁾ بمعنى أنه لا يحتمل الحد الزيادة كما لا يحتمل النقصان، وإلا دخل ما ليس موجودا فيه في نوع هذا الحد، فتحصل الزيادة في النوع المحدود إذا كان هناك نقصان في الحد، أما إذا كانت زيادة فيه حصل النقصان من المحدود بالضرورة. وهذا حتى يبين (جابر بن حيان) أن الحد محدد بالنوع والجنس والفصل ومتى كان خلل سواء بالزيادة أو النقصان في الحد أو تصوره فإنه يؤثر على ما يدخل تحت النوع والجنس. لكنه لم يضبط مفهوم النوع لا منطقيًا ولا لغويًا، كما لم يحدد كيفية قوله. كما لا نجد ذكرا للفظ "النوع" في رسالة الحدود والرسوم عند (الكندي) لا على سبيل الذكر ولا التخصيص. بينما يعرف (الفارابي) في البداية حد "النوع" تعريفًا بسيطًا حتى يقرب إلى الذهن العربي تصوره المنطقي بقوله "أعم المحمولين البسيطين اللذين يتشابه به شيئا في جوهرهما يسمى الجنس، وأخصهما

(1) أبو نصر الفارابي: "نص التوطئة"، تحقيق رفيع العجم، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص ٢٦، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق؛ محسن مهدي، ط ٢، دار المشرق، لبنان، ١٩٨٢ ص ٦٧.

(2) أبو نصر الفارابي: "إيساغوجي"، تحقيق رفيع العجم، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص ٧٧.

(1) ابن منظور: "لسان العرب"، ج ١٤ ص ٣٣١.

(2) الجرجاني: "التعريفات"، دار الكتاب العالمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨ ص ٢٤٧.

(3) عبد الأمير الأعسم: "المصطلح الفلسفي عند العرب"، رسالة جبر ابن حيان في الحدود والرسوم، ص ١٨٦-١٨٦.

هو النوع" ⁽¹⁾ بمعنى أن النوع أخص محمولين بسيطين يتشابهان به في جوهرهما، أي أنه يجمع الكثيرين بالعدد على طبيعة واحدة، أي أنه "المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد، وهو ما يحمل على الشخص ويليق أن يجاب به في جواب ما هو، ولا يحمل على كلي أصلا، وإنما يحمل على الأشخاص فقط، والأشخاص التي نوعها الأخير واحد بعينه هي المختلفة بالعدد مثل زيد وعمر وخالد" ⁽²⁾

الفصل :

الفصل لغة: شاع لفظ الفصل في لغة العرب الأوائل بمعنى "البؤن ما بين الشيتين، والفصل من الجسد هو موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل، وهو كذلك الحاجز بين الشيتين" ⁽³⁾ فورد في لغة الشعر العربي لفظ "الفصل" بمعاني مختلفة، فكانت بمعنى الحاجز بين الشيتين في قول ابن سيده:

وصلا وفصلا وتجمعا ومفترقا فتقا ورتقا وتأليفا لإنسان

ووردت بمعنى خرج قول أبو ذؤيب:

وشيك الفصول، بعيد الغفول إلا متاحا به أو متيحا

ووردت بمعنى اللسان في قول حسان:

كلتاهما عرق الزجاجة فاسقي بزجاجة أرخاهما للمفصل ⁽¹⁾

الفصل في لغة القرآن الكريم:

بينما ورد في لغة القرآن الكريم لفظ "الفصل" بكل اشتقاقاته اللغوية "فصل، فصلنا، نفضل، يفصل، فصلت، الفصل، الفاصلين، فصالا، فصاله، فصيلته، تفصيل، تفصيلا، مفصلا" ⁽²⁾، وبمعاني مختلفة على حسب ورود اللفظ في الآية. فورد مثلا لفظ "فصل" في الآية ١١٩ من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾. فلفظ "فصل" في هذه الآية معناها حسب ما فسره (ابن كثير) البيان والوضوح؛ "أي قد يبين لكم ما حرم عليكم ووضحه" ⁽³⁾ وهو مشتق من التفصيل أي التوضيح والتدقيق وذكر التفاصيل أي أدق ما هو موجود وهو ذات المعنى الذي وردت به الألفاظ التالية ["فصلنا، نفضل، يفصل، فصلت، تفصيل"] فورد لفظ "فصلنا" في الآية ٩٧ من سورة الأنعام في قوله عز وجل: ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون ﴾ بمعنى يبين الآيات ووضحناها. وورد لفظ "نفضل" في الآية ٣٢ من سورة الأعراف في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة

(1) أبو نصر الفارابي: "إيساغوجي"، ص ٦٠.

(2) أبو نصر الفارابي: "الألفاظ المستعملة في المنطق"، ص ٦٦، كتاب إيساغوجي، ٧٨-٧٩.

(3) ابن منظور: "لسان العرب"، ج ١٠، ص ٢٧٣.

(1) ابن منظور: المرجع السابق، ج ١٠، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(2) محمد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، دار المعارف، لبنان، ص ٦٦٠-٦٦١.

(3) ابن كثير: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٠.

كذلك **فَصِّلَ** الآيات لقوم يعلمون ﴿ بمعنى كذلك نبين ونوضح . كما ورد لفظ " يفصّل " في الآية ٥ من سورة يونس في قوله العظيم: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر منازل لتعلموا ا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق **يفصّل** الآيات لقوم يعلمون ﴿ بمعنى يبيّن الحجج والأدلة لقوم يعلمون . وورد لفظ " فصّلت " في الآية ١ من سورة هود في قوله تعالى: ﴿ الكتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ﴿ بمعنى " أن آيات القرآن الكريم محكمة في لفظها، مفصلة في معناها أي موضحة ومبينة، وهو ما بينه ابن كثير في تفسيره"⁽¹⁾ . وكذلك في الآية ٣ من سورة فصلت في قوله تعالى: ﴿ كتاب فصّلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ﴿ بمعنى كتاب بينت معانيه بينا واضحا . وورد لفظ "تفصيل" في الآية ٣٧ من سورة يونس في قول عز من قائل: ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿ بمعنى بيان الأحكام والحلال والحرام، بيانا شافيا كافيا.

كما ورد لفظ "الفَصِّل" بمعنى مختلف وهو يوم القيامة ويوم الدين ويوم الحساب والعقاب، في عدد من آيات القرآن الكريم منها: الآية ٢١ من سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴿ . وفيها يخبر الله تعالى عن الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا، فتقول لهم الملائكة : " هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون " على وجه التوبيخ . وورد بالمعنى نفسه في الآية ٤٠ من سورة الدخان في قوله عز وجل: ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴿ أي يوم القيامة الذي يفصل فيه الله تعالى بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين . وورد اللفظ ذاته في الآية ١٣ و١٤ من سورة الرسائل في قوله: ﴿ وإذا الرسل أقتت، لأي يوم أجلت، ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ﴿ أي أجلت الرسل وأرجى أمرها حتى تقوم الساعة وهو يوم الفصل . وورد في الآية ١٧ من سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿ إن يوم الفصل لئن ميقاتا ﴿ وفسرها ابن كثير " بقول الله تعالى مخبرا عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزداد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل"⁽¹⁾

كما ورد لفظ "الفاصلين" في الآية ٥٧ من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴿ بمعنى أن الله تعالى هو خير من فصل في القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده، أي جاء معنى الفاصل هنا الحاكم . وورد لفظ "فصالا" في الآية ٢٣٣ من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴿ "بمعنى آخر بينه (ابن كثير) في قوله "فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه فلا جناح عليهما"⁽¹⁾ ، أي أن لفظ الفصال جاء في هذه الآية بمعنى الفطام وبذات المعنى ورد اللفظ في الآية ١٤ من سورة لقمان في قوله عز وجل: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴿ بمعنى أن "تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين"⁽²⁾ أي فطامه . كما ورد لفظ "فصيلته" في الآية ٣٧ من سورة يونس في قول الله تعالى: ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته

(1) ابن كثير: المرجع السابق، ج٢، ص٥٤٠.

(1) ابن كثير: المرجع السابق، ج٤، ص٥٥٨.

(1) ابن كثير: المرجع السابق، ج١، ص٣٥١.

(2) المرجع نفسه، ج٣، ص٥٤٤ . كما ورد لفظ "الفصال" بمعنى الفطام في الآية ١٥ من سورة الأحقاف في قوله تعالى: " ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا" بمعنى وضعه وإرضاعه. أنظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٨٦

وأخيه، وفصيلته التي تؤيه ﴿ بمعنيين حسب (ابن كثير) إذ كان هناك اختلاف في التفسير بين معنيين الأول: العشيرة والقبيلة، والثاني: الأم.

نستطيع القول في الأخير بأن لفظ "الفصل" ورد في لغة القرآن الكريم بكل اشتقاقاته بمعان أربعة، الأول: من فصلَ يُفصّلُ تفصيلاً ومعناه وضّح وبيّن تبيناً، وجاءت في جل الآيات للدلالة على وضوح الآيات القرآنية وأحكامها من قبله عز وجل. الثاني: من الفصال والانفصال ومعناها الوضع والفظام أي نهاية فترة الإرضاع بالنسبة للطفل، وجاءت في بعض الآيات للدلالة على السن المحددة التي يجب أن يفصل الطفل عن أمه خلالها . والثالث: من الفصل بمعنى الحكم والحساب والعقاب وهو ما يكون يوم القيامة، وورد في معظم الآيات للدلالة على يوم الحساب والعقاب وهو يوم القيامة. أما المعنى الرابع: وهو المختلف حوله أو غير المحدد تحديداً دقيقاً مثل باقي المعاني من الفصيصة أي بمعنى القبيلة والعشيرة التي ينتمي إليها الإنسان.

تطرق (جابر بن حيان) إلى حد "الفصل" بمثل تطرقه لحد "النوع" إذ لم يتناوله بالتحديد، كما أنه لم يضبط لا مفهومه المنطقي ولا اللغوي لأنه جاء على سبيل الذكر في نص توطئة الحد. إذ لما كان الحد مأخوذاً من الجنس والفصول المقومة للنوع، فإنه لا يحتمل الزيادة ولا النقصان، إذ كما أكد ذلك (جابر بن حيان) كل زيادة فيه تنقص من المحدود والعكس صحيح؛ فإذا وجد نقصان في الحد دخل في النوع ما لم يكن موجوداً في الفصل المقوم له، وإذا كانت هناك زيادة فإنها لم ولن تؤثر على الفصل المقوم للنوع لكونها جزئية ناقصة . لكن وعلى الرغم من هذا التوضيح إلا أنه يبقى ناقصاً بالنسبة إلى حد فلسفي أو منطقي يحتاج إلى الشرح والتوضيح من الناحية اللغوية والمنطقية. كما أن (الكندي) لم يذكر في رسالة الحدود والرسوم لفظ أو حد "الفصل" وإنما ذكر حد "الانفصال" و"هوتباين المتصل"⁽¹⁾ أي اختلاف الشيء المتصل وتباعده عناصره ما يُذهب ويُلغي الاتصال أو الارتباط الذي كان موجوداً بينهما، وهو معنى أقرب ما يكون منه إلى ما كان شائعاً في لغة القرآن الكريم الفصل أي الفطام وهي مرحلة انفصال الطفل عن أمه في أمور معينة مثل التغذية الطبيعية عن طريق الرضاعة.

أما (الفارابي) فقد تطرق في البداية إلى تعريف لفظ "الفصل" بالمحمول على كثيرين مختلفين بالنوع على طريق أي شيء هو في جوهره . والفصل يشارك الجنس في أكثر الأشياء إذ أنه يعرف جوهر الشيء كما يعرفه الجنس، وإنه يحمل أيضاً على كثيرين مختلفين بالنوع، وإنه يكون جزءاً لحد كما يكون الجنس جزءاً لحد، ويختلفان في أن الفصل لا يميز النوع عن كل ما يشاركه في جنسه القريب، كما أن الفصل يتلو الجنس في الترتيب، والفصل المشهور مثل المشاء وذي الرجلين اللذين هما فصلان للإنسان، فإن كل واحد منهما يحمل على كثيرين مختلفين بالنوع والجنس والفصل⁽¹⁾ فالفصل إذن صفة تحمل على كثيرين مختلفين في النوع بالجواهر أو بالماهية. إذ "الفصل يعرف منه جوهره الذي ينحاز به عن غيره أو يعرف جوهره بما ينحاز به وينفرد عن غيره، إذا كان الجنس يعرف ما هو كل واحد من الأنواع التي تحته لا بما يخصه، والفصل يعرف جوهر كل واحد منها بما يخصه"⁽²⁾. ومنه فإن "الجزء الذي يسمونه الجنس يعرف الشيء بما هو خارج عنه أصلاً، وأما الجزء الذي يسمونه الفصل، فقد يظن بكثير منها أنه يعرف بما هو خارج الشيء المحدود"⁽³⁾

(1) عبد الأمير الأعسم، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(1) أبو نصر الفارابي: "الجدل"، تحقيق رفيع العجم، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ٨٧.

(2) أبو نصر الفارابي: "إيساغوجي"، ص ٧٩.

(3) أبو نصر الفارابي: "البرهان"، تحقيق ماجد فخري، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص ٤٨.

كما أن "الفصل ينسب إلى النوع، فيقال إنه فصل للنوع فإنه المقوم لحدده، وينسب أيضا إلى جنس ذلك النوع فيقال إنه فصل لذلك الجنس لأنه يقيد به ويردف"⁽⁴⁾

وأكد (الفارابي) أن "الخاصة تشارك الفصل في تمييز نوع عن نوع وتخالفه في أنها لا تميزه في جوهره ..العرض أيضا قد يستعمل في تمييز جنس عن جنس ونوع عن نوع وشخص عن شخص، ولكن لا يميز شيئا بما هو له عرض في ذاته وجوهره، فهو يشارك الفصل في تمييز نوع عن نوع ويخالفه في أنه يميزه لا في جوهره"⁽¹⁾

الخاصة :

الخاصة لغة؛ ورد لفظ "الخاصة" في لغة العرب باشتقاقات متعددة ومعان مختلفة:

*فورد لفظ "خص" بمعنى اختص فلان بالأمر وتخصص له أي انفرد به وهو ما جاء في قول أبي زيد:

إن امرأ خصني عمدا مودته على التناي، لعندي غير مكفور

الخاصة في لغة القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ "الخاصة" في لغة القرآن الكريم باشتقاقين اثنين "يَخْتَصُّ، وَخَصَّاصَةً" إضافة إلى الأصل وهو لفظ "خاصة"، فورد الأول في الآية ١٠٥ من سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ مَا يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يَخْتَصُّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ بمعنى "الخصوصية والتخصيص تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعميم"⁽²⁾ أي أن الله عز وجل يجعل رحمته لمن شاء ويخصه بها وحده دون غيره . وورد اللفظ ذاته في الآية ٧٤ من سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ يَخْتَصُّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ أي أنه عز وجل يؤتي رحمته من يشاء ويختصه بها . وبالمعنى ذاته ورد لفظ "خاصة" فقد ورد في الآية ٢٥ من سورة الأنفال في قوله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ . بينما الاختلاف هو أن الآية الأولى كانت الرحمة هي الشيء الخاص الذي يختص به تعالى من يشاء، بينما في الآية الثانية فإن الفتنة أي المحنة والاختبار هي التي يختص بها الله من يشاء

كما ورد في لغة القرآن الكريم لفظ "خصاصة" في قوله لله تعالى ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ بمعنى الحاجة، أي الذين يقدمون "المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك"⁽²⁾

(4) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(1) أبو نصر الفارابي: المصدر السابق، البرهان، ص ٨٣-٨٤.

(2) الراغب الأصفهاني: "معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم"، دار المعارف بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٦٧.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٢.

ومنه نستطيع التأكيد على أن لفظ "خاصة" ورد في لغة القرآن الكريم باشتقاقاته اللغوية بمعنيين اثنين الأول : من الخصوصية والتخصيص وهو التفرد البعض بما لا يشاركه فيه الكل أو الآخرون وجاء بلفظين هما: يختص وخاصة. بينما المعنى الثاني: فهو من الخصاصة وجاء في جل الآيات دالا على الحاجة.

لفظ "الخاصة" مثله مثل لفظ "الجنس والنوع" لم يوردها (جابر ابن حيان) في رسالته للحدود والرسوم على سبيل التخصيص، وإنما جاءت في سياق الحديث عن لفظ "الحد" الذي غرضه تحديد ماهية المحدود، ما يجعل منه غير قابل للزيادة أو النقصان لأنها تنعكس على حقيقة المحدود أو التصور. لكن وإذا كان للجنس والنوع تأثير في ضبط علاقة الحد بالمحدود فإن الخاصة ليس لها أي تأثير على ضبط وتحديد علاقة الحد بالمحدود، إذ كل زيادة أو نقصان في الخاصة ليس لها أدنى تأثير على المحدود وهو ما بينه (جابر ابن حيان) في قوله: "إذا زدنا عرضا ليس من آثار الفصل، لئن نقول أن الإنسان حي ناطق أسود، نقص المحدود لا محالة، لأن الأبيض حينئذ على هذا الحد لا يجب كونه إنسانا. فإذا جئنا بالمساوي وزدناه عرضا كان أو خاصة، لم ينقص المحدود؛ كأن نقول إن حد الإنسان أنه حي ناطق مائت ضحك، فنأتي بالخاصة عريض الأظفار، وذو الرجلين، فنأتي بالعرض؛ لم ينقص المحدود لأنه لا إنسان إلا وهذه حاله"⁽¹⁾. بينما (الكندي) لم يأتي على ذكر "الخاصة" لا كحد مستقل ولا ضمنها إحدى الحدود الأخرى. بينما ضبط (الفارابي) تصور حد "الخاصة" بداية في قوله: "المحمول الذي لا يدل على ما هو الشيء، ويوجد لجميعه، وله وحده ودائما، وهذه الخاصة الحقيقية، وتنعكس على موضوعها في الحمل وتميزه عن كل ما سواه في كل وقت، ولا تدل على ماهية الشيء، وهذه الخاصة ربما كان قولنا وربما كان لفظة مفردة سمي خاصة. الخاصة غير الحقيقية فمنها ما يوجد للنوع وحده لا لجميعه، مثل الشيب للإنسان، ومنها ما هو خاصة بالإضافة إلى نوع ما آخر، مثل الرجلين فإنه خاصة تميز الإنسان عن الفرس، ومنها الخاصة التي بالإضافة وفي وقت ما مثل قولنا زيد هو الذي عن يمينه عمر، فإنها خاصة له في وقت ما، والخاصة الحقيقية تشارك الحد في أنها موجودة للموضوع، وله وحده ولجميعه ودائما، وتنعكس عليه في الحمل، وتميزه عن كل ما سواه، وتخالفه في أنها لا تدل على جوهره"⁽¹⁾ أي أن الخاصة صفة عارضة للشيء ولا تدل على ماهيته كما أنها لا تعرف جوهره، وقد يعبر عنها بلفظ مفرد، كما قد يعبر عنها بقول أو جملة، ومن الخاصة ما هو موجود في النوع الواحد لكن ليس لجميع أشخاصه وإنما للبعض فقط، ومنها ما يكون خاصة إضافة إلى أفراد نوع آخر، كما يوجد من الخاصة ما يكون بالإضافة لكن في وقت بعينه وليس على الدوام.

العرض:

العرض لغة؛ كان لفظ "عرض" شائعا وكثير التداول في لغة الشعر العربي، إذ نجده بكل الاشتقاقات اللغوية وبمعاني متعددة أهمها "العرض بفتح الراء، ومعناه قبض الشيء قبضا"⁽²⁾.

العرض في لغة القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ "عَرَضَ" في لغة القرآن الكريم باشتقاقاته متعددة وبمعاني مختلفة، فورد في مجموعة من الآيات، مثل قوله تعالى في الآية ٤٨ من سورة الكهف في قوله تعالى: "وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة "

(1) عبد الأمير الأعسم: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(1) أبو نصر الفارابي: "الجدل"، ص ٤٨.

(2) ابن منظور: "لسان العرب"، ج ١٠، ص ١٣٨.

أي أن "جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا أو صفوفا صفوفا"⁽¹⁾. وفي الآية ٣١ من سورة ص في قوله تعالى: "ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب، إذ عَرَضَ عليه بالعشي الصافنات الجياد" أي "عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاثة أطراف وطرف الحافر الرابع والجياد السراع"⁽²⁾ أي قدم له. وفي الآية ١٠٠ من سورة الكهف في قوله عز وجل: "وعَرَضْنَا جهنم يومئذ للكافرين عَرَضًا" بمعنى أن الله تعالى يخبر عما يفعله يوم القيامة بالكافرين "يعرض عليهم جهنم عرضا أي يبرزها لهم ويظهرها"⁽³⁾ وفي الآية ١٨ من سورة الحاقة في قوله تعالى: "يومئذ تُعْرَضُونَ لا تخفى منكم خافية" بمعنى تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء أي تقفون أمامه للحساب والعقاب. وفي الآية ٢٣٥ من سورة البقرة في قوله: "ولا جناح عليكم فيما عَرَضْتُمْ به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن" بمعنى التصريح والإبلاغ عن خطبة النساء وهن مازلن في عدتهن.

وجاء لفظ "عَرَضَةً" في الآية ٢٣٤ من سورة البقرة في قول الله تعالى: "ولا تجعلوا الله عَرَضَةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم" بمعنى لا تجعلوا "أيمانكم بالله تعالى مانعة لكم من البروصلة الرحم إذا حلفتكم على تركها، أي لا تجعل الله عرضة ليمينك بأن لا تصنع خيرا"⁽¹⁾ والعرضة هنا بمعنى "ما يجعله معرضا للشيء فأعرض أي أظهر عرضه ناحيته وولى مبديا عرضه"

كما ورد لفظ "عَرَضَ" في الآية ٣٣ من سورة النور في قوله تعالى: "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم" بمعنى من أراد من خراجهن ومهورهن وأولادهن العيش رغيدا سعيدا في الحياة الدنيا، وعرض الحياة الدنيا في هذه الآية بمعنى ما تتوفر عليه من كماليات مادية تشبع لذة الإنسان. وورد لفظ "عَرَضًا" في الآية ٤٣ من سورة التوبة في قوله تعالى: "لو كان عَرَضًا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشُّقَّة" بمعنى "الغنيمة القريبة، أي لو كانت الغنيمة قريبة والسفر قريبا كذلك لجاءوا معك لذلك لكن بعدت عنهم المسافة"⁽²⁾ وفي الآية ٥١ من سورة فصلت ورد لفظ "عَرِيضٍ" في قوله تعالى: "وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونا بجانبه وإذا م سه الشرف فذودعاء عَرِيضٍ" أعرض بمعنى ابتعد عن الطاعة "واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل، وإذا كان في شدة من أمره يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه"⁽³⁾. وجاء لفظ في الآية ٢٤ من سورة الأحقاف في قوله تعالى: "فلما رأوه عَارِضًا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عَارِضٌ ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم" بمعنى لما "رأوا العذاب استقبلهم اعتقدوا أنه

(1) ابن كثير: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٠٩.

(2) المرجع نفسه، ج ٤، ص ٤١.

(3) المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٣٢.

(1) ابن كثير: ج ١، ص ٣٣٠-٣٣١ (بتصرف).

(2) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٤٨.

(3) المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٢٣.

عارض ممطر، ففرحوا به واستبشروا به وقد كانوا محتاجين إلى المطر⁽¹⁾. وجاء العارض في هذه الآية "بمعنى السحاب فالعارض الممطر هو السحاب الممطر"⁽²⁾

ومما سبق نصل إلى أن لفظ "عرض" ورد في لغة القرآن الكريم بأكثر من معنى واحد، فجاء في بعض الآيات بمعناه الأول: هو الإظهار والإبراز والتقديم متجسداً في الألفاظ التالية: "عرضوا، عرض، عرضنا، عرضاً، تعرضون، عرضتم، عرضة" أي ابدى الشيء وأبرزه وبينه بالصفات والخصائص التي يظهر بها. كما ورد بمعناه الثاني: هو الابتعاد والتخلي في الألفاظ التالية: "عرضة، اعرض، اعرضوا، فاعرض". وجاء بمعناه الثالث: دلالة على اتساع الحجم المتكون من الطول والعرض أي عكس الطول بالنسبة للشيء وهو ما حدده لفظ "عرضها، عرض، عريضاً". وبالمعنى الرابع: هو الغنيمة وهو ما يكسب من متاع ومال وجاه في الحياة الدنيا وتجسد في لفظ "عَرَضَ، عَرَضاً"، بمعنى ما يكسب ويكون غير دائم لأنه مقترن بالحياة الدنيا التي من أهم خصائصها الزوال، فكل ما يكتسب فيها هو مؤقت زائل غير دائم مهما عمر فيها الإنسان طال عمره.

في رسالة الحدود والرسوم عند (جابر ابن حيان) لا وجود لحد أو لفظ "العرض" محدد المفهوم اللغوي أو التصور المنطقي مثله مثل باقي الحدود الأخرى الموجودة في الرسالة، ولما كان لفظ "العرض" من الكليات الخمس المقولة على الحدود، فقد تم ذكرها كباقي ألفاظ وحدود الكليات في نص توطنه الحد، إذ ورد حد "العرض" في شرح وتفسير طريقة ضبط الحدود والتصورات الدالة عليها، وبالتحديد عند الحديث عن علاقة زيادة الحد ونقصانه بزيادة ونقصان المحدود أو ما يسمى منطقياً التصور، فإذا "زدنا عرضاً ليس من آثار الفصل، كأننا نقول أن الإنسان حي ناطق أسود، نقص المحدود لا محالة، لأن الأبيض حينئذ على هذا الحد لا يجب كونه إنساناً . فإذا جئنا بالمساوي وزدناه عرضاً كان أو خاصة، لم ينقص المحدود؛ كأن نقول إن حد الإنسان أنه حي ناطق مائت ضحك، فنأتي بالخاصة عريض الأظفار، وذو الرجلين، فنأتي بالعرض؛ لم ينقص المحدود لأنه لا إنسان إلا وهذه حاله"⁽¹⁾ والمعنى منه أن أي زيادة في العرض بالنسبة للحد فإنها لا تؤثر على طبيعة وحقيقة المحدود لأنها غير جوهرية أي أنها لا تدل على ماهية الحد وإنما فقط على أحد صفاته وخصائصه العامة. ومنه نستنتج أن العرض صفة عامة لا تدل على ماهية الشيء حسب ما حدده (جابر ابن حيان). أما (الكندي) فقد تطرق إلى حد أو لفظ "العرض" أثناء ذكره وشرحه لحد "الجوهر" باعتباره "هو القائم بنفسه؛ وهو حامل لأعراض لا تتغير ذاتيته موصوفاً لا واصفاً. ويقال: هو غير قابل للتكوين والفساد وللأشياء التي تزيد لكل واحد من الأشياء التي مثل الكون والفساد، في خاص جوهره، التي إذا عرفت عُرِفَتْ أيضاً بمعرفتها الأشياء العارضة في كل واحد من الجوهر الجزئي، من غير أن تكون داخله في نفس جوهره الخاص"⁽²⁾ بمعنى أن العرض وجمعه أعراض عبارة عن صفات وخصائص لا تعبر عن ماهية وذاتية الشيء، فكل جوهر يجمل مع موعة من الأعراض التي لا تغير ماهيته إذا وصف بها أو إذا كان موصفاً بها.

العرض حسب (الفارابي) "هو الذي يعرف من موضوع ما شيئاً خارجاً عن ذاته، وذلك ضربان؛ ضرب يعرف مع ذلك من موضوع آخر ذاته وهو كليته، وضرب لا يعرف من موضوع أصلاً ذاته وهو شخصه" أي أن العرض يرسم "برسمين؛

(1) ابن كثير: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٩٠ (بتصرف).

(2) الراغب الأصفهاني: المرجع السابق، ص ٢٧٧ (بتصرف).

(1) عبد الأمير الأعسم: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(2) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

أحدهما ما كان موجودا للشيء من غير أن يكون جنسا ولا نوعا ولا فصلا ولا حدا ولا خاصة، والثاني الذي يمكن أن يوجد لشيء واحد بعينه، أي شيء كان وأن لا يوجد له . فلأن العرض منه ما هو مفارق ومنه ما هو غير مفارق، فالرسم الثاني إنما يحيط بالمفارق فقط، بينما الرسم الأول يحيط بغير المفارق، فالأول يعرف ما ليس هو العرض لا ما هو العرض، والثاني يعرف ما هو العرض، والعرض قد يكون منه ما يوجد في النوع حيننا ولا يوجد في حيننا ، والنوع باق على ماهيته.

قائمة المراجع :

- ١ - أبو نصر الفارابي: "الألفاظ المستعملة في المنطق"، تحقيق؛ محسن مهدي، ط٢، دارالمشرق، لبنان، ١٩٨٢.
- ٢ - أبو نصر الفارابي: "إيساغوجي"، تحقيق رفيق العجم، دارالمشرق، بيروت، لبنان.
- ٣ - أبو نصر الفارابي: "البرهان"، تحقيق ماجد فخري، دارالمشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.
- ٤ - أبو نصر الفارابي، "الجدل"، تحقيق رفيق العجم، دارالمشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- ٥ - أبو نصر الفارابي: "الحروف"، تحقيق محسن مهدي، بيروت، ١٩٧٠.
- ٦ - أبو نصر الفارابي: "نص التوطئة"، تحقيق رفيق العجم، دارالمشرق، بيروت، لبنان.
- ٧ - الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن الكريم"، دارالمعارف بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ٨ - ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ج١، ٢، ٣، ٤، داراليقين، المنصورة، مصر، ٢٠٠٢.
- ٩ - ابن منظور: "لسان العرب"، دارصادر، بيروت، ج٣، ١٠، ج١٤، لبنان، ١٩٦٥.
- ١٠ - زينب عفيفي: "فلسفة اللغة عند الفارابي"، دارقبا، مصر، ١٩٩٧.
- ١١ - التهانوي: "كشاف اصطلاح الفنون"، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- ١٢ - عبد الأمير الأعسم، "المصطلح الفلسفي عند العرب"، الدار التونسية للنشر، ١٩٩١.
- ١٣ - القاضي الفاضل عبد النبي: "موسوعة مصطلحات جامع العلوم".
- ١٤ - الكفوي: "الكليات"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.
- ١٥ - الجرجاني: "التعريفات"، دارالكتاب العالمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨.
- ١٦ - عبد الأمير الأعسم، "المصطلح الفلسفي عند العرب"، الدار التونسية للنشر، ١٩٩١.
- ١٧ - محمد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، دارالمعارف، بيروت لبنان.

الاتصال الشخصي في ظل الإعلام الجديد

أ.خالد منصر/جامعة خنشلة،الجزائر

ملخص:

هدفت هذه الورقة البحثية إلى التعرف على تتطور الاتصال الشخصي من اتصال الشخص بشخص أو أكثر ووجهه، إلى الالتقاء في فضاءات افتراضية في ظل الإعلام الجديد بأبعاده المتمثلة (مواقع الشبكات الاجتماعية- الوسائط المتعددة ، تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة) وما أحدثته من تغيير في أساليب الاتصال وما أعطته من مزايا ساهمت في إحداث الأثر المطلوب والمرتجى من المتصلين من التعارف الاجتماعي أو الاحتكاك وتبادل وجهات النظر وبالتالي تقوية العلاقات الإنسانية والاجتماعية

الكلمات المفتاحية:الاتصال الشخصي ، الإعلام الجديد ، مواقع الشبكات الاجتماعية ، الوسائط المتعددة.

مقدمة :

يعتبر الاتصال جوهر الحياة الإنسانية فيفضله تنتقل المعلومات والأفكار وهو من الأسس التي من أجلها خلقنا الله تعالى، إذ يتميز المجتمع الإنساني بأنه مجتمع اتصالي، فظاهرة المجتمع البشري في أساسها هي ظاهرة اتصالية بحثة تسهل أغراض هذا التجمع من ناحية وتحقق الهدف الإنساني من التجمع من ناحية أخرى. مصداقا لقوله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "، ومن غير الطبيعي أن يظهر تجمع بشري دونما اتصال يبرئ له هذا الوجود، فهو جزء من الحياة الطبيعية للمجتمع الإنساني منذ قيام التجمعات البشرية، إذ كان ولا يزال عصب انتماء الإنسان لبني جلدته، ووسيلة لتحقيق التناغم والاندماج بين أفراد المجتمع.

وتعد تكنولوجيا الاتصال الحديثة من بين الوسائل التي أحدثت تغييرا كبيرا في المجتمع بكل مجالاته تقريبا، فلا نكاد نجد ميدانا من الميادين يخلوا من استعمال تكنولوجيات الاتصال الحديثة، وتوظيفها يتم بشكل مكثف إلى درجة أننا نشهد حاليا نتائج عكسية كثيرة لهذا الاستعمال، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، حيث نجد أن العالم يمر بمرحلة تكنولوجية اتصالية جديدة تكاد التطورات التي تحدث فيها أن تعادل كل ما سبق من تطورات في المراحل السابقة، حيث يكاد يتغير شكل وأسلوب عمل وسائل الاتصال، إضافة إلى ظهور وسا ئل جديدة كان لها آثارها الاتصالية".^٢

ولذلك فإن ورقتنا هذه تحاول أن تسلط الضوء على جانب من جوانب التطوير الذي يحدثه الإعلام الجديد على أنواع الاتصال، ألا وهو الاتصال الشخصي المباشر، والذي يعد من أهم وسائل الاتصال. ولدراسة الموضوع بشكل جيد و ملم، فإننا تناولنا في هذه الورقة مجموعة العناصر التالية:

^١ سورة الحجرات، الآية ١٣ .

^٢ محمود علم الدين: "تكنولوجيا المعلومات والاتصال و مستقبل صناعة الصحافة"، (القاهرة: دار السحاب، ٢٠٠٥) ص(١٣٨).

- الاتصال الشخصي بمفهومه وأهم خصائصه و عيوبه.
- الإعلام الجديد بماهيته و خصائصه و وسائله المستحدثة.
- الاتصال الشخصي ومدخله النظرية في عصر الإعلام الجديد.

أولاً- الاتصال الشخصي Interpersonal Communication

يعد الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني، وتلعب أنواع الاتصال المختلفة دورا كبيرا في حياة كل شخص مهما كانت الوظيفة التي يشغلها، أو وقت الفراغ المتاح أمامه، فالاتصال يؤثر على كل فرد بشكل أو بآخر، والاتصال من السمات الإنسانية الأساسية سواء أكان في شكل صور أم غيرها، وسواء أكان اتصالا فعليا أم مستترا، إعلاميا أم إقناعيا، مقصودا أم عشوائيا داخليا أم مع أشخاص آخرين.

ويقصد بالاتصال الشخصي (المباشر) العملية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والأفكار والاتجاهات بين الأشخاص بالطريقة المباشرة وجها لوجه وفي اتجاهين دون عوامل أو قنوات وسيطة أو وسائل نقل صناعية؛ حيث يصبح المرسل والمستقبل على اتصال ببعضهما البعض في مكان محدد، فبينما يرسل المرسل رسالة معينة إلى المستقبل سرعان ما يتلقى استجابة عليها، وبذلك يصبح المرسل مستقبلا والمستقبل مرسلا، وهكذا يصير التفاعل من جانبين وليس من جانب واحد، وقال ميرتون بأنه: "اتصال يتضمن مواجهة مباشرة بين القائم بالاتصال والمستقبل تؤدي إلى التغيير في سلوك المستقبل واتجاهاته"، وعرفه محمود عودة بأنه: "عملية تبادل المعلومات والأفكار والأخبار التي تتم بين الأشخاص دون وجود قنوات وسيطة".^١

ويؤي صالح أبو إصبع: "أن الاتصال المباشر هو الذي يمكن فيه أن نستخدم حواسنا الخمس، ويتيح هذا الاتصال التفاعل بين شخصين أو أكثر في موضوع مشترك، ونتيجة هذا الاتصال تتكون الصداقات والعلاقات الحميمة بين الأفراد، ويتيح فرصة التعرف الفوري والمباشر على تأثير الرسالة، ومن ثم تصبح الفرصة أمام القائم بالاتصال سانحة لتعديل رسالته وتوجيهها بحيث تصبح أكثر فعالية أو إقناعا".^٢

وعموما هو العملية التي يتم فيها تبادل المعلومات والأفكار والاتجاهات بين الأفراد بطريقة مباشرة وجها لوجه وفي اتجاهين ودون وساطة وفي مكان محدود و يتميز بالتفاعل والمرونة بين المرسل والمستقبل، ويعد من أقوى أنواع الاتصال في تغيير اتجاهات الناس ومفاهيمهم.

٢- خصائص الاتصال المباشر: يتميز الاتصال الشخصي بعدة ميزات أهمها:^٣

أ- المرونة: فالالاتصال المباشر يتميز بدرجة عالية من المرونة، ويزداد ذلك حينما يواجه مقاومة من المستقبل لتوفر رجوع الصدى بدرجة كبيرة، مما قد يدفع الأفراد إلى محاولة تجريب الأفكار المستحدثة بعد اقتناعهم بها وممارستها، وخاصة مع تزايد إمكانية تصديق المصادر الشخصية لأنها معروفة.

^١ رحيمة الطيب عيساني: "مدخل إلى الإعلام والاتصال"، (الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع إربد) ٢٠٠٨، ص (٤٧).

^٢ صالح أبو إصبع: "الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، (عمان: دار آراء للدراسات والنشر والتوزيع، ط(١)، ١٩٩٥). ص(١٤-١٥).

^٣ رحيمة الطيب عيساني: "مدخل إلى الإعلام والاتصال"، مرجع سابق، ص (٤٧).

ب- التلقائية: فالاتصال المباشر يتم بشكل عفوي غير مقصود من خلال شبكة من العلاقات الشخصية غير الرسمية؛ مما جعل "شرام" يرى أن عملية الاتصال الشخصي تسري بين مختلف الطبقات دون التقيد بقواعد وإجراءات مسبقة. وإنما يقوم على الإجماع الحر التلقائي من جانب أولئك الذين يتصلون بالشخص على أنه يعرف ما يتحدث عنه، ويرى كثير من العلماء أن الاتصال الشخصي أكثر فاعلية وتصديقا في المجتمعات النامية من الكلمة المطبوعة، ولذلك يثق الناس في الاتصال الشخصي أكثر...، لأن الاتصال الشخصي يتميز على الاتصال الجماهيري ببعض المزايا السيكولوجية فهو يتم بشكل عفوي، غير مقصود، وأكثر مرونة، ويتميز بأن رجع الصدى فيه كبير، كما يساعد على نشر الأفكار التي تنشرها وسائل الإعلام على نطاق أوسع من جمهورها في الدول النامية؛ لأن تغطية هذه الوسائل محدودة من ناحية، ولم تتعلم نسب كبيرة من الجماهير الاعتماد على وسائل الإعلام الحديثة من ناحية أخرى

٣- أهمية الاتصال الشخصي:

- يحقق التفاعل الكامل بين المرسل والمستقبل: حيث يتم هذا النوع بطريقة مباشرة وجها لوجه، ويسير هذا النوع في اتجاهين أي من المرسل إلى المستقبل، ومن المستقبل إلى المرسل، مما يجعل فرصة المشاركة في الخبرة أكبر.

- يتوفر في الاتصال المباشر جميع عناصر الاتصال وخاصة رجع الصدى، وهذا من شأنه أن يتيح فرصة التغلب على مخاطر عدم الفهم أو الفهم الخاطئ الذي قد يكون عند المستقبل، حيث أن هذا النوع من الاتصال يتيح للمرسل الفرصة ليتعرف على مدى وصول الرسالة إلى المستقبل ومدى إدراكه لمضمونها، وبالتالي متى تبين للمرسل فهمها خاطئا يمكنه تعديل هذا الفهم.

- يتيح الاتصال المباشر للمرسل إدخال تعديلات مستمرة في الرسالة طبقا للمستقبل، إما عن طريق التكرار أو استخدام أسلوب غير الذي كان يستخدمه، ولذلك فإن هذا النوع يمتاز بتعديل الرسائل المتبادلة في ضوء رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل.

- تأثير الاتصال المباشر الذي يحدده المرسل في المستقبل يتميز بالعمق لأنه يكون غالبا ناتجا عن الإقناع والاقتران؛ وهذا العمق في التأثير يؤدي إلى استخدامه فترة أطول، ويعلل الباحثون من أمثال: سفيلد، وميرتون وكاتز؛ أن سر تقدم الاتصال المباشر في التأثير بأنه: إذا كان من السهل أن ينصرف الناس عن المواد الإعلامية في الاتصال الجماهيري وخاصة التي لا تتفق مع آرائهم وميولهم فإنه ليس من السهل أن يتجنب الحديث مع زميل أو قريب. ويتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الناس^١.

٤- عيوب الاتصال الشخصي: على الرغم من أهمية الاتصال الشخصي، إلا أنه لا يخلو من عيوب حيث أنه يتطلب نفقات عالية وجهدا كبيرا ووقتا أطول خاصة إذا كان المطلوب نقل أفكار أو معلومات إلى عدد كبير، كما يؤدي عدم توافر الأفراد المراد الاتصال بهم في مكان محدد وانتشارهم في أماكن شتى صعوبة استخدام الاتصال الشخصي معهم، إضافة إلى أن الاتصال الشخصي لا يتيح نقل وتوصيل المعلومات الحديثة أولا بأول وبناء على ما تقدم يمكن القول أن الاتصال الشخصي هو الذي يتم فيه استخدام الحواس لدى الإنسان ويحدث فيه التفاعل ومن خلاله تتكون الصداقة والعلاقات الحميمة بين الأفراد وتتيح مراحل التعرف الفوري والمباشر على تأثير

^١ المرجع السابق ص (٤٩).

الرسالة، ويمكن كذلك تعديل الرسالة وزيادة فعاليتها ومن أهم مميزاته انخفاض تكلفته واستخدام مستويات من اللغة وسهولة تقييم حجم الرسالة وتلقائية الرسالة.

ثانيا-الإعلام الجديد New Media :

الإعلام الجديد هو ما تولد من التزاوج بين تكنولوجيا الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكمبيوتر وشبكاتة، تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد، ويأخذ هذا الاسم لأنه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية لا في الوسيلة ولا في التطبيقات، فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات.¹

ونستعرض في الآتي مجموعة من التعاريف التي أعطيت للإعلام الجديد:

بحسب ليستر Lester "الإعلام الجديد باختصار هو مجموعة تكنولوجيا الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو".

ويعرفه قاموس الكمبيوتر Computing Dictionary عبر مدخلين هما:

إن الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والأنترنت .وهو يدل بذلك على استخدام الكمبيوترات الشخصية والنقالة فضلا عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق، ويخدم أي نوع من أنواع الكمبيوتر ترعى نحو ما تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي Digital Convergence إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو بالتزامن مع معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي كمبيوتر.

ويشير المفهوم أيضا إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم أجمع.

وتضع كلية شريدان التكنولوجية Sheridan T.C تعريفا عمليا للإعلام الجديد أنه: كل أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي . وهناك حالتان تميزان الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الإعلام الجديد، والكيفية التي من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الكمبيوتر كآلة رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته.

ويمكن تعريفه أيضا على أنه كل ما تجاوز الإعلام التقليدي، من صحف ومجلات وكتب وإذاعة وتلفزيون؛ فالإعلام الجديد هو الإذاعات الرقمية والمحطات التلفزيونية التفاعلية، الكابل الرقمي والانترنت، الهواتف الجوالة والألعاب الإلكترونية، وتخرج من كل واحدة من هذه المجموعة فروعاً أخرى من الإعلام الجديد، تنمو بمفردها أو بالتداخل مع غيرها. فالهواتف الجوالة صارت تنقل الإذاعات الرقمية والبث التلفزيوني التفاعلي أيضا والخرائط الرقمية، ومواقع

¹ عباس مصطفى صادق: "الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات"، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٨)، ص ٢٩، (٣٠).

^٢ المرجع السابق، ص ٣١، (٣٣-٣١).

الأنترنت الموسيقى والكاميرات ومقاطع الفيديو، المتاجرة بالأسهم والأخبار الجوية وحركة الطيران وغيرها من الأنشطة الاتصالية.

فقد أصبحت التقنيات الاتصالية كالهاتف الجوال والتلفزيون الفضائي والصورة الفوتوغرافية الرقمية والموسيقى الرقمية متاحة للجميع ويعود هذا الحضور الاجتماعي المتعاظم إلى أسباب عدة منها انخفاض الأسعار والطابع المحمول لهذه التقنيات، كما ساهم الاندماج في تحول بعض التقنيات الاتصالية إلى وسائط إعلامية كالهاتف الذي كان مخصصا للتحدث فتحول إلى وسيلة إعلامية يمكن من خلالها استخدام شبكة الإنترنت واستهلاك المضامين الإعلامية بكل أشكالها كقراءة المقالات الصحفية ومشاهدة الفيديو والاستماع إلى الإذاعة¹، ويؤكد البعض أيضا على مسألة حقيقة الانتشار الاجتماعي لهذه الوسائل ويشيرون إلى خطر انقسام المجتمع إلى جزأين: الأول يمتلك هذه التقنيات ويستعملها كوسيلة للمعرفة والتسلية والآخر لا يقدر على الوصول إليها بحكم ظروفه الاجتماعية.

إن الوسيط في لغة الاتصالات هو شيء يسهل نقل شيء (الكلمات والصور والأصوات) من مصدر واحد (عادة ما يكون المرسل) إلى مصدر آخر (عادة ما يكون المتلقي)².

إذا فما ذكرناه سابقا يؤكد من ذلك زيادة جذر استخداماتنا للوسائط الإعلامية خاصة الوسائط الإعلامية الجديدة (كالهاتف الخليوي، التلفزيون التفاعلي عالي الدقة، الإذاعة الرقمية، الصحيفة الالكترونية، الإنترنت...)، وذلك لما تتمتع بها من دقة عالية في التصميم واستخدام الوسائط المتعددة.

فالوسائط الإعلامية الجديدة طرحت مجموعة من الممارسات تخصها هي كوسائط إعلام من جهة وتحت استخدامات الجمهور لها من جهة ثانية؛ فالوسائط الإعلامية الحديثة طرحت مجموعة من التغيرات على مستوى قوالب تقديم المضمون أو المنتج الإعلامي الذي لم يعد بشكله السابق كما ونوعا، فقد فرضت التحولات العالمية التكنولوجية الاتصالية وكذا الاقتصادية مجموعة ضغوط على الوسائط الإعلامية لتقديم الأفضل بسرعة هائلة واحتواء مجموع رغبات الجماهير لتبليتها، وهنا تأتي الضفة الأخرى، وهي مجموع الممارسات المطروحة وفق علاقة الجماهير بوسائط الإعلام الحديثة أين انتهى عصر التلقي السلبي، وصار كل تلق تفاعليا.

فقد أصبح كل أفراد المجتمع يملكون في نسبة عالية منهم الإنترنت في البيوت لأنها برغم مكانتها طرحت مستجدات فيما كان أكثر ما خدمها ورفع من نسبة تفضيلها، احتواؤها لبقية الوسائط الإعلامية الأخرى، فمن خلالها نتابع الإذاعة الرقمية والفضائيات ونقوم بتنزيل الصحف الالكترونية الأصل وكذا النسخ الإلكترونية للصحف الورقية، حتى أننا نجري الاتصالات الهاتفية من خلالها أيضا، وأصبح التلفزيون كوسيلة إعلامية مهم؛ يستفيد من الناحية التقنية من ميزات التفاعلية والدقة العالية في التصميم وجودة الشاشة، وهذا ليحافظ على مكانته من تهديدات بقية الوسائط الأخرى بعد أن كان سيد وسائل الإعلام قبل مجيء الإنترنت، فالتلفزيون عالي الدقة التفاعلي ونظام HD والأبعاد الثلاثية أصبح مطلب كل بيت يريد أن يوصف بالحضاري والمتقدم³.

¹ الصادق الحمامي، "الإعلام الجديد مقارنة تواصلية"، (تونس: مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، ع (٠٤)، ٢٠٠٦)، ص ص، (٦-٧).

² شبكة النبا، "مصطلحات الوسائط الإعلامية"، نشر في www.annabaa.org الأحد ٧ تموز ٢٠٠٧، تاريخ الاطلاع ١٠/١٢/٢٠١١.

³ فاطمة همال: "الألعاب الالكترونية عبر الوسائط الإعلامية الجديدة وتأثيرها في الطفل الجزائري"، (باتنة: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، قسم الإعلام والاتصال، ٢٠١١، ٢٠١٢)، ص ٥٧.

الصحيفة كذلك لم تنعزل عن هذه التطورات، بل سعت إلى إيجاد مكانة تناسبها في عصر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، فاستحدثت ووجدت أساليب الإعلان فيها وأساليب الطباعة والنسخ الإلكترونية وحتى الصحف الإلكترونية، وطرحت فيها مهن جديدة فرضتها مجموعة هذه التطورات في ظل التكنولوجيا خاصة، لمواجهة ما يعرف بالإعلام الجديد وصحافة المواطن.

دون أن ننسى الهواتف الخلوية التي صنعت لنفسها اسم "الهواتف الذكية" لاندماجها مع بقية الوسائط الإعلامية الجديدة، فأصبحت نافذتها وشاشتها التي لا تتعدى بضع سنتيمترات تفتح أبواب العالم أمامنا على مصراعيه وتنقلنا للتجول فيه وكأنه بين أصابع اليدين، ومن ذلك يصعب علينا فصل الوسائط الإعلامية الجديدة عن بعضها لأن أساس وجودها ولئبونها هو مبدأ و فعل "الاندماج" بين خصائصها فيما بينها.

٢-سمات الإعلام الجديد: مع أن الإعلام الجديد يتشابه مع الإعلام القديم في بعض جوانبه، إلا أنه يتميز عنه بالعديد من السمات والخصائص والميزات التي أحدثتها التطورات المتسارعة في منتصف القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين والتي يمكن إيجازها بما يأتي:

أ-التفاعلية **Interactivity**: وهي القدرة على تبادل الأدوار بين مرسل الرسالة الاتصالية ومستقبلها إذ يتحول من يتعامل مع وسائل الاتصال الحديثة من مجرد متلقي سلبي إلى مشارك متفاعل يرسل ويستقبل المعلومات في الوقت ذاته، وتعنى التفاعلية **Interactivity** انتهاء فكرة الاتصال الخطي **Linear** أو الاتصال في اتجاه واحد من المرسل إلى المتلقي وهو ما كان يتسم به الاتصال الجمعي والجماهيري والثقافي اعتمادا على وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية، وأصبح الاتصال في اتجاهين تتبادل فيه أطراف عملية الاتصال الأدوار، ويكون لكل طرف فيها القدرة والحرية في التأثر ير على عملية الاتصال في الوقت والمكان الذي يناسبه وبالدرجة التي يراها^١.

ب-التنوع **Variety**: مع تطور المستحدثات التقنية في مجال الإعلام والاتصال وتعددتها وارتفاع القدرة على التخزين والإتاحة للمحتوى الاتصالي، أدى ذلك إلى التنوع **Variety** في عناصر العملية الاتصالية، التي وفرت للمتلقى اختيارات أكبر لتوظيف عملية الاتصال بما يتفق مع حاجاته ودوافعه للاتصال، وتمثل ذلك في تنوع في أشكال الاتصال المتاحة و تنوع المحتوى الذي يختاره على المواقع المختلفة المنتشرة على شبكة الانترنت^٢.

ج-اللاجماهيرية **Demassification**: فلم تعد وسائل الاتصال تعتمد على مخاطبة الجماهير فحسب في رسائل عامة، بل أضحت من إمكاناتها توجيه رسائلها ومضامينها إلى فرد بعينه تستهدفه برسائلها أو إلى جماعة أو فئة معينة تبعاً لاهتماماتها وحاجاتها الخاصة، فخرجت بذلك من نطاق العمومية إلى خصوصية الرسالة تبعاً لحاجة مستقبلها.

^١ محمد شومان: "عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي"، (الكويت: مجلة عالم الفكر، م (٢٨)، ع(٢)، أكتوبر-ديسمبر ١٩٩٩)، ص، (١٦١).

^٢ رحيمة الطيب عيساني: "الوسائط التقنية الحديثة وأثرها على الإعلام المرئي والمسموع"، (الرياض: جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، ٢٠١٠)، ص، (٣٢).

د-الفورية **immediacy**: ألغت تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحواجز الزمانية كما ألغت الحواجز المكانية، إذ يتم الاتصال بشكل فوري بفض النظر عن مكان المرسل أو المستقبل، بحيث لا تلحظ عند اتصالك بحاسب في الصين أنك استغرقت وقتاً أطول مما لو كان الاتصال بحاسب في مدينتك وكذلك الحال مع الهاتف النقال^١.

و-القابلية الحركية **Mobility**: تعني أن هناك وسائل اتصالية كثيرة يمكن استخدامها الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان، ثم نقلها إلى آخر حركته مثل الهاتف النقال والتليفون المدمج في ساعة اليد وحاسب آلي نقال مزود بطابعة، كما تعني إمكانية نقل المعلومات من مكان إلى آخر بكل يسر وسهولة^٢.

٣- وسائل الإعلام الجديد: تعددت وسائل الإعلام الجديد وأدواته، وهي تزداد تنوعاً ونموً وتداخلاً مع مرور الوقت، ومن هذه الوسائل^٣:

أ- المدونات الإلكترونية **blogs**: وهي عبارة عن مواقع شخصية تنشر كتابات ومقالات وحتى تسجيلات فيديو، يملكها غالباً أفراد، أو مؤسسات وهيئات إعلامية وتجارية وثقافية، وهي تنشر مضامينها وترتبها ترتيباً كرونولوجياً وفقاً لتاريخ انشائها، ويمكن للقراء التفاعل معها والتعليق والنقد. و "نظراً لنجاحها وقدرتها على التعبير عن مطالب وتطلعات الفئات المهشمة تشهد المدونات تزايداً هائلاً في عددها وعدد مستعمليها، فمثلاً وصل عدد المدونات بإيران إلى ما يقارب ٢٥٠ ألف مدونة وفي مصر ما يقارب ٣٠ ألف مدونة".

ب- مواقع الشبكات الاجتماعية **Social Networking Sites**: وهي مواقع للتواصل الاجتماعي بين المستعملين، ولإقامة العلاقات الاجتماعية، ومن أشهرها "فايسبوك Facebook الذي يعد أكبر، ماي سبايس Myspace، الذي يبلغ عدد مستعمليه ٢٠٠ مليون مستعمل، تويتر twitter فليكر Flickr، لينكدان LinkedIn....الخ، وبلغ عدد مستخدمي الفيسبوك في العالم العربي ٤٥.٢ مليون مستخدم في جوان ٢٠١٢، بزيادة قدرها ٥٠ بالمائة عن الفترة ذاتها من عام ٢٠١١ وبواقع ثلاثة أضعاف منذ جوان ٢٠١٠، بينما يستخدم تويتر اليوم أكثر من مليوني مستخدم نشط في المنطقة بالإضافة إلى ذلك يستخدم ما يزيد على ٤ ملايين شخص في العالم العربي شبكة لينكدان^٤.

ج- منتديات المحادثة الإلكترونية **chat room**: وهي عبارة عن تطبيقات وبرمجيات اتصالية تفاعلية تسمح للمستعمل بالتواصل مع الآخرين في الوقت الحقيقي المتزامن **synchronique** مثل: مجموعات الأخبار، وغرف الدردشة، والتراسل الفوري، وبرمجيات السكايب **skype** وفي الوقت اللاتزامني **asynchronique** مثل منتديات النقاش والبريد الإلكتروني.

د- مواقع بث الفيديو **video sharing sites**: وهي مواقع تتيح إمكانية بث مقاطع فيديو مسموعة أو مرئية **podcasting**، ويمكن حتى تحميلها ومشاهدتها، وهناك عدة مواقع مشهورة جداً، لدرجة أنها أصبحت تبث مقاطع من

^١ علي بن عبد الله عسيري: "الأثار الأمنية لاستخدام الشباب للإنترنت"، (الرياض: مركز البحوث والدراسات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط ١، ٢٠٠٤)، ص (٢٣).

^٢ شطاح محمد، (وآخرون): القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري دراسة ميدانية، (عين مليلة: دار الهدى، ٢٠٠٢)، ص (١٠٠).

^٣ إبراهيم بعزیز: وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين"، وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين، (بكرة: الملتقى الوطني: وسائل الإعلام والمجتمع" جامعة محمد خيضر، يومي ٢٨ و ٢٩ نوفمبر ٢٠١٠).

^٤ تقرير الإعلام الاجتماعي العربي (الإمارات العربية المتحدة: كلية دبي للإدارة الحكومية، الإصدار ٤، جوان ٢٠١٢)، منشور

بـ <http://www.arabsocialmediareport.com>، تاريخ الاطلاع ١١/٠١/٢٠١٣.

مضامينها لوسائل الإعلام، بل وحتى هذه الأخيرة تقوم ببث برامجها عبر هذه المواقع، ونذكر منها "يوتيوب youtube، ماي فيديو myvideo".

و- المواقع الإخبارية التساهمية: وهي مواقع شبيهة جدا بالصحف الإخبارية، لكن يشارك في محتواها ويحرر مضمونها مواطنون عاديون، من مختلف الأماكن، وهم في الغالب متطوعون وناشطون حقوقيون وهواة لمهنة الصحافة، ومن أشهرها موقع ohmynews الكوري.

م- مواقع التحرير الجماعي participatory sites: وهي مواقع تعتمد على برمجيات wiki التي تسمح بتحرير مضمونها بشكل جماعي، يتيح إمكانية التعديل والتنقيح، وأشهرها موسوعة "ويكيبيديا Wikipedia".¹

بالإضافة إلى الهواتف ال نقالة متعددة الوسائط التي تنقل الإذاعات الرقمية، والبث التلفزيوني التفاعلي، ومواقع الانترنت، والموسيقى، ومقاطع الفيديو، والمتاجرة الأسهم، والأحوال الجوية، وحركة الطيران، والخرائط الرقمية، ومجموعات الرسائل النصية والوسائط المتعددة.

ثالثا- الاتصال الشخصي ومدخله النظرية في عصر الإعلام الجديد:

كان الاهتمام بدراسة الاتصال الشخصي قد ظهر في منتصف الأربعينات عندما ظهرت نتائج الدراسة التي أجراها بول لازار فيلدر في عام ١٩٤٥ و استمرت لمدة عقد كامل، و ظهرت نتائجها عام ١٩٥٥ في كتاب مع كاتز عنوانه: **The personal influence: the part played by people in the flow of Mass communication**

و استمر الاهتمام بدراسة الاتصال الشخصي في الجامعات والمراكز و الجمعيات العمومية المهنية. ومنه أصبح الاتصال الشخصي إشكالية لمدارس اتصالية مثل مدرسة بالو ألتو Alto Palo التي اتخذته بحثا من بحوثها الشهيرة. وقد افترض باحثون أمثال ستينبرغ Steinberg وبرجر Berger وميلر Miller أن الدرجة الشخصية لأي علاقة يمكن أن تقوم على نوع من المعلومات المشتركة التي تستخدم في التنبؤ بالرسائل المتبادلة بين الطرفين، و منذ ذلك الحين تزايد الاهتمام بدراسة الاتصال الشخصي.²

وبعد ظهور الإعلام الجديد بمختلف صيغته ظهر العديد من المنظرين في هذا المجال وحاول كل منهم إيجاد مداخل نظرية تنطلق منها دراسة مظاهر وآثار هذه المحادثات والوسائط الرقمية، ومن أهم هذه المداخل مدخل نيغروبونتي والنموذج الاتصالي الجديد لدى كروسبي، مدخل ديفس واوين ، مدخل مانوفيتش للإعلام الجديد، رؤية بافلوك ورؤية بوتلر وغروسين، مدخل فيدلر لفهم الإعلام الجديد، ومدخل الحالة الانتقالية للإعلام.

وفي دراستنا هذه استخدمنا النموذج الاتصالي الجديد لدى كروسبي³ ، حيث يعقد مقارنة ثلاثية متسلسلة بين الإعلام الجديد والقديم من خلال النماذج الاتصالية الكلاسيكية، ابتداء من أول نموذج اتصالي بين البشر حتى بين غير بني

¹ إبراهيم عزيز: "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل و ظهور صحافة المواطن "، (تونس: مجلة الإذاعات العربية، ع (٣) ، (٢٠١١)، ص (٤٨).

² وحيدة سعدي: "الاتصال الأسري"، مقارنة اتصالية، (الجزائر: دراسات و أبحاث العدد ٦ جامعة الجلفة ٢٠١٢)، ص، (٧).

³ عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، (الدمارك: مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة، ع ٢٠٠٧، ٢)، ص (١٧٥).

البشر من أحياء الذي كان من نوع الاتصال الشخصي **Interpersonal Communications** وهو اتصال ليس بحاجة إلى وسائل تكنولوجية لكي يتم، وله حالتان تميزانه.

فبحسب كروسي الإعلام الجديد، يتميز بفرديّة الرسائل إذ يمكن أن تصل في وقت واحد إلى عدد غير محدود من البشر، وكذلك كل واحد من هؤلاء البشر له نفس درجة السيطرة ونفس درجة الإسهام المتبادل في هذه الرسالة، وبعبارة أخرى فإن الإعلام الجديد، يتميز عن النوعين المذكورين، الشخصي والجمعي، بدون أن يحمل الصفات السالبة فبهما، فلا يوجد ما يمنع أي واحد من إبلاغ رسالة معينة والتواصل مع شخص آخر، كما لا يمكن منع أي شخص من إبلاغ رسالة لجموع من الناس وتخصيص محتوى الرسالة لكل فرد على حدة^١.

٢- من الاتصال المواجهي المباشر إلى الاتصال الوسيطي المباشر:

الاتصال الوسيطي هو أي شكل من أشكال مشاركة ونقل الرسائل عن طريق وسيط بدلا من نقلها وجها لوجه^٢، ونقصد بالاتصال الوسيطي في هذه الورقة الاتصال عن طريق مواقع الشبكات الاجتماعية وتحديدًا موقع "الفيسبوك" الذي يعتبر كوسيط لنقل الرسائل بين المتفاعلين في الفضاء الافتراضي.

حيث ساهم الإعلام الجديد بمختلف أدواته ومخرجاته في وسّلت الشبكات الاجتماعية من تكوين الصداقات، حيث تجمع الشبكات بين الصداقات الواقعية والصداقات الافتراضية، والفرضية الأساسية التي تتوأكب مع تكوين الصداقات هي مشاركة الاهتمامات، فلقد نجحت الشبكات الاجتماعية في الجمع بين أصحاب الاهتمامات عبر الفضاء المعلوماتي . وإمكانية تفعيل هذه الصداقات واردة ويمكن تبلورها في تأسيس رأس مال اجتماعي يمكن أن يتيح إمكانية لفرص تتأرجح مداها بين السياق الواقعي والسياق الافتراضي . كما أنها تتيح فرصة للتواصل ليس فقط في إطار السياقات المحلية ولكن علي الصعيد العالمي^٣.

يحدث الاتصال الشخصي حينما يتصل اثنان أو أكثر مع بعضهم البعض عادة في جو غير رسمي، لتبادل المعلومات ولحل المشكلات ولتحديد التصورات عن النفس والآخرين، ويشمل الاتصال الشخصي نوعين رئيسيين هما : الاتصال الثنائي والاتصال في مجموعات صغيرة.

ويشمل الاتصال الثنائي **dyadic** عادة المحادثة بين شخصين كما يحصل بين الأصدقاء . وفي هذا الإطار يرسل ويستقبل كل من الإثنين رسائل من خلال اللغة اللفظية واللغة غير اللفظية معتمداً على الصوت والرؤية في نقل هذه الرسائل . وهنا يتحقق للمتصل أكبر قدر من التفاعل ورجع الصدى، كما يقل التشويش نظراً لمعرفة كل طرف منهما بظروف الاتصال ولديه الفرصة للتأكد من وصول الرسالة وفهمها كما يريد.

وفي الاتصال من خلال المجموعات الصغيرة التي لا تتعدى أفراداً قليلاً تتحقق للمشاركة فرصة الاتصال والتفاعل مع أعضاء المجموعة. ونظراً لوجود مجموعة من المرسلين والمستقبلين في آن واحد، فإن عملية الاتصال تصبح أكثر تعقيداً من الاتصال الثنائي، كما تزيد فرصة الارتباك وعدم الوضوح وزيادة التشويش على الرسائل.

^١ المرجع السابق، ص (١٧٦).

^٢ George Rodman.(2009) : mass media in a changing world, New York : McGraw ,p..٠٧

^٣ وليد رشاد زكي : "نظرية الشبكات الاجتماعية من الإيدولوجيا إلى الميثودولوجيا"، (المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني ، مارس ٢٠١٢) منشور www.accr.co تاريخ الاطلاع ٠٦/٠٣/٢٠١٢.

وفي استطلاع للرأي عن تأثير جهاز الهاتف النقال في تغيير نمط العلاقات الاجتماعية بين الشباب نشر في صحيفة الرأي الأردنية، وجد أن بعض الطلبة اعتبروا الهاتف النقال ضرورة فهو يحافظ على مستوى العلاقات الاجتماعية، لكنه يغير في المقابل أسلوب العلاقة وذلك بتوجيه العلاقة عبر الاتصال أو استخدام الرسائل في الهاتف النقال، مما قد يؤدي إلى قلة التواصل الاجتماعي بين أفراد العينة والذي ينعكس على المجتمع ككل، ومن الناحية الأخرى فإن الهاتف النقال قد عزز الخصوصية لدى أفراد الأسرة ليعيش كل فرد فيها مع نفسه وليس مع العائلة، وذكر في ذات الاستطلاع أن الهاتف النقال قد قضى على جماليات الصداقة والعلاقات الاجتماعية المتنوعة.¹

وأكد بحث البروفسور Scott Campbell حول الاتصالات عبر الهاتف النقال أهمية دوافع استخدام الهاتف النقال والتأثير الاجتماعي لتقنية الاتصال الجديدة التي لم تفرق بين الاتصال الشخصي والاتصال العام حيث أن الأفراد يستخدمون أجهزة النقال للمعلومات وممارسة هوياتهم والاتصال مع الآخرين بعكس نموذج الاتصالات التقليدية التي أكدت على تعرض الفرد لمحتويات الرسالة الإعلامية.²

لقد أدت وسائل الإعلام الجديدة إلى إيجاد واقع جديد أدى إلى إضعاف غريزة الميل للتواصل الحي مع الآخرين، لأن شاشة الكمبيوتر تخلق لدينا وهم الاقتراب الزماني والمكاني من العالم الخارجي، وهذا ما يترجم لدى المشاهد بالعجز عن نقل الموقف الفردي إلى موقف جماعي، فالقرب وهمي ولا يتم من خلال الفراغ المكاني، ولكن من خلال الفضاء الإلكتروني Cyberspace؛ وهو فضاء تحدث فيه المقابلات بشكل افتراضي من خلال شاشة، الكمبيوتر وليس من خلال التفاعل المكاني الحقيقي.³

إن الفارق الحقيقي بين الاتصال الشخصي المباشر والاتصال عبر الوسائط الاتصالية الجديدة هو الفرق ما بين لفظ "عن قرب" و"عن بعد" فيما يخص أداء النشاط الاتصالي، الذي هو محور العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فالإتصال الشخصي الذي يحقق ويدعم العلاقات الاجتماعية الإنسانية يدور في نطاق "القرب: المكاني، والاتصال والتفاعل: الزماني- المكاني"، أما النشاط الاتصال الوسيط الجديد الذي يحقق العلاقات الاجتماعية الإلكترونية فيدور في نطاق "البعد: اللامكاني، والاتصال والتفاعل: اللامكاني".

3- التفاعلية في الاتصال بين المباشرة والافتراضية:

عرفت التفاعلية بتعريفات عدة خلاصتها أنها سمة لاتصال تبادلي ذي اتجاهين بين المرسل والمستقبل بشكل تزامني أو غير تزامني، فالأول يكون الإرسال والاستقبال فيه في الوقت نفسه كما في مواقع الدردشة سواء كان في صورة كتابية، صوتية أو مرئية، أما غير التزامني يتأخر الإرسال فيه عن الاستقبال كما في المنتديات الحوارية.

وفي الاتصال غير التزامني يمكن للفرد أن يعدل و يراجع الرسالة الاتصالية أكثر من مرة قبل إرسالها إلى الطرف الآخر، حتى تصل بالشكل والمعنى الذي يرغبه وهذه الميزة لا توجد في الاتصال الشخصي.

¹ عادل زيادات: "الآثار الاجتماعية والثقافية للهاتف الخليوي على طلبة جامعة اليرموك كنموذج لطلبة الجامعات الرسمية الأردنية"، (الأردن: بحث غير منشور، قسم الصحافة والإعلام جامعة اليرموك)، ص: (١٧).

² Scott W. Campbell, "Mobil Communication and the Public Sphere: linking Patterns of Use to Civic and Political Engagement" (Canada, paper presented at the 58th Annual International Communication Association Conference, Montreal, , May 22-26, 2008).

³ نوبي محمد حسن: "منظومة العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية في عصر المعلوماتية"، (البحرين: مركز معلومات المرأة والطفل، ٢٠٠١)، ص: (١٢).

ويمكننا عبر شبكة الإنترنت الاتصال والتخاطب الشخصي عبر أجهزة الكمبيوتر بالكتابة والصوت والصورة، والتي تولدت عنها فكرة الوسائط المتعددة، فشبكة الإنترنت الآن مجال نشط للبحث والاستقبال ثنائي التفاعل، فكل مشترك يمكنه الإرسال والاستقبال، وهكذا تأكد وجود وفاعلية الوسائط المتعددة،

كما أن الخدمات المتعددة التي أتاحتها مواقع الشبكات الاجتماعية وتجسيدها القوي لمفهوم المجتمع الافتراضي أصبح الأفراد يمارسون من خلالها مختلف الأدوار الأمر الذي دفعهم إلى الاندماج بشكل كبير في هذا المجتمع الافتراضي وبالتالي الانسحاب من المجتمع المادي. فكان للشبكات الاجتماعية على الإنترنت دور كبير في تشكيل المجتمعات الافتراضية وبالتالي بروز العلاقات الاجتماعية الافتراضية التي تختلف عن نظيرتها في الواقع بدءاً من طبيعة الاتصال ونوعه ووصولاً إلى البيئة التي تنشأ فيها هذه العلاقات والمجتمع الذي تتفاعل ضمن كيانه¹.

خلاصة :

في النهاية يمكن القول أن وسائل الإعلام الجديدة ساهمت في الحد من عيوب الاتصال الشخصي المباشر وأعطت دفعا له خاصة بعد أن حصرت وسائل الإعلام التقليدية من صحافة وراديو وتلفزيون استخداماته في مجالات معينة، لكن في ظل الوسائط الإعلام الجديد أصبح بالإمكان استغلال خصائصه الجيدة لإيصال محتوى اتصالي مهما كان مضمونه وإلى أي جهة نريدها وبالصبغة الفردية أو الجماهيرية في آن واحد، هذا من جهة و من زاوية أخرى انتقل هذا الاتصال من إطار واقعي حقيقي إلى بيئة افتراضية فرضتها هذه الوسائل ساهمت في ظهور مشاكل كثيرة ولدتها هذه الوسائط.

قائمة المراجع:

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- محمود علم الدين: "تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة"، (القاهرة: دار السحاب، ٢٠٠٥).
- ٣- رحيمة الطيب عيساني: "الوسائط التقنية الحديثة وأثرها على الإعلام المرئي والمسموع"، (الرياض: جهاز إذاعة وتلفزيون الخليج، ٢٠١٠).
- ٤- رحيمة الطيب عيساني: "مدخل إلى الإعلام والاتصال"، (الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد) ٢٠٠٨.
- ٥- صالح أبو إصبع: "الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة" (عمان: دار آر للدراسات والنشر والتوزيع، ط(١)، ١٩٩٥).
- ٦- عباس مصطفى صادق: "الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات"، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٨).
- ٧- عباس مصطفى صادق: "الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، (الدنمارك: مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة، ع ٢٤، 2007).
- ٨- الصادق الحمامي: "الإعلام الجديد مقارنة تواصلية"، (تونس: مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، ع (٠٤)، ٢٠٠٦).

^١ مريم نيمان نومار: "استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية"، (بانتة: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، قسم الإعلام والاتصال، ٢٠١١، ٢٠١٢)، ص ٧٧.

- ^١ - شبكة النبا: "مصطلحات الوسائط الإعلامية"، نشر في www.annabaa.org الأحد ٧ تموز ٢٠٠٧، تاريخ الاطلاع ٢٠١١/١٢/١٠.
- ^١ - فاطمة همال: "الألعاب الالكترونية عبر الوسائط الإعلامية الجديدة وتأثيرها في الطفل الجزائري". (باتنة: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، قسم الإعلام والاتصال، ٢٠١١، ٢٠١٢).
- ١١ - محمد شومان: "عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي"، (الكويت: مجلة عالم الفكر، م (٢٨)، ع(٢)، أكتوبر-ديسمبر ١٩٩٩).
- ^٢ - علي بن عبد الله عسيري: "الآثار الأمنية لاستخدام الشباب للإنترنت"، (الرياض: مركز البحوث والدراسات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط ١، ٢٠٠٤).
- ^٣ - شطاح محمد، (وآخرون): "القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري، دراسة ميدانية"، (عين مليلة: دار الهدى، ٢٠٠٢).
- ١٤ - إبراهيم بعزیز: "وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين"، وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين، (بسكرة: الملتقى الوطني: وسائل الإعلام والمجتمع" جامعة محمد خيضر، يومي ٢٨ و ٢٩ نوفمبر ٢٠١٠).
- ١٥ - إبراهيم بعزیز: "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل و ظهور صحافة المواطن"، (تونس: مجلة الإذاعات العربية، ع (٣)، ٢٠١١).
- ١٦ - "تقرير الإعلام الاجتماعي العربي" (الإمارات العربية المتحدة: كلية دبي للإدارة الحكومية، الإصدار ٤، جوان ٢٠١٢)، منشور بـ <http://www.arabsocialmediareport.com>، تاريخ الاطلاع ٢٠١٣/٠١/١١.
- ١٧ - وحيدة سعدي: "الاتصال الأسري، مقارنة اتصالية"، (الجزائر: دراسات وأبحاث العدد ٦ جامعة الجلفة ٢٠١٢).
- ١٨ - وليد رشاد زكي: نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدولوجيا إلى الميثودولوجيا، (المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، مارس ٢٠١٢) منشور بـ www.accr.co تاريخ الاطلاع ٢٠١٢/٠٣/٠٦.
- ١٩ - عادل زيادات: "الآثار الاجتماعية والثقافية للهاتف الخليوي على طلبة جامعة اليرموك كنموذج لطلبة الجامعات الرسمية الأردنية"، (الأردن: بحث غير منشور، قسم الصحافة والإعلام جامعة اليرموك).
- ^{٢٠} - نوبي محمد حسن: "منظومة العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية في عصر المعلوماتية"، (البحرين: مركز معلومات المرأة والطفل، ٢٠٠١).
- ^{٢١} - مريم نريمان نومان: "استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية"، (باتنة: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، قسم الإعلام والاتصال، ٢٠١١، ٢٠١٢).

^{٢٢} - George Rodman.(2009) : *mass media in a changing world*, New York : McGraw.

^{٢٣} - Scott W. Campbell, "Mobil Communication and the Public Sphere: linking Patterns of Use to Civic and Political Engagement"(Canada, paper presented at the 58th Annual International Communication Association Conference, Montreal, , May 22-26,2008).

المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو

د. جميل حمداوي/أستاذ التعليم العالي وباحث، المغرب

ملخص:

يعد بيير بورديو (Pierre Bourdieu) من أهم السوسيولوجيين الفرنسيين الذين تمثلوا المقاربة الصراعية أو ما يسمى بالمقاربة الماركسية الجديدة في دراسة الظواهر المجتمعية فهما وتفسيرا . وقد عرف هذا الباحث بمواقف حياتية جريئة وشجاعة وصارمة؛ نظرا لارتباطه بواقعه المجتمعي ارتباطا وثيقا، وإيمانه الراسخ بفلسفة التغيير الجدلي في نقد المجتمع الليبرالي وتعريته وفضح استلابه. كما أغنى الحقل السوسيولوجي بمفاهيم عدة، منها : الهابيتوس، والحقل، والرأسمال، والعنف الرمزي، والورثة، وإعادة الإنتاج، والتميز، والبنوية التكوينية.

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجيا، بنية المجتمع، الفاعل الفردي- الهابيتوس- الحقل- التميز- العنف الرمزي- الرأسمال الثقافي-الرأسمال الرمزي- الرأسمال الاقتصادي، الرأسمال اللغوي- العنف الرمزي- إعادة الإنتاج- الورثة، البنيوية التكوينية، الفهم والتفسير.

مقدمة:

أغنى الباحث الفرنسي بيير بورديو (Pierre Bourdieu) (١٩٠٣-٢٠٠٢م) السوسيولوجيا المعاصرة بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم الإجرائية التي لا يمكن تجاوزها أثناء ممارسة البحث السوسيولوجي، أو مقارنة الظواهر المجتمعية والثقافية والتربوية نظرية وتطبيقا ورؤية، مثل : العنف الرمزي، وإعادة الإنتاج، والحقل الاجتماعي، والهابيتوس، والرأسمال الثقافي، والبنوية التكوينية، والمدى الحيوي، والتميز، وسوق الخيرات الاجتماعية...

ومن جهة أخرى، يعد بيير بورديو من أهم ممثلي المقاربة الصراعية ذات التوجه الماركسي، وكذلك من أهم رواد البنيوية التكوينية (Structuralisme constructiviste) الذين جمعوا بين الفهم والتفسير، بين الذاتية والموضوعية، بين الماكرو والميكرو، بين الحتمية والفاعلية ... علاوة على ذلك، تنبني نظريته السوسيولوجية على دراسة المجتمع باعتباره فضاء للصراع والمنافسة والهيمنة، مع تحليل تراتبية مختلف الطبقات الاجتماعية، وتبيان الدور الذي تقوم به الممارسات الثقافية داخل الصراع الذي يحدث بين هذه الطبقات الاجتماعية بشكل واع أو غير واع، ثم استجلاء الكيفية التي تعيد بها المدرسة إنتاج اللامساواة المجتمعية، وإعادة الطبقات الاجتماعية نفسها.

إذاً، ما تصور بيير بورديو للسوسيولوجيا؟ وما المنهجية التي تمثلها في مقارباته السوسيولوجية النظرية والتطبيقية؟ وما أهم المفاهيم السوسيولوجية التي اعتمد عليها في بناء أبحاثه المجتمعية؟ وكيف يربط الهابيتوس بين الفرد بالمجتمع ؟ تلكم هي أهم الأسئلة التي سوف نحاول الإجابة عنها في موضوعنا هذا .

المبحث الأول: مفهوم السوسيولوجيا:

^١ - بيير بورديو: "الرمز والسلطة"، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، ص: ١٨.

يعد بيير بورديو من أهم السوسيولوجيين الفرنسيين الملتزمين في منتصف القرن العشرين، وهو من طبقة اجتماعية عمالية عادية، يحمل رؤية ماركسية نقدية جديدة، تعري واقع الهيمنة والسلطة والتمركز الطبقي . وقد ألف أكثر من أربعين كتابا، وأكثر من مائة مقال. وقد انصب اهتمامه كثيرا على الطريقة التي يعيد بها المجتمع إنتاج التراتبية الطبقيّة نفسها، بالتركيز على العوامل الثقافية والرمزية، بدل التشديد على العوامل الاقتصادية التي كانت لها أهمية معتبرة في المقاربة الماركسية الكلاسيكية. ويعني هذا أن السوسيولوجي ا عند بورديو هي سوسيولوجيا علمية انتقادية ، تسعى إلى تعرية واقع الهيمنة والقوة والنفوذ، وانتقاد المجتمع الليبرالي المعاصر الذي يتميز بالظلم واللامساواة وصراع الحقول والطبقات الاجتماعية. بمعنى أن السوسيولوجيا هي أداة فعالة للنقد الجذري، وكشف المضمّر، واستنطاق المسكوت عنه، وفضح لعبة التنافس والهيمنة، كالعلاقة الترابطية الموجودة - مثلا- بين النجاح المدرسي والأصل الاجتماعي والرأسمال الثقافي الذي ترثه الأسرة، بعد أن كان هذا النجاح مرتبطا بالذكاء الوراثي . بل إن الحقل العلمي هو أيضا مجال للتنافس والسيطرة والسعي لتحقّق الأرباح، والحصول على الجوائز المادية والمالية (جائزة نوبل)، وتحقيق السبق العلمي، والظفر بالمجد والشهرة.

وتتحقق علمية السوسيولوجيا بالتركيز على الفرضيات، والانطلاق من المفاهيم الموضوعية، واستعمال المناهج الكمية والكيفية للتحقق من النتائج المتوصل إليها، والتأرجح بين منهجيتي الفهم والتفسير معا . أما إذا اتخذت السوسيولوجيا طبيعة سياسية، فلا يمكن- آنذاك - الحديث عن سوسيولوجيا علمية.

علاوة على ذلك، يرى بيير بورديو أن موضوع السوسيولوجيا هو دراسة حقول التنافس والصراع والهيمنة ليس على صعيد الطبقات فقط، بل حتى في المجال العلمي نفسه . ويعني هذا أن بيير بورديو ينطلق من سوسيولوجيا نقدية صراعية أو مقاربة صراعية. ومن ناحية أخرى، يطرح بورديو ميتاسوسيولوجيا أو سوسيولوجيا السوسيولوجيا، من خلال الإشارة إلى ضرورة حياد عالم الاجتماع عندما يبحث في مشكلة مجتمعية ما قوامها التنافس والصراع والهيمنة، بأن يكون واعيا بموقعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي . ومن ثم، فالسوسيولوجيا الحقيقية هي سوسيولوجيا المضمّر والمسكوت عنه.

هذا، وقد تأثر بيير بورديو، في تصورات النظرية والتطبيقية، بمجموعة من المفكرين والعلماء الرواد أمثال : ماكس فيبر (Max Weber) (البعد الرمزي)، وكارل ماركس (Karl Marx) (الرأسمال)، وإميل دوركايم (Émile Durkheim) (التفسير السببي)، وكلود ليفي شتروس (Claude Lévi-Strauss) ومارسيل موس (Mauss) (البنوية)، وموريس ميرلوبونتي (Maurice Merleau-Ponty) وهوسرل (Husserl) (الفينومينولوجيا وفكرة الجسد الخاص)، وفيتجنشتاين (Wittgenstein) (الطبيعة)، وباسكال (Pascal) (قواعد الفاعلين المجتمعيين).

وعليه، تتميز السوسيولوجيا عند بيير بورديو بالطابع العلمي المنطقي، والابتعاد عما هو سياسي وإيديولوجي، ودراسة العنف الرمزي وفق مقاربات علمية دقيقة وصارمة، دون إدخال ما هو شخصي وسياسي في البحث العلمي. ويعني هذا أن بورديو يدعو إلى تأسيس سوسيولوجيا علمية . وفي هذا الصدد، يقول: "لا يمكن لعلم الاجتماع أن يقوم إلا إذا رفض الطلب الاجتماعي الذي يلتمس وسائل لإضفاء المشروعية وأدوات للتحريض . وعالم الاجتماع، ليس له مهمة يسخر لها ولاغاية انتدب من أجلها، اللهم تلك التي يفرضها عليه منطق بحثه"¹

¹ - Pierre Bourdieu, *Choses dites*, Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Le sens commun », 1987, p 229 .

ومن ثم، تعنى السوسيولوجيا بدراسة الهابيتوس (Habitus) الذي يربط الفعل ببنية المجتمع في إطار بنيوية تكوينية، تعطي الأهمية الكبرى للفاعل والبنية المجتمعية على حد سواء.

هذا، وقد كرس بورديو جل جهوده لإرساء سوسيولوجيا النظام التعليمي، وسوسيولوجيا الميدان الثقافي أو سوسيولوجيا المثقفين، وفهم العنف الرمزي، وتحليل الصراع المجتمعي في علاقته بعلاقات القوى والآليات المتحركة في تطورها، وفق رؤية علمية موضوعية. ومفاد تصوره أن اللعبة الاجتماعية، مهما كان الحقل والمجال الذي تمارس فيه، مرتبطة بآليات بنية التنافس والهيمنة والصراع. وقد أصبحت هذه الآليات متجذرة لدى الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية، فينتجونها بدورهم بطريقة غير واعية كهابيتوس معياري. ومن ثم، تعد المدرسة فضاء لإعادة إنتاج هذه اللامساواة الناتجة عن وجود طبقة مهيمنة، وطبقة مهيمنة عليها، حيث يساهم النظام التربوي في ممارسة العنف الرمزي ضد الفاعلين المجتمعيين المرتبطين بالمدرسة. ويلاحظ أن آليات التنافس والسيطرة تنتقل من جيل إلى آخر. ومن ثم، فنحن لانعرف مجتمعات بدون تراتبية طبقية أو جنسية أو نوعية، أو مجتمعات بدون سلطة أو هيمنة. لذلك، فهدف السوسيولوجيا عند بورديو هو تحليل آليات السيطرة التي تتحكم في البنيات الموضوعية للحقول المجتمعية. أما الفاعلون المجتمعيون، فهم مجرد منفذين لآلية السيطرة بطريقة غير واعية. لذلك، لا يشكلون حقيقة واقعية يمكن أن يستكشفها السوسيولوجي. ومن ثم، يعيد هؤلاء الأفراد الإنتاج الطبقي نفسه، عبر الهابيتوس الذي يعني مجموع الإستراتيجيات التي يمتلكها الفرد لمواجهة وضعيات مفاجئة أو جديدة. ولكن كيف يمكن القول، مع بورديو، بأن الأفراد ينتجون أشكالاً مختلفة من الهيمنة بطريقة غير واعية. فهذا الحكم غير صحيح، والدليل على ذلك أن هؤلاء يقومون باحتجاجات اجتماعية وسياسية تعبر عن موقفهم الواعي والرافض لكل أشكال السلطة والهيمنة.

وإذا أخذنا - على سبيل التمثيل - الهابيتوس الذكوري، فإن النساء واعيات بسلطة الذكورة وهيمنتها. لذلك، فقد ظهرت حركات نسائية متعددة منذ بداية القرن العشرين في شكل احتجاجات صارخة، وقد شارك فيها الرجال إلى جانب النساء مدافعين عن حقوقهن، ورافضين لكل أشكال الهيمنة الذكورية. ومن ناحية أخرى، لانقتصر المجتمعات على إعادة الإنتاج الطبقي نفسه فحسب، بل تسعى إلى التطور والتغيير والتقدم وتحقيق الازدهار. فوضعية المرأة - الآن - قد تغيرت بشكل كبير، إذ تمتعت بحريات أكثر مقارنة بالرجل. بل يمكن الحديث، في المستقبل القريب، عن هيمنة الأنوثة التي استولت على مختلف الامتيازات والمناصب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية. في حين، أصبح الرجل عرضة البطالة والتميش والازواء والإقصاء.

المبحث الثاني: المنهجية السوسيولوجية:

يتبنى بيير بورديو، في أبحاثه السوسيولوجية، المقاربة الماركسية ذات الأساس الجدلي، على أساس أن التنافس والصراع وظيفتان أساسيتان للمجتمع. ومن ثم، يرتبط بورديو بالمقاربة الصراعية التي تستند إلى التحليلات الماركسية. لكن هذا الصراع والتنافس يتشكلان، قبل كل شيء، في مختلف الحقول والفضاءات المجتمعية الفرعية الأصلية، قبل أن يتحددا على صعيد المجتمع الماكروسوسيولوجي. ومن ثم، تتميز هذه الحقول بوجود تفاوت طبقي واجتماعي خاص، ووجود مسيطرين ومسيطر عليهم. وبتعبير آخر، إذا كان المجتمع - حسب المقاربة الماركسية - قائماً على صراع الطبقات الاجتماعية، فإن هذا الصراع - حسب بيير بورديو - يتشكل أولاً ضمن حقول وفضاءات مجتمعية فرعية، قبل أن يتحول إلى ظاهرة اجتماعية عامة.

هذا، وقد بلور بيير بورديو نظرية الفعل التي ترتبط بمفهوم الهابيتوس. بمعنى أن الفاعلين المجتمعيين يطورون مجموعة من الإستراتيجيات التي يتمثلونها عن طريق التنشئة الاجتماعية، بطريقة غير واعية، بغية التكيف مع ضرورات العالم الاجتماعي. أي: إن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من المواقف والموارد والمكتسبات والقيم والعادات والأعراف والخبرات والتجارب والمعايير التي يكون الفرد قد استضمها عن طريق التنشئة الاجتماعية، بطريقة لاشعورية، بغية استدماجها أثناء مواجهة الوضعيات الصعبة والمعقدة في العالم الاجتماعي. وبهذا، يكون الهابيتوس وسيطا بين الفعل والمجتمع، أو بمثابة الأنا الأعلى الذي يتوسط الذات أو الأنا والمجتمع بالمفهوم السيكلوجي.

علاوة على ذلك، فالهابيتوس هو بمثابة الأفعال غير الواعية التي يصدر عنها الأفراد المجتمعيون أثناء تكيفهم وتأقلمهم مع المجتمع مماثلة واستيعابا، كما يقول جان بياجيه (Jean Piaget) في منظوره التكويني. وبهذا، يوحد الهابيتوس بين الفرد والمجتمع، بين الفعل والبنية، والذات والموضوع، والضرورة والحرية...

وتأسيسا على ما سبق، يتبنى بيير بورديو البنيوية التكوينية (« Structuralisme constructiviste » ou « constructivisme structuraliste ») على المستوى السوسولوجي¹. بمعنى أنه يوفق بين الفعل والبنية، أو يجمع بين دور الفاعل المجتمعي وبنية المجتمع. فكل واحد من هذين العنصرين يؤثر في الآخر. بمعنى أن هناك تفاعلا وتماثلا بين الفاعل والمجتمع، أو تفاعلا بين الفهم والتفسير، بين الضرورة والحرية. وبهذا، يكون قد وفق بين التصور الدوركايمي التفسيري، والتصور الإنساني الذاتي عند ماكس فيبر. أي: لا ينكر بيير بورديو أهمية المجمع في التأثير في الأفراد سلبا أو إيجابا؛ لأن ثمة ضرورة أو حتمية مجتمعية تمارس تأثيرها على الفاعلين المجتمعيين. وفي الوقت نفسه، يثبت أن للإنسان دورا مهما في تغيير المجتمع وخلقه وإبداعه. وبهذا، يكون بورديو قد تأثر بالبنيوية التي تعتبر الإنسان نتاج بنيات وقو اعد حتمية. وفي الوقت نفسه، تأثر بماكس فيبر الذي يعتبر الإنسان فاعلا وبنيا للمجتمع. وبذلك، يتجاوز بورديو ثنائية الذاتية والموضوعية، وثنائية الميكرو والماكرو، وثنائية الفعل والبنية، مع تحكيم الهابيتوس في كل هذه الثنائيات باعتباره عنصرا وسيطا وجامعا وموحدا.

المبحث الثالث: المفاهيم السوسولوجية:

وظف بيير بورديو مجموعة من المفاهيم السوسولوجية في أبحاثه ودراساته وكتبه، وقد كان لها تأثير في كثير من النظريات والمدارس السوسولوجية المعاصرة، على الرغم من تعقيدها وغموضها². ومن بين هذه المفاهيم نذكر ما يلي:

المطلب الأول: إعادة الإنتاج:

لقد تناول بيير بورديو مفهوم إعادة الإنتاج بالتحليل والدراسة والتقويم، حينما ركز اهتمامه السوسولوجي على النظام التربوي الفرنسي مع صديقه جان كلود باسرون (Jean-Claude Passeron)، في كتابهما (إعادة الإنتاج)، منذ سنوات الستين من القرن الماضي³، إذ كانت هذه الفترة مرحلة التطور والازدهار العلمي والمنهجي لسوسولوجيا التربية.

¹ - Bourdieu (Pierre), **Questions de sociologie**, édition originale de Minuit, Paris, 1984, Cérès Productions Tunis, 1993.

² - Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, **Les héritiers : les étudiants et la culture**, Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents » (n° 18), 1964, 183 p.

³ - خالد المير وآخرون: أهمية سوسولوجيا التربية، سلسلة التكوين التربوي، العدد 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية سنة 1990م، ص: 105-116.

ويمكن القول بأن بيير بورديو وكلود باسرون هما اللذان أعطيا ولادة ثانية لسوسيولوجية التربية، وقد انطلقا من فرضية سوسيولوجية أساسية، تتمثل في كون المتعلمين لا يملكون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح المدرسي. ويرجع هذا الاختلاف إلى التراتبية الاجتماعية، والتفاوت الطبقي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه. ومن ثم، فقد قادت الأبحاث السوسيولوجية والإحصائية بورديو وباسرون إلى استنتاج أساسي هو: أن الثقافة التي يتلقاها المتعلم في المدرسة الفرنسية الرأسمالية ليست ثقافة موضوعية أو نزيهة ومحيدة، بل هي ثقافة مؤدلجة تعبر عن ثقافة الهيمنة و ثقافة الطبقة الحاكمة. ومن ثم، فليست التنشئة الاجتماعية تحريرا للمتعلم، بل إدماجا له في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبع والانضباط المجتمعي. وبالتالي، تعيد لنا المدرسة إنتاج الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب. ومن ثم، فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز.

ويعني هذا كله أن سوسيولوجيا التربية النقدية قد عرفت منحنى مهما في سنوات الستين إلى غاية سنوات السبعين من القرن العشرين، فقد اتخذت بعدا علميا أكثر مما هو سياسي، بعد أن توسعت الهوة بين النظرية والتطبيق، أو بين المؤسسة التربوية والمجتمع، ولأسيم بعد تحول المدرسة الرأسمالية إلى فضاء للمنافسة والتطاحن والصراعات الاجتماعية والطبقية، أو تحولها إلى مؤسسة هيرارشية أو تراتبية طبقية، تنعدم فيها العدالة الاجتماعية الحقيقية، وتغيب فيها المساواة على مستوى الفرص والحظوظ، حيث يكون الفشل والإخفاق مآل أبناء الطبقات الشعبية. في حين، يكون النجاح حليف أبناء الطبقات الغنية وأبناء الطبقة الحاكمة. أي: أصبحت مدرسة فارقية بامتياز، أو مدرسة للانتقاء والاصطفاء الطبقي والتميز الاجتماعي.

وللتوضيح أكثر، ينطلق بورديو وباسرون من فكرة أساسية هي "أن المدرسة تعمل وفق تقسيم المجتمع إلى طبقات. وهي بذلك تكرر إعادة الإنتاج والمحافظة على الوضع القائم الذي أنتجها. وتبعاً لهذا، فإن الأطفال، ومنذ البداية - قبل ولوجهم المدرسة- غير متساوين أمام المدرسة والثقافة. أي: غير متساوين في الرأسمال الثقافي (أي امتلاك المهارات اللغوية الملائمة التي تسهل عملية التواصل التربوي). ولكي تحافظ المدرسة على وظيفتها- إعادة الإنتاج- فهي تفرض معياراً ثقافياً ولغوياً معيناً، وهو أقرب إلى اللغة والثقافة الساريتين في الأسر البورجوازية منه في الأسر والطبقات الشعبية. إن هذا الإيثوس (Ethos). أي: النظام القيمي المستبطن بعمق، والذي هو لصالح الطبقات المسيطرة يؤدي إلى خلق نوع من الاستعداد أو الأبيتوس لدى الأفراد عن طريق العمل التربوي الذي يسعى أساساً لتشريب التعسف الثقافي المفروض من قبل الجماعة المسيطرة.

وهذا يعني أن طفل الفئة البورجوازية يعيش استمرارية وتكاملاً بين ثقافة فئته وثقافة مدرسته، مما يسهل عليه عملية التوافق، إن لم يكن مسبقاً متوافقاً. ومن ثمة، يصبح وريثاً للنظام المدرسي.

أما طفل الطبقة الدنيا، فهو يعيش قطيعة بين ثقافة فئته وثقافة مدرسته. مما يجعل هذه الأخيرة غريبة وبعيدة عنه. ولكي يتوافق دراسياً معها، عليه أن يتخلص من روحه اسب ثقافته، ويتعلم طرائق جديدة في التفكير واللغة والسلوك. أي: أن يمر، حسب تعبير بيرنو (Perrnaud)، أولاً بعملية الانحلال من الثقافة، ثم ثانياً بعملية المثاقفة.

وعلى العموم، فإن أطروحة بورديو وباسرون توضح أن الأهداف الضمنية للمدرسة تخدم التكامل بينها وبين الطبقة المسيطرة، مما يجعل أبناء هذه الأخيرة أطفالا ناجحين دراسيا. في حين، إن انعدام التكامل بين المدرسة والطبقة الدنيا، تبعا للأهداف نفسها، يجعل الفشل الدراسي يحصد ضحاياه ضمن أبنائها.¹

ويعني هذا أن السؤال الذي ركزت عليه سوسيولوجيا التربية، في سنوات الستين، هو سؤال اللامساواة المدرسية التي تعكس اللامساواة الطبقية والاجتماعية، وتعكس مدى اختلاف أبناء الطبقات العمالية عن أبناء الطبقات المحظوظة، واختلاف المستوى التعليمي الطويل الذي يرتاده أبناء الطبقات المحظوظة، والتعليم القصير الذي يكون من حظ أبناء الطبقات الدنيا، ولاسيما أبناء الطبقات العمالية وأبناء المهاجرين على حد سواء. لذا، يغلب النقد الماركسي الجديد على هذه السوسيولوجيا الستينية. والدليل على ذلك الثورة العارمة التي اشتعل أوارها في سنة 1968م؛ بسبب المدرسة الرأسمالية التي كانت - فعلا- مدرسة طبقية بامتياز. ومن ثم، فقد كان الحل يتمثل في ديمقراطية التعليم، وتحقيق المساواة الاجتماعية الشاملة، والحد من الفوارق الطبقية والاجتماعية، ومنع ممارسة العنف الرمزي ضد المتعلمين، وخلق مدرسة موحدة تحقق النجاح لجميع المتعلمين بدون تمييز أو انتقاء أو اصطفاة.

وعليه، يمكن اعتبار دراسات بورديو نقدا للدراسات الكلاسيكية حول سوسيولوجيا التربية، إذ اعتمدت على المقاربة الماركسية الجديدة في دراسة المدرسة الفرنسية بصفة خاصة، والمدرسة الرأسمالية بصفة عامة، على أساس أن المدرسة فضاء للتنافس والهيمنة والصراع الطبقي والمجتمعي.

ولم تقتصر نظرية إعادة الإنتاج عند بيير بورديو على ماهو تربوي فقط، بل اهتم كذلك بدراسة إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية في المجتمع القبائلي التقليدي بالجزائر، في كتابه القيم (الهيمنة الذكورية/La Domination masculine)².

المطلب الثاني: العنف الرمزي:

من المعلوم أن العنف نوعان :عنف فيزيائي يكون بإلحاق الضرر بالآخرين جسديا وماديا وعضويا، و عنف رمزي مهذب يكون بواسطة اللغة، والهيمنة، والإيديولوجيات السائدة، والأفكار المتداولة . ويكون أيضا عن طريق السب، والقذف، والشتم، والدين، والإعلام، والعنف الذهني . لذا، يعرفه بيير بورديو بقوله : "العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة. أي: عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات."³

وعليه، يرتبط العنف الرمزي بالسلطة والهيمنة والحقل المجتمعي. بمعنى أن الدولة تمارس، عبر مجموعة من المؤسسات الرسمية والشرعية (الإعلام، والدين، والتربية، والفن، والصحافة...)، عنفا رمزيا ضد الأفراد والجماعات. ويعني هذا أن المجتمع الحاكم والمسيطر يمارس عنفا رمزيا (violence symbolique) ضد الأفراد. وهذا العنف أكثر خطورة من العنف المادي الجسدي. وفي هذا، يقول بيير بورديو: "يمكن أن يحقق العنف الرمزي نتائج أحسن قياسا إلى ما يحققه العنف السياسي والبوليسي...، إن أحد أكبر مظاهر النقص في الماركسية هو أنها لم تفرد مكانا لمثل هذه الأشكال اللطيفة من العنف التي هي فاعلة ومؤثرة حتى في المجال الاقتصادي... والعنف الرمزي هو ذلك الشكل من العنف الذي يمارس على

¹ - Pierre Bourdieu, **La Domination masculine**, Paris, Le Seuil, 1998, coll. Liber, 134 p.

² -Pierre Bourdieu, **La domination masculine**, p:88.

³ -Pierre Bourdieu et Loïc Wacquant, **Réponses : pour une anthropologie réflexive**, Paris, Seuil, 1992,pp:141-143.

فاعل اجتماعي ما بموافقته وتواطئه. ولهذه المسألة نتائج كبيرة على النقاش الفكري الدائر حول ما إذا كانت السلطة تنبثق من تحت، وحول ما إذا كان الشخص الخاضع للسيطرة يرغب في هذه الوضعية المفروضة عليه. وبصيغة أخرى، فإن الفاعلين الاجتماعيين يعرفون الإكراهات المسلطة عليهم، وهم- حتى في الحالات التي يكونون فيها خاضعين لحتميات- يساهمون في إنتاج المفعول الذي يمارس عليهم نوعا من التحديد والإكراه. ولعل مفعول الهيمنة إنما ينبثق من هذه التفاعلات والتوازنات بين المحددات الحتمية وكيفيات إدراكها.

هناك قدر من الإنكار في التعرف على العنف الذي يمارس على المرء مع عدم الاعتراف به كعنف... فانطلاقا من كوننا نولد في عالم اجتماعي، فإننا نتقبل عددا من البديهيّات والمسلّمات التي تفرض نفسها علينا بتلقائية وسهولة، ولا تكاد تتطلب تلقينا. ولذلك، فإن تحليل كيفيات تقبلنا التلقائي للآراء والمعتقدات المتداولة في عالمنا الاجتماعي، هو الأساس الحقيقي لنظرية واقعية حول السيطرة وحول السياسة. وذلك بسبب التوافق المباشر بين البنيات الموضوعية والبنيات الذهنية. إن من بين كل أشكال الإقناع الصامت والسري هي تلك التي تتم بكل بساطة بفعل النظام العادي للأشياء¹ ويلاحظ أن العنف الرمزي أكثر خطورة من باقي أنواع العنف المادي والسلطوي؛ لأنه عنف عاد وبسيط ولا شعوري، ولا يعترف به - مجتمعيًا- على أنه عنف، بل تعود عليه الناس، وقبلوا به ماداموا خاضعين لمجموعة من الحتميات والجبريات المجتمعية التي تتحكم فيهم، ويعملون على تكريسها في واقع حياتهم. ومن ثم، لا نرى لدى الناس أي رفض أو مقاومة لهذا العنف المعنوي والرمزي، بل يعتبرونه فعلا عاديا، على الرغم من خطورته وآثاره الخطيرة نفسيا ومجتمعيًا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا. وأكثر من هذا لم يشر كارل ماركس إلى هذا النوع من العنف، بل اكتفى بالعنف الطبقي، على الرغم من وجود هذا العنف على الصعيد الاقتصادي.

أضف إلى ذلك، فقد ركز بيير بورديو على التلفزيون باعتباره أداة إعلامية خطيرة تمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم لهم ما تشهيه السلطة المهيمنة التي تستغل وسائل الإعلام لتحقيق مصالحها وأهدافها وأرباحها. ومن ثم، يتلاعب التلفزيون بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدولة المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة. وهذا يهدد - فعلا- الثقافة والفرن والديمقراطية الحقيقية². وينطبق هذا الحكم نفسه على الصحافة التي صارت من الوسائل الخطيرة التي تشارك الفئات الحاكمة في ممارسة العنف الرمزي ضد الآخرين.

وفي الأخير، ينتج العنف الرمزي عن اختلاف أنماط الرأسمال لدى الفاعلين الاجتماعيين باختلاف مواقعهم الاجتماعية، ووجود طبقات اجتماعية مهيمنة ومسيطر عليها، واختلاف مصالح الأفراد والجماعات من حقل إلى آخر، ووجود تفاوت اجتماعي وطبقي بين الجماعات.

المطلب الثالث: مفهوم التميز:

ألف بيير بورديو سنة ١٩٧٩ كتابا تحت عنوان (التميز: النقد الاجتماعي للحكم/ *La Distinction. Critique sociale du jugement*)، حيث يقدم منظورا سوسيولوجيا للأذواق وأساليب الحياة. ويعد هذا الكتاب من أفضل عشرة كتب علم الاجتماع في القرن العشرين، حسب تصنيف الجمعية العالمية للسوسيولوجيا. ويركز الكتاب على الأفراد الاجتماعيين الذين يتصارعون ضمن حقول وفضاءات مجتمعية مختلفة، حول مواقع السيطرة والحظوة والتميز الاجتماعي والطبقي،

¹ -Pierre Bourdieu, *Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme*, Paris, Liber, coll. « Raisons d'agir », 1996, 95 p

² - Pierre Bourdieu, *La Distinction. Critique sociale du jugement*, Les Éditions de Minuit, 1979, 670 p.

من خلال ما يملكونه من رأسمال اقتصادي وثقافي . إذ تبدأ الاختلافات من شكلها الضعيف نحو الاختلافات الجذرية، فالاختلافات الطبقيّة. ومن ثم، يعبر الكتاب عن الصراع بين الأفراد داخل بنية المجتمع من أجل الاختلاف والتميز. ويعني هذا لكي يكون الإنسان معروفاً في حقل مجتمعي ما، فلا بد أن يتميز عن الآخرين إما بالاختلاف عنهم، وإما بالانزياح عنهم ثقافياً واقتصادياً ولغوياً ورمزياً واجتماعياً . بمعنى أن هناك ثنائية التوافق والتميز . ومن ثم، فالاهتمام بالموضة، بشكل هستيري، دليل على الرغبة في التميز ثقافياً واجتماعياً ورمزياً، ودليل على فريدة الأسلوب الشخصي^١.

وقد أثبت بورديو أن أنماط الحياة وأساليبها تختلف حسب مواقع الناس الاجتماعية. أي: إن أذواق الناس تعكس طبيعة وضعيتهم المجتمعية. ومن ثم، فالهابيتوس وسيط بين تلك الممارسات والمواقع المجتمعية.

وللتمثيل، فقد درس بورديو طبيعة التغذية والملابس عند العمال والأغنياء . فالعمال يهتمون بكل ما هو ضروري وأساسي في حياتهم؛ بسبب حاجتهم إلى الرأسمال الاقتصادي . وبالتالي، فملابسهم عمالية خشنة، وتغذيتهم ذات طابع مضموني، تتسم بالكم من جهة وتكون دسمة من جهة أخرى. كما أن ذوقهم الفني والجمالي لا يخرج عن الطابع الواقعي الملتمزم في حين، يركز الأغنياء على الشكل، ويتأنقون في ملابسهم وتغذيتهم، بالتركيز الواعي على النوع الكيفي، ولا يهتمهم الكم في ذلك. ويهتمون كذلك - فنياً وجمالياً- بما هو تجريدي وسيميائي وتخيلي.

ويعني هذا أن الأذواق وأساليب الحياة تختلف من طبقة اجتماعية إلى أخرى، حسب طبيعة الرأسمال الموروث، و حسب الحقل الذي تنتمي إليه كل فئة اجتماعية.

المطلب الرابع: مفهوم الهابيتوس:

يتخذ مصطلح الهابيتوس أو الأبييتوس (*habitus*) دلالات فلسفية وسوسيولوجية مختلفة . ويعني طريقة في الوجود، أو المظهر العام، أو الزّي، أو حالة ذهنية أو عقلية . ويعني هذا أن الهابيتوس ثقافة، وحضارة، ونمط من أنماط الوجود والعيش والحضور في العالم.

وقد استعمل مصطلح الهابيتوس أو الأبييتوس (*Habitus*) قديماً عند الفلاسفة اليونانيين بمفهوم (*hexis*) ، وخاصة عند أفلاطون وسقراط، وأرسطو؛ ومن بعدهم هيغل، وهوسرل، وماكس فيبر، وإميل دوركايم ... بيد أن مصطلح (*hexis*) قد استبدل، إبان العصور الوسطى، بمصطلح الهابيتوس (*habitus*) للدلالة على الحالة أو الوضعية أو طريقة العيش.

هذا، وقد أخذ بيير بورديو مصطلح الهابيتوس من المفكر السكولائي طوماس أكين (*Thomas d'Aquin*) الذي استعمل مصطلح هابيتوس لترجمة المفهوم الأرسطي (الهيكسيس)، وقد استلهمه أيضاً من إرفين بانوفسكي (*Erwin Panofsky*) الذي تحدث عن جماليات الاتجاه المدرسي في العصور الوسطى . ومن ثم، فالهابيتوس هو التطبيع الاجتماعي في مجتمع تقليدي، أو هو بمثابة نظام من الإيتوس القيم المتعالي، يستطيع الفرد عبره أن يتحرك في العالم المجتمعي، بغية فهمه بطريقته الخاصة، أو بطريقة مشتركة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى التي يعيش معها.

^١ - جون سكوت: "علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية"، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١٣م، ص: ٤٢.

وقد ركز بورديو على بنية الهابيتوس الداخلية ، ومكوناته، ووظيفته . فمن حيث البنية، يتكون الهابيتوس من مجموعة من الميول، والتصورات، والمعتقدات، والإدراكات، ورؤى العالم، ومبادئ التصنيف . ومن ثم، يساعد الهابيتوس الذي يكتسبه الفرد في الأسرة والمدرسة على تمثيل المجتمع واستيعابه بشكل جيد.

هذا، وتقوم التجمعات الأولية (الطفولة والمراهقة)، والتجمعات الثانوية (سن الرشد، بدورهام في بناء الهابيتوس . ويستطيع الأفراد عبر هذا الرأس مال الاجتماعي المحصل عليه، بفعل التنشئة الاجتماعية، أن يخلقوا هابيتوس الطبقة (*un habitus de classe*)؛ بسبب تشاركتهم في مجموعة من الأفعال والتصرفات والسلوكيات المشتركة . وبذلك، يكون الهابيتوس هو مصدر أفعال الأفراد المجتمعيين، وهو الذي يتحكم في توجهاتهم القيمية والأخلاقية والمعارية . أي: إنه بمثابة الأنا الأعلى السيكولوجي لتجارهم الحاضرة في العالم . ومن هنا، فالهابيتوس هو بمثابة قالب معياري وأخلاقي للشخصية الفردية، بل هو بمثابة ضرورة أو حتمية تتحكم في أفعال الإنسان، فيما يخص هويته، وثقافته، وتربيته، وعمله، وتغذيته، واستهلاكه...

ويبدو أن مصطلح الهابيتوس مصطلح غامض ومعقد، إذ يقصد به بيبورديو "بعض الخصال المترسخة في داخل عقول البشر وأجسادهم"^١ . ومن هنا، فالهابيتوس بمثابة مجموعة من الاستعدادات أو الملكات الدائمة التي يكون الفرد قد اكتسبها أو تطبع عليها عبر التنشئة الاجتماعية . وبالتالي، فالاستعدادات هي مجموعة من الميول والاتجاهات والمواقف المتعلقة بالتفكير والإدراك والإحساس، فيستبطنها الأفراد حسب ظروفهم الموضوعية لوجودهم، وتوظف هذه الاستعدادات بطريقة لاشعورية . وتتمثل هذه الاستعدادات المستضمة في القيم والتصرفات والسلوكيات والمكتسبات المعرفية والذهنية. ويعني هذا أن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من البنى المعرفية والإدراكية المستدمجة، ويتم إنتاجها في بيئة اجتماعية محددة. ويعاد إنتاج هذه البيئة من خلال قدرة الهابيتوس على التوليد.

وعليه، لا يقتصر الهابيتوس على توجهات الأفراد وتصوراتهم وملكاتهم الشخصية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الاستعدادات الجمعية، مثل: أنماط التفكير والإدراك والتقدير والممارسة . ومن ثم، يؤثر الهابيتوس في الأفعال اليومية، كالتذوق، والملابس، والأثاث، والفن، وعادات الاستهلاك، وأوقات الفراغ... ومن هنا، فالهابيتوس نتاج ظروفه الموضوعية ذاتها^٢.

وعليه، فالهابيتوس بمثابة مجموعة متنوعة " من التوجهات المستمرة والمهارات وأشكال من المعرفة الفنية التي يلتقطها الناس ببساطة من معايشة أناس من ثقافات و ثقافات فرعية معينة. ويمكن أن تتراوح هذه من أشكال السلوك الجسدي، والحديث، والإيماءة، والملابس والأخلاق الاجتماعية، من خلال مجالات المهارات المحركة والعملية إلى أنواع معينة من المعرفة والذاكرة المتراكمة"^٣.

إذاً، يكتسب الفرد أو الفاعل الذاتي مجموعة من الموارد التي تجعله قادراً على إدماجها، حينما يتفاعل مع بنية المجتمع، بواسطة عملية الاستيعاب الخارجي . أي: إن ثمة تجانسا وتطابقا وتمائلا بين البنية الذاتية والبنية المجتمعية اللتين يتحكمان فيهما الهابيتوس . وفي هذا، يقول جون سكوت: " أكد بورديو التطابق والتجانس القريب بين التنظيم الاجتماعي

^١ - حسني إبراهيم عبد العظيم: " (الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيبورديو)، إضافات"، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد ١٥، صيف ٢٠١١.

^٢ - جون سكوت: "علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية"، ص: ٤٢.

^٣ - جون سكوت: نفسه، ص: ٤٢.

وديناميكيات العالم الخارجي والترتيبات المجسمة الداخلية للأفراد. ويرى أن هذا يأتي عن طريق ما يسميه بالاستيعاب الخارجي. ولقد أخذت أو استوعبت العوامل البشرية بالتدرج على مدار السنين أنواع الأمور التي تحتاج إلى معرفتها عن بيئتها الخارجية الاجتماعية والمادية حتى يمكنها المشاركة بنجاح في مجالات معينة من ممارساتها الاجتماعية. ترسخ هذه المعرفة الفنية حتى تصبح في معظمها طبيعة ثانية. إنها توفر مجموعة من الموارد الكامنة في الشكل الذي يسميه بورديو بالمخططات التوليدية التي يمكن الاعتماد عليها كلما اقتضت الظروف.¹

ومن هنا، ليس الهابيتوس مجرد تمثيل أو إدماج عاد وبسيط، ينبني على ممارسات تقليدية أساسها التكرار والتنميط والتطبيق الآلي، بل هو إدماج إبداعي يتجاوز المماثلة إلى الاستيعاب ومواجهة وضعيات جديدة. كما أن الهابيتوس هو بمثابة بنيات خاضعة لعامل التكيف والتأقلم مع العالم المجتمعي الموضوعي. وفي الوقت نفسه، هو بمثابة أفعال محركة لبنية المجتمع، أو بمثابة ممارسات جديدة تهدف إلى حل مشكلات الواقع الموضوعي، وتجاوز حتمياته الجبرية. أي: يتضمن الهابيتوس التطبع بالمجتمع من جهة، والتحكم فيه بالفعل الفردي الإبداعي من جهة أخرى.

ويعني هذا أن الفرد يستطيع أن يولد مجموعة من الخطط والإستراتيجيات، حينما يواجه وضعيات مجتمعية جديدة، مثل الذي يستعمل لغته الأم، فإنه يستطيع من خلال قواعد محددة أن يولد جملاً لامتناهية العدد. ويعني هذا أن الهابيتوس هو مولد إبداعي وتطبيقي. أي: إن الفرد يستعمل كل إستراتيجياته وموارده وخططه، حينما يجابه وضعيات مجتمعية جديدة، إما بطريقة واعية، وإما بطريقة غير واعية. ومن ثم، لا يقف مكتوف الأيدي، بل يجتهد ويتصرف وفق القواعد والمعايير التي استثمرها سابقاً، عن طريق التنشئة الاجتماعية المستمرة أو التي انتقلت إليه من الآخرين.

وإذا كان إميل دوركايم (E. Durkheim) يدرس الظواهر المجتمعية على أنها أشياء وموضوعات، من خلال التركيز على المجتمع، فإن ماكس فيبر يدرس الذوات الفاعلة التي تؤثر في المجتمع من خلال المعاني والمقاصد التي ترتبط بها أفعالهم السلوكية. ويعني هذا أن ثمة ثنائية الذاتية والموضوعية. بينما يفرض بيير بورديو هذه الثنائية، ويعتبرها حالة مصطنعة ومشوهة. لذا، يحاول الجمع بينهما بتوليد مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية، منها: مصطلح الهابيتوس. ويعني هذا المفهوم الدمج بين البنى المجتمعية الموضوعية والأدوار الفردية الذاتية التي تحمل معنى أو دلالة أو مقصدية ما. ومن ثم، فالهابيتوس هو مجموعة من الاستعدادات وصور السلوك التي يمثّلها الأفراد أثناء التفاعل مع المجتمع. ويعكس المفهوم مختلف الأوضاع التي يشغلها الناس في مجتمعهم.

ومن ثم، فالهابيتوس بمثابة وسيط بين البنية المجتمعية والممارسة الفردية. وأكثر من هذا، فالهابيتوس مجموعة من الاستعدادات الجسدية والذهنية الناتجة عن التنشئة الاجتماعية للفرد التي تجعل منه فاعلاً اجتماعياً داخل حقل أو مجال اجتماعي معين. بمعنى أن الهابيتوس يتجاوز التعارض الموجود بين الوعي واللاوعي، فيوحد بين الفعل المجتمعي والبنية المجتمعية، ويعبر عن انفتاح الذات على المجتمع الخارجي. وفي الوقت نفسه، يحيل على خضوع الذات للجبرية أو المؤثرات المجتمعية الخارجية.

فيما مضى، لم يكن الهابيتوس سوى تأقلم وتكيف عادي وبسيطين مع الأوضاع، بتوظيف المكتسبات السابقة بطريقة آلية، بل يمكن - اليوم- أن يتحقق الهابيتوس بطريقة إبداعية خلاقة، بإيجاد الحلول الناجعة لمختلف الوضعيات

¹ - Pierre Bourdieu: *Question de sociologie*, Minuit, 1984.

المعقدة والصعبة والمركبة. ويعني هذا أن الهابيتوس يسمح للفرد بتوليد مجموعة من الممارسات الجديدة التي تتلاءم مع العالم المجتمعي الذي يعيش فيه. ومن هنا، فالهابيتوس بمثابة محرك قوي ودينامي، يتخذ طابعا تطبيقيا.

أضف إلى ذلك، فالهابيتوس نتاج البنيات الجبرية والأفعال الحرة على حد سواء . ومن هنا، ليس الهابيتوس طبعا اجتماعيا عاديا، بل هو محرك لممارسات مجتمعية جديدة لامتناهية العدد. وتشكل هذه الأحكام نسقا أو نظاما. وبالتالي، فالهابيتوس مصدر وحدة الأفكار والأفعال لدى الفرد . ولا يقتصر الهابيتوس على ما هو فردي، بل يتعدى ذلك إلى الجماعات المجتمعية التي تعيش التطبعات نفسها . ويعني هذا وجود أنماط مختلفة من التفكير والإحساس والعمل ، ضمن طبقة اجتماعية واحدة ومتجانسة . ومن خصائص الهابيتوس أيضا ديمومة أحكامه، وقابلية نقلها من فرد إلى آخر، ومن جيل إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى.

وللتمثيل بحقل العمل، يرتبط هابيتوس العمال بالمفيد والضروري . ومن ثم، فلباسهم وظيفي، ويهتمون بالفن الملتزم الواقعي. ويكون أكلهم دسما ومشيعا . أي: لهم نمط حياة مشتركة تشكل ما يسمى بالهابيتوس العمالي. ويتميز هذا الهابيتوس عن باقي الهابيتوسات الأخرى مضمونا وشكلا . في حين، يقوم هابيتوس البورجوازي على التجريد، وحب الفن الجميل، والبحث عن الجديد من الموضة.

وتكتملة لما سبق، يعني الهابيتوس مبدأ الفعل لدى الأفراد داخل العالم المجتمعي، أو هو بمثابة الأنا الأعلى الذي يوجه سلوك الأفراد داخل المحيط المجتمعي بطريقة لاشعورية، أو هو نسق من الاستعدادات والملكات والقيم والأفكار والمواقف والاتجاهات التي تطبع عليها الفرد في المجتمع، بغية التمثيل بها أثناء مواجهة المواقف والوضعيات المختلفة وأكثر من هذا، فهو الذي يوجه سلوك الفرد أثناء مواجهة وضعية قديمة أو جديدة . لذا، يعتبر الهابيتوس منتج السوكيات والتصرفات والأفكار والعواطف والقيم التي يمتلكها الفرد أثناء التفاعل مع موقف مجتمعي معين . أي: هو بمثابة موجه لما هو فكري وذهني، وما هو وجداني وقيمي، وما هو فعلي وسلوكي . أما موقعه فهو الوسط بين العلاقات المجتمعية الموضوعية والسلوكيات الفردية، أو هو حلقة وصل بين بنية المجتمع والفعل الفردي، أو هو بمثابة استيطان للممارسات الفردية والشروط الموضوعية . وعلى العموم، يتكون الهابيتوس من شقوق ثنائية : فردي ومجتمعي، ذاتي وموضوعي، وفاعل ومنفعل.

ويرتبط الهابيتوس برأسمال معين، كالرأسمال المادي، أو الرأسمال الثقافي، أو الرأسمال الاجتماعي، أو الرأسمال الرمزي . وليس الصراع الطبقي هو الوحيد الذي يتحكم في الطبقات الاجتماعية، بل يكون العنف الرمزي أيضا عاملا من عوامل الصراع وأشكاله.

ومن ثم، فلكل طبقة اجتماعية هابيتوس خاص، ورأسمال معين، وحقل معين، مثل : طبقة العمال، وطبقة المثقفين، وطبقة الفقراء، وطبقة الأغنياء... ويعني هذا أن الهابيتوس يرتبط من جهة بالفعل وبنية المجتمع . ومن جهة أخرى، يقترن بالرأسمال والتميز الجنسي أو الثقافي أو الاقتصادي أو المجتمعي..

وفي الحقيقة، واعتمادا على الهابيتوس، يمكن تعيين مظاهر التميز الاجتماعي بلا حدود حتى في السلوك اليومي للفرد في : الشارع، والمؤسسة، والبيت ، والمشى، والجلوس، والنوم، والعمل، والقيم، والإتيكيت، والمسكن، ونمط العيش، والسفر، وقضاء أوقات الفراغ، والتسوق، والدراسة ، والهوايات... إلخ

المطلب الخامس: مفهوم الحقل:

يرى بيير بورديو أن العالم المجتمعي، في مجتمعاتنا المعاصرة، مقسم إلى مجموعة من الحقول (Champs). بمعنى أن تقسيم العمل في مجتمعنا أوجد مجموعة من الحقول والفضاءات المجتمعية الفرعية، مثل : الحقل الفني، والحقل السياسي، والحقل الاقتصادي، والحقل الثقافي، والحقل التربوي، والحقل الرياضي، والحقل الديني...

ويتميز كل حقل فضائي باستقلالية نسبية عن المجتمع ككل . وتتميز هذه الفضاءات بالتراتبية الطبقية والاجتماعية، وباشتداد الصراع الدينامي والتنافس الشديد بين الأفراد حول الامتيازات المادية والمعنوية، والصراع حول مواقع السلطة والهيمنة، حسب طبيعة الرأسمال الذي يملكه كل فرد داخل المجتمع . ويكون الصراع في كل حقل حول مصالح مشتركة أو مصالح خاصة بكل فرد على حدة . ويخضع الحقل لمجموعة من القواعد ، مثل : الصراع المحتدم بين الجيل القديم والجيل الجديد. ومن ثم، يخضع الحقل لمنطق التنافس والصراع والهيمنة والعيش المشترك.

المطلب السادس: مفهوم الرأسمال:

إذا كان كارل ماركس يرى أن أساس الصراع بين الطبقات الاجتماعية، ولاسيما بين البورجوازية والبروليتارية قوامه الرأسمال الاقتصادي، فيبيير بورديو، على غرار ماكس فيبر، يرى أن الصراع لايتخذ دائما طابعا اقتصاديا، فقد يكون صراعا ثقافيا . ومن ثم، فثمة رأسمالان مهمان في تحريك مجتمعاتنا ا معاصرة هما : الرأسمال الثقافي والرأسمال الاقتصادي.

وبناء على ما سبق، فقد حدد بيير بورديو أربعة أنماط مختلفة من الرأسمال الذي يملكه الفاعل المجتمعي، وهي:

① الرأسمال الاقتصادي: هو الذي يقيس موارد الفرد المادية والمالية، ويرصد ثرواته وممتلكاته، ويحدد دخله الش هري والسني.

② الرأسمال الثقافي: يقيس موارد الفرد الثقافية، مثل : الدبلومات والشهادات العلمية والمهنية، والمنتوج الثقافي من مقالات وكتب ودراسات وأعمال إبداعية وثقافية وفنية، وما يملكه من مهارات وكفاءات ومواهب وقدرات معرفية ومهنية وحرفية في مجال الثقافة.

③ الرأسمال الاجتماعي: يقيس ما يملكه الفرد من علاقات اجتماعية ومعارف وصدقات، تعود إلى ذكائه الاجتماعي الذي يستثمره لربط مجموعة من صلات الرحم والقرباة والصدقة والزمانة.

④ الرأسمال الرمزي: ويتضمن الرأسمال الاقتصادي، والرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي، ويهذ ه الأنماط يتميز الفرد مجتمعيا عن باقي الأفراد الآخرين.

وقد أضاف بيير بورديو رأسمالا آخر في كتابه (أسئلة السوسيولوجيا)، سماه بالرأسمال اللغوي : لأن هذ الرأسمال تستطيع جماعة ما أن تفرض نفسها وإنيتها ووجودها . وبالتالي، تستفيد من السلطة ومن امتيازات مادية ومالية وثقافية ورمزية. وأكثر من هذا، فمن يملك الرأسمال اللغوي الأجنبي في الدول العربية ، فإنه يستطيع أن يحظى بمكانة ثقافية واقتصادية كبرى في المجتمع . وفي هذا السياق، يقول بورديو: " يعني الرأسمال اللغوي التحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية ، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكل الأسعار تعمل لصالح صاحبه (أي الرأسمال) ، والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي . إن أي عملية تفاعل، وأي عملية تواصل لغوي، ولو بين شخصين أو بين صديقين أو بين طفل

وصديقته، واختصار، إن كل عمليات التواصل اللغوي هي أنواع من الأسواق الصغرى التي تبقى دوما تحت رحمة البنيات الإجمالية.^(١)

ويعني هذا أن الرسمال اللغوي خاضع بدوره لقيم الهيمنة والتنافس والصراع، وله علاقة جدلية بباقي الأنماط الأخرى من الرأسمال الرمزي.

بيد أن بورديو يغض الطرف عن رأسمال آخر أكثر أهمية، في مجتمعاتنا الإسلامية، من الأنماط الخمسة المذكورة وهو الرأسمال القيمي أو الديني، فهو الرأسمال المهم للإنسان، إذا تملكه الإنسان ربح الدنيا والآخرة. وبالتالي، فأحسن تجارة ينبغي أن يسعى إليها الفرد جاهدا هي التجارة مع الله في مجال العبادة والتدين والإحسان وفعل الخير. وعليه، يستطيع الفرد بهذه الموارد الرأسمالية المختلفة (الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والثقافية، واللغوية) أن يحقق أرباحا ومنافع مجتمعية، ولاسيما أن الرأسمالين : الاقتصادي والثقافي هما أكثر أهمية في مجتمعاتنا المعاصرة حسب بيير بورديو . وهما اللذان يشكلان بنية المجتمع، ويتحكمان في أفعال الأفراد، ويجعل كل حقل مجالي فضاء للتنافس والصراع والتطاحن الاجتماعي والطبقي.

خاتمة:

وخلاصة القول، يتبين لنا، مما سبق ذكره، بأن بيير بورديو من أهم السوسيولوجيين الملتزمين بالتصور الماركسي في نقد السياسة الرأسمالية . وقد انشغل بتقديم نظرية سوسيولوجية للمجتمع في ضوء المقاربة الصراعية . ومن جهة أخرى، أعطى أهمية كبرى لدراسة الطبقات المجتمعية، وتحليل التراتبية الطبقية والاجتماعية، واستجلاء دور الثقافة في هذا الصراع المجتمعي والطبقي، مع التركيز على المدرسة باعتبارها فضاء للتنافس والتطاحن والصراع واللامساواة الاجتماعية والطبقية.

ومن ثم، فقد اتخذ بيير بورديو السوسيولوجيا أداة لنقد العالم الليبرالي الجديد، وفضح مؤسساته الإيديولوجية القائمة على الهيمنة والسيطرة وإخضاع الآخرين، على أساس أن مؤسسات الدولة الشرعية، مثل : المدرسة، والإعلام، والصحافة، والدين، تمارس نوعا من العنف الرمزي تجاه الآخرين.

علاوة على ذلك، فقد تمثل بيير بورديو المنهجية البنوية التكوينية، من خلال الجمع بين الفعل وبنية المجتمع، وتجاوز مجموعة من الثنائيات التي أخضعت منهجيا للهابيتوس . ومن ثم، فقد وظف بيير بورديو مجموعة من المفاهيم والمصطلحات السوسيولوجية، مازالت في حاجة إلى سر، وتوضيح، وتنقيح، وتأويل، ولاسيما الهابيتوس، والحقل، والعنف الرمزي، والتميز، وغيرها من المفاهيم الإشكالية الأخرى.

قائمة المراجع :

١- بيير بورديو: "الرمز والسلطة"، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

(١) محمود عبدالعليم محمد سليمان : " الثورة المعلوماتية والتنشئة الاجتماعية - دراسة ميدانية على عينة من الأسر المستخدمة لشبكة الإنترنت بمدينة سوهاج"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٥م.

- ٢- جون سكوت: "علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية"، ترجمة محمد عثمان ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠١٣ م.
- ٣- خالد المير وآخرون: "أهمية سوسيولوجيا التربية" ، سلسلة التكوين التربوي، العدد ٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٥ م.
- ٤- حسني إبراهيم عبد العظيم: "(الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو) ، إضافات" ، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد ١٥ ، صيف ٢٠١١.
- 5-Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron : **Les héritiers : les étudiants et la culture**, Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents » (n° 18), 1964.
- 6-Pierre Bourdieu : **La Distinction. Critique sociale du jugement**, Les Éditions de Minuit, 1979.
- 7-Pierre Bourdieu: **Question de sociologie**, Minuit, 1984.
- 8-Pierre Bourdieu : **Choses dites**, Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Le sens commun », 1987.
- 9-Pierre Bourdieu et Loïc Wacquant : **Réponses : pour une anthropologie réflexive**, Paris, Seuil, 1992.
- 10-Pierre Bourdieu : **Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme**, Paris, Liber, coll. « Raisons d'agir », 1996.
- 11-Pierre Bourdieu : **La Domination masculine**, Paris, Le Seuil, 1998, coll. Liber.

القلق النفسي لدى مرضى الفشل الكلوي

" دراسة حالة مرضى الفشل الكلوي المترددين على مستشفى الجزيرة لجراحة وأمراض الكلى

- ولاية الجزيرة- السودان- في الفترة : فبراير- ديسمبر ٢٠١٣

د.إخلاص محمد عبد الرحمن/جامعة الجزيرة،السودان

ملخص :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى القلق النفسي لدى مرضى الفشل الكلوي المترددين على مستشفى الجزيرة لجراحة وأمراض الكلى في الفترة من فبراير- ديسمبر ٢٠١٣ م ، تكونت عينة الدراسة من مائة مريض، استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي، وتم تطبيق أدوات الدراسة التي اشتهت مليت علي استمارة البيانات الاولية التي تضمنت متغيرات الدراسة، إلى جانب مقياس تابلر للقلق المقنن على البيئة السودانية، تم بعدها تحليل البيانات بواسطة برنامج الحزمة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة في: وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للنوع (لصالح الاناث)، وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للعمر (للفئة العمرية من ٢٠-٢٩)، وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً لمستوى التعليم (لصالح: جامعي)، وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل ال كلوي تبعاً للحالة الزوجية (لصالح: غيرمتزوج)، هذا بالإضافة الى وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً لسكن (لصالح: الريف) وأخيرا وجود فروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً لعدد مرات الغسيل الاسبوعية (لصالح: ٣ مرات) وقد خلصت الدراسة الى جملة توصيات ومقترحات.

الكلمات المفتاحية: القلق النفسي، الفشل الكلوي.

مقدمة :

مع تطور الحياة وتقدم العصر صار الإنسان يعاني من المشاكل والأحداث الحياتية الضاغطة فأصبح التوتر النفسي والقلق وكثرة الانفعالات والشعور بالقلق سمة من سمات العصر مع الاخذ في الاعتبار بأن القلق ليس وليداً للعصر الحالي بل يمكن تتبع كثير من حالات القلق في الازمنة السابقة حيث المعاناة من المرض والجوع والحروب والكوارث .إلا أن الاهتمام به تزايد في الاونة الاخيرة، إذ تم تخصيص العديد من المراكز الملحقه بالجامعات ومراكز البحوث للتدريب واجراء الدراسات البحثية في المجتمعات المختلفة.

وقد أشارت العديد من الدراسات والبحوث أن للقلق الموضوعي (الذي يحدث في مواقف التوقع مثل القلق المتعلق بالنجاح في عمل جديد أو امتحان) وظائف حيوية هامة، فهو يساعد على تنشيط المراكز العصبية العليا فتزيد قوة التركيز والتمييز واتخاذ القرارات وحل المشكلات. أما القلق العصابي فهو حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي، ويأتي القلق الثانوي كعرض من اعرض الاضطرابات النفسية الأخرى . ويعتبر القلق أكثر فئات العصاب شيوعا

إذ يبلغ حوالي ٣٠-٤٠% من الإضطرابات العصبية. وأن نسبة الاصابة به من الاناث للذكور تعادل ١:٢ وأن سن الاضطراب عادة تكون في بداية سن الرشد.^١

تعريف القلق:

" القلق شعور عام غامض غير سار بالتوجس والخوف والتحفز والتوتر مصحوب عادة ببعض العلامات الجسمية خاصة زيادة نشاط الجهاز العصبي اللاإرادي يأتي في نوبات تتكرر في نفس الفرد مثل الشعور بالضيق في التنفس، أو سرعة نبضات القلب، أو الصداع، أو كثرة الحركة...الخ".^٢

أو أن القلق "شعور عام بالخشية، أو ان هناك مصيبة وشيكة الوقوع، أو تهديد غير معلوم المصدر مع شعور بالتوتر والشدة، كما يتضمن القلق استجابة مفرطة مبالغ فيها لمواقف لاتمثل خطراً حقيقياً، لكن الفرد الذي يعاني من القلق يستجيب لها غالباً كما لو كانت تمثل خطراً ملحاً ومواقف تصعب مواجهتها".^٣

المحكات التشخيصية لاضطراب القلق العام:

وفقاً للدليل الأمريكي التشخيصي والاحصائي الرابع لتصنيف الاضطرابات النفسية، يصنف للقلق كالتالي:

أ. قلق وانزعاج شديد (توقع إدراكي) يدور حول عدد من الاحداث أو النشاطات يستمر حدوثه اياماً عديدة لاتقل عن ستة أشهر.

ب. يجد الشخص صعوبة بالغة في السيطرة على انزعاجه ويقتره.

ج. يرتبط القلق والانعاج بثلاثة - على الأقل- من الأعراض الستة الآتية:

١/ ملل أو شعور بالضيق وقد يشعر الشخص كأنه على حافة الهاوية.

٢/ سهولة الشعور بالتعب والارهاق من أقل مجهود يبذله.

٣/ صعوبة التركيز وادراك العقل وكأنه قد اصبح خالي.

٤/ سرعة وسهولة الاستثارة.

٥/ الشعور بشد عضلي وتوتر.

٦/ المعاناة من صورة أو اكثر من اضطرابات النوم.^٤

د. أن يؤدي القلق وانشغال البال أو الأعراض الجسمية المصاحبة إلى معاناة إكلينكية ملحوظة.

هـ. ألا يكون الاضطراب نتيجة مباشرة لتعاطي دواء أو مادة مخدرة أو مرض جسسي مثل فرط نشاط الغدة الدرقية، ولا يقتصر ظهوره على فترات الاصابة بأضطراب وجداني أو ذهاني.^١

^١ حامد عبد السلام زهران، "الصحة النفسية"، القاهرة، ١٩٨٩.

^٢ أحمد عكاشة، "الطب النفسي المعاصر"، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.

^٣ أحمد محمد عبد الخالق، "الدراسة التطورية للقلق"، حوليات كلية الآداب، الكويت، ١٩٩٤.

^٤ محمد حسن غانم، "الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية"، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦.

الأعراض الاكلينيكية للقلق النفسي:

يمكن حصر الأعراض الاكلينيكية للقلق في التالي:

١/ القلق الحاد:

وتتلخص أعراضه في:

أ. حالة الخوف الحاد: يظهر التوتر الشديد والقلق الحاد مصحوب بكثرة الحركة وعدم القدرة على الاستقرار مع سرعة التنفس والكلام السريع غير المترابط .

ب. حالة الرعب الحادة: أهم ما يميز هذه الحالة هو عدم الحركة والسكون المستمر مع تقلص العضلات والارتجاف مع ظهور عرق بارد وغزير، لا يستطيع المريض إعطاء معلومات وافية عن حالته بل أحيى أنا لا يعرف المكان والزمان وكثيراً ما يتعرض هذا السكون الحركي إلى اندفاع مفاجئ يجرى أثناءه دون هدى^١.

ج. أعياء القلق الحاد: عندما يستمر القلق لمدة طويلة يصيب الفرد إجهاد جسيم ويصاب بأرق شديد لعدة أيام ويبدو الوجه جامداً دون عاطفة وشاحباً وغير منفعل مع التبلد الذهني والسير بطريقة أتوماتيكية بطيئة وأهم مميزات هذه الحالة هو الأرق الحاد الذي لا يستجيب أحياناً للعقاقير المنومة وعندما يسمر القلق الحاد ولمدة طويلة دون شفاء فهنا يتعرض المريض لما يسمى بالقلق المزمن.

٢/ القلق المزمن:

وهو مرحلة تالية من الإصابة تنتج من خلال استمرار القلق لمدة طويلة دون علاج، ومن أهم أعراضه وعلاماته مايلي:

أعراض جسمية:

وهي أكثر الأعراض شيوعاً إذ أن جميع أجهزة الجسم متصلة وتتغذى بالجهاز العصبي اللاإرادي والذي يحركه الهميبوثلاموس المتصل بمراكز الانفعال، حيث تتأثر جميع أجهزة الجسم الحشوية فيشكو المريض من الجهاز القلبي الدوري، الجهاز الهضمي، الجهاز التنفسي، الجهاز العضلي، الجهاز البولي التناسلي، جهاز الغدد الصماء، الجلد فتظهر الأعراض الجسمية المتمثلة في: برودة الأطراف تصبب العرق وارتعاش اليدين، ارتفاع ضغط الدم، اضطرابات المعدة، سرعة ضربات القلب، النشاط الحركي الزائد، الدوران والغثيان والقيء، اضطرابات في النوم، صداع، فقدان الشهية للطعام، نوبات الشعور بضيق الصدر، الأحلام المزعجة والكوابيس، اللازمات العصبية مثل مص الأصابع وقضم الأطراف وهز الرأس والكتف وبعض الاضطرابات الجسدية مثل القذف السريع عند الرجال وانقطاع الدورة الشهرية عند النساء.

أعراض نفسية:

وتتمثل في الخوف، التوتر، التهيج العصبي، ضعف القدرة على التركيز، فقدان الشهية للاكل، اضطرابات النوم، عدم الاستقرار والشعور بانعدام الأمل والراحة النفسية، الحساسية المفرطة وسرعة الاستثارة، الخوف الشديد "الفوبيا"

^١ محمد حسن غانم، "الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية"، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٦.

^٢ / كمال إبراهيم مرسى، "القلق وعلاقته بالشخصية في مرحلة المراهقة"، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٨٦.

ولكنه لا يعلم مصدره، الاكتئاب والضييق وتوهم المرض، عدم القدرة على تركيز الانتباه، الإحساس الدائم بتوقع الهزيمة والعجز، عدم الثقة والطمأنينة، الرغبة في الهروب من مواجهة المواقف، الهياج والشك والارتياب والتردد في اتخاذ القرار، التشاؤم والانشغال بأخطاء الماضي وبطبيعة الحال هذه الأعراض النفسية تؤدي إلى تدهور قدرة الفرد على الانجاز والعمل كما تؤثر في التوافق الاجتماعي والمهني.

فالعلاقة بين القلق والأمراض العضوية علاقة عكسية فمن الممكن أن يكون القلق سبباً في الأمراض العضوية، كما أنه يمكن أن يكون نتيجة عنها. ويعتبر مرض الفشل الكلوي هو أحد الأمراض المزمنة والتي قد يفقد فيها المريض عمله ويمتنع عن السفر وحرية الحركة لارتباطه بالعلاج وماكينات الغسيل . لذلك تظهر على المصاب إفرازات نفسية مثل القلق والاكتئاب والخوف و خلل المزاج.

تكوين الجهاز البولي:

يتكون الجهاز البولي من : الكليتان، الحالبان، المثانة البولية، الاحليل أو قناة مجرى البول . يتم نقل البول الى المثانة بواسطة الحالبين ومن ثم يطرح للخارج بواسطة الاحليل.

الكلى:

الكلى عبارة عن اعضاء صغيرة تشبه حبة الفاصوليا ولاتشكل اكثر من (٥٠%) من وزن الجسم ،تقعان تحت الحاجب الحاجز إلى جانبي العمود الفقري، وعادة ماتكون الكلية اليمنى أخفض بقليل من الكلية اليسرى لوجود الكبد في تلك المنطقة، تتاخم الكلية اليمنى الوريد الاجوف السفلي، بينما تتاخم اليسرى الأهر البطني . تحيط بالكلية ثلاث طبقات من الأغشية وهذه الاغشية من الداخل للخارج هي:المحفظة الكلوية، المحفظة الدهنية، اللقافة الكلوية^١.

وظائف الكلى:

تلعب دورا هاماً في الحفاظ على التوازن الطبيعي لجسم الانسان عبر تنقيته من المواد الضارة وطرحها للخارج، ومن أهم وظائف الكلى مايلي:

- * المساعدة في الحفاظ على الثبات الذاتي للبيئة الداخلية للجسم أي الاستتباب وذلك بالسيطرة على تركيب الدم ووضعه وإزالة العديد من المواد الضارة التي تدخل الجسم عن طريق الأكل والشرب والتنفس.
- * تخليص الجسم من الماء والأملاح الزائدة والمواد الضارة.
- * إعادة المواد التي يحتاجها الجسم والتي ترشح من الدم والجلوكوز والماء .
- * المساعدة في السيطرة على ضغط الدم بإفراز إنزيم (الرينين).
- * تنظيم التركيب الكيميائي لبلازما الدم بطرح الزائد من المواد بعد فصله من الدم.
- * الاشتراك في تنشيط فيتامين "د".

الفشل الكلوي:

هو حدوث قصور في عمل الكلية ووظائفها مما يؤدي الي اختلال عام في وظائف جسم الانسان، وينقسم إلى نوعين:

١/ الفشل الكلوي الحاد:

^١ عبد الله عبد الرحمن زايد، عبد الرحمن خوجلي، " علم وظائف الأعضاء العام"، دار جامعة عمر المختار، طرابلس، ١٩٩٥.

يتميز بتدهور حاد عادة في الوظيفة الكلوية، ويتطور خلال أيام أو أسابيع أحياناً، يلاحظ فيه نقص في كمية البول بشكل ملحوظ، يظهر هذا النوع بسرعة نتيجة أسباب عديدة قد لا تكون للكلى علاقة بها، ومن حسن الحظ انه يمكن في كثير من الأحيان الوقاية من هذه الأسباب أو علاجها.

الأعراض والعلامات:

يشعر المريض بالضعف العام وتقل قابليته للعمل تدريجياً ويفقد الشهية ويصاب بالغثيان وبالتقيؤ بين حين وآخر نتيجة لارتفاع نسبة المواد السامة ، وتتمثل أهم الأعراض في: قلة إفراز البول أو توقفه، والتسمم البولي.

٢/ الفشل الكلوي المزمن:

هو تدهور في الوظيفة الكلوية، إذ يتحطم في معظم الحالات هنا عدد كبير من النفرون ولا يكفي الباقي لقيام الكلية بعملها (النفرون عبارة عن وحدة إخراجية دقيقة، يوجد حوالي مليون نفرون في الكلية البشرية).

الأعراض والعلامات:

اعتلال الصحة، صعوبة التنفس، الغثيان، الصداع، ضعف عام ونقص في الطاقة الجسمية، فقر الدم، أو ارتفاع في ضغط الدم، اعتلال العظام، اعتلال الاعصاب الحسي، الاضطرابات القلبية الوعائية.

وقد انتشر مرض الفشل الكلوي في كل أنحاء العالم بشكل واسع حيث تتزايد أعداد المصابين بهذا المرض المزمن يوماً بعد يوم، وفي السودان ووفقاً لتقارير المركز القومي لجراحة وأمراض الكلى للعام ٢٠١١، أن هناك زيادة في عدد المرضى (٤٥٢١) مريض تبعها زيادة في عدد المراكز بلغ (٥٦) مركزاً (التقرير السنوي^٢).

وهي زيادة لا تتناسب مع التزايد المضطرد في عدد المرضى، إلى جانب فقر خدمات الرعاية الصحية الأولية، والارتفاع الباهظ في أسعار الأدوية والمعالجة، واقتصار خدمات العلاج المجاني على الحالات الطارئة فقط، إلى جانب أن مظلة التأمين الصحي لا تشمل الأفراد غير العاملين أو العاملين بمهن حرة، تؤثر كل تلك الظروف على التوازن النفسي والاجتماعي للمريض، إذ أن المصاب بهذا المرض قد يعاني من تدهور حالته الصحية والنفسية، مما ينعكس سلباً على أدائه الدراسي أو المهني، كما يؤدي إلى عزل المريض اجتماعياً محدودية حركته وارتباطه بمكينات الغسيل، كل هذه الأوضاع الضاغطة التي يعيشها المريض قد تفاقم من حدة القلق والتوتر لديهما الشيء الذي ينعكس سلباً على فاعلية الخطة العلاجية ونجاحها.

تأتي أهمية هذه الدراسة بما تلقيه من ضوء على موضوع القلق لدى شريحة المرضى المصابين بالفشل الكلوي، كما تعتبر ذات أهمية للأخصائيين النفسيين ولكل أعضاء الفريق الصحي من خلال معرفة الدور المطلوب تجاه هؤلاء المرضى والاهتمام بصحتهم النفسية والعوامل المؤثرة فيها عبر تفعيل برامج الارشاد والتوجيه النفسي

أهداف الدراسة :

١. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للنوع.

^١ حسان أحمد قميحة، "مبادئ الطب الباطني وممارسته"، دار الكتب العربية، المجلد الثاني، ١٩٩٦.

^٢ التقرير السنوي للمركز القومي لجراحة وأمراض الكلى، إدارة المعاومات والبحوث والتدريب، نوفمبر ٢٠١١ م.

٢. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للعمر.
٣. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للمستوى التعليمي.
٤. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للحالة الزوجية.
٥. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً للسكن.
٦. دراسة الفروق في مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعاً لعدد مرات الغسيل في الاسبوع.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية:

تحد هذه الدراسة بالحدود الجغرافية لولاية الجزيرة مدينة ودمدني محلية مدني الكبرى (السودان) كما تحد بالعينة المختارة من مرضى الفشل الكلوي بمستشفى الجزيرة لأمراض وجراحة الكلى - الحدود الزمانية:

الفترة الزمنية للدراسة من فبراير ٢٠١٣م، ديسمبر ٢٠١٣م.

منهج الدراسة:

هو المنهج الوصفي التحليل القائم على الدراسة الميدانية والذي يقوم بدراسة العلاقات الموجودة بين الظواهر المختلفة وهو من أكثر مناهج البحث استخداماً وانتشاراً.

مجتمع الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في مرضى الكلى المترددين على مستشفى الجزيرة لأمراض وجراحة الكلى بدمدني الذي يستقبل المرضى من كافة محليات الولاية .

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (١٠٠) من مرضى الفشل الكلوي المترددين على مستشفى الجزيرة لأمراض وجراحة الكلى تم اختيارهم عشوائياً في الفترة من فبراير ٢٠١٣م - ديسمبر ٢٠١٣م.

أدوات الدراسة:

أ. استمارة البيانات الأولية : وتشمل متغيرات الدراسة (العمر- النوع- المستوى التعليمي - الحالة الزوجية- مستوى الدخل الشهري- عدد مرات الغسيل).

ب. مقياس تايلور للقلق النفسي المعدل على البيئة السودانية:

اقتبس اختبار تايلور للقلق الظاهر كل من مصطفى فهمي ومحمد أحمد غالي وهو يقيس مستوى القلق الذي يعانيه الأفراد عن طريق ما يشعرون به من أعراض ظاهرة وصريحة وهو يصلح لجميع الأعمار والمستويات والاختبار مأخوذ ومترجم عن قياس القلق الصريح الذي قننته واستعملته (j.ATSylor) عام ١٩٥٩م وعرف وأشتهر باسمها وقد قام مصطفى فهمي ومحمد أحمد غالي بترجمة المقياس وإعداده بصورته المستخدمة في اللغة العربية كما قاما أيضاً بإجراء

الدراسة اللازمة عن الاختبار بحيث تأكد لهما ثباته وصدقه وقد قام بتعديل بنود المقياس وتعديله على البيئة السودانية الباحث (محمد أحمد خير السيد) في ١٩٩٨ م.

طريقة تصحيح الاختبار:

- * لا يحدث. تعطى صفر درجة.
- * يحدث غالباً. تعطى درجتان.
- * يحدث كثيراً. تعطى ثلاثة درجات.
- * يحدث كثيراً جداً. تعطى أربعة درجات.

مجموع درجات المقياس ١٤٠ درجة موزعة كالآتي:

- صفر - ٣٤ قلق عادي
- ٣٥ - ٧٠ قلق خفيف
- ٧١ - ١٠٤ متوسط
- ١٠٥ - ١٤٠ شديد

عرض النتائج:

جدول رقم (١): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً للنوع.

النوع	التكرار	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ذكر	٥٨	٢٥.٠٧	١٦.٨٣٨
أنثى	٤٢	٣٧.٨٨	١٨.١٨١
المجموع	١٠٠	٣٠.٤٥	١٨.٤٥٣

جدول رقم (٢): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً للعمر.

العمر	التكرار	الوسط الحسابي	الانحراف
٢٠ - ٢٩	٢٢	٤١.٢١	١٥.١٧٩
٣٠ - ٣٩	٢٣	٢١.٦٩	١٢.٣٢٢
٤٠ - ٤٩	١٩	٣٠.٤٢	١٩.٤٢٩

٢١.٧٦٤	٢٨.٥٧	٢١	٥٩-٥٠
١٩.٥٩٣	٢٣.٦٧	١٥	٦٠ فما فوق
١٨.٤٥٣	٣٠.٤٥	١٠٠	المجموع

جدول رقم (٣): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً للمستوى التعليمي.

المستوى التعليمي	التكرار	الوسط الحسابي	الانحراف
أمي	٨	٣٢.٢٥	١٩.١٣٧
أساس	١٦	٢٤.٤٠	١٨.١١٠
ثانوي	٤٦	٢٨.٣٢	١٦.٧٠٥
جامعي	٣٠	٣٦.٣٣	٢٠.٢٥١
المجموع	١٠٠	٣٠.٤٥	١٨.٤٥٣

جدول رقم (٤): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً للحالة الزوجية.

الحالة الاجتماعية	التكرار	الوسط الحسابي	الانحراف
غير متزوج	٣٨	٣٧.٨٤	١٨.٣٩٧
متزوج	٦٠	٢٨.٠٨	١٨.٥٨٤
مطلق	٢	٣٣.٠٠	٥.٦٥٧
المجموع	١٠٠	٣٠.٤٥	١٨.٤٥٣

جدول رقم (٥): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً للسكن.

السكن	التكرار	الوسط الحسابي	الانحرافات
قرية	٦٢	٣١.٨٣	١٩.٢١٠

مدينة	٣٨	٢٨.٣٩	١٧.٢٤٢
المجموع	١٠٠	٣٠.٥٨	١٨.٥٠٤

جدول رقم (٦): يوضح توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات القلق لأفراد العينة تبعاً لعدد مرات الغسيل في الأسبوع.

مرات الغسيل	التكرار	الوسط الحسابي	الانحرافات
٢	٨٨	٢٨.٩١	١٨.٠٧٧
٣	١٢	٤٤.٧٨	١٤.٧٩٧
المجموع	١٠٠	٣٠.٣٨	١٨.٣٢٥

مناقشة النتائج:

جاء في تعريف الصحة حسب منظمة الصحة العالمية " بأنها حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية والروحية للفرد ليست مجرد الخلو من الأمراض والاصابات " فالصحة كل لا يتجزأ، إذ تقود الاصابة بالأمراض المزمنة إلى اختلال الأمن النفسي والاجتماعي للمريض، وقد هدفت هذه الدراسة للتعرف على مستوى القلق النفسى بين مرضى الفشل الكلوي وفقا لمتغيرات (النوع، العمر، الحالة الزوجية، مستوى التعليم، السكن، وعدد مرات الغسيل الأسبوعية).

تشير النتائج في جدول رقم (١) إلى مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي، حيث أظهرت النتائج أن الوسط الحسابي لدرجات الإناث بلغ ٣٧.٨٨ بانحراف معياري ١٨.١٨١، مقابل متوسط درجات بلغ ٢٥.٠٧ وانحراف معياري ١٦.٨٣٨ للذكور.

يعتبر القلق النفسى أكثر أنواع العصاب شيوعاً إذ يمثل حوالي ٣٠-٤٠ من حالات العصاب، وهو أكثر انتشاراً بين الإناث عنه عند الذكور، إذ يعتبر وسيلة للهروب من الأوضاع المؤلمة أو المجهدة، إلا أن معدلات القلق تميل للانخفاض كلما انحسر الضغط الخارجى، وأتمكن الفرد من استخدام حيل الدفاع بنجاح للتخفيف من حدة القلق. ولعل وضع المرأة في الدول العربية عموماً وفي السودان على وجه الخصوص يمهّد لظهور الكثير من الضغوط النفسية والاجتماعية، وبالرغم من الإمكانيات العديدة التي تتمتع بها المرأة في العصر الحالى، إلا أنها مازالت مكبلّة بالعادات والتقاليد والاعراف التي قد تقف عائقاً أمام كثير من حقوقها مثل حقها في التعليم، العمل، مما يقود بدوره إلى فقر رصيدها من الخبرات الحياتية التي تتيح لها التعامل مع المواقف الحياتية الضاغطة، مثل الإصابة بالفشل الكلوي مثلاً، على عكس الرجل الذي بفضل خروجه الباكر للاحتكاك بالمجتمع الخارجى وخوضه للتجارب الحياتية واكتساب الخبرات والتعلم الاجتماعى يتكون لديه مخزون كافى من الخبرات الحياتية وينعكس ذلك ايجاباً في بناء الشخصية وتقوية الجوانب الانفعالية والوجدانية والمعرفية المختلفة فيتعلم في التعامل مع الصدمات والاحباطات متزوداً بمخزونه من الخبرات، التي تعوز المرأة كثيراً

لضيق دائرتها الاجتماعية واقتصرها على أفراد الأسرة والمقربين فقط . مما يجعلها أكثر قابلية لارتفاع معدلات القلق والتوترو الإصابة بالاضطرابات العصبية المختلفة.

يوضح جدول رقم (٢) أن أعلى متوسط لدرجات القلق كان بين الفئة العمرية ٢٠-٢٩ بمتوسط حسابي بلغ ٤١.٢١ وانحراف معياري ١٥.١٧٩، وتعزي الباحثة هذه النتيجة إلى أن مرض الفشل الكلوي مثله مثل كل الأمراض المزمنة يحمل للمريض في طياته كثير من القلق والالام والخوف والتوتر واليأس والكآبة ، فهو من الأمراض المهددة للحياة في كل المراحل العمرية، إلا أن هناك مراحل عمرية هامة في حياة الفرد لحسم الخيارات الحياتية واتخاذ القرارات المصيرية . وتمثل المرحلة العمرية من ٢٠-٢٩ الوقت الحاسم في التخطيط للمستقبل الدراسي والمهني للفرد، وتعتبر الإصابة بالفشل الكلوي في هذه المرحلة تهديدا لكل ماضل الفرد يخطط له أو يحلم به مما يفاقم من شدة القلق والتوتر في المرحلة العمرية مقارنة بالفئات الأخرى.

تشير النتائج في الجدول رقم (٣) إلى مستوى القلق لدى مرضى الفشل الكلوي تبعا لمستوى التعليم، إذ أشارت النتائج إلى أن أعلى وسط حسابي لدرجات القلق كان لفئة التعليم الجامعي بمتوسط درجات بلغ ٣٦.٣٣ وانحراف معياري ٢٠.٢٥١ على الرغم من أن ارتفاع مستوى التعليم يتيح للمريض الفرصة في أن يمتلك كل المعلومات والأساليب التي تساعد في التعامل الواعي مع الأعراض، إلا أن هذه المعارف والمعلومات قد تزيد من تفاقم القلق ، إذ أن المريض الأكثر وعيا صحيا يكون أكثر المأما بحقيقة أعراضه والمضاعفات المحتملة ونسب التعافي والشفاء المتوقعة، مما قد ينعكس سلباً على توافقه واتزانة النفسي . إلى جانب أن ارتفاع مستوى التعليم يعني ارتفاع مستوى الطموح والدافعية للإنجاز والتخطيط للرؤى المستقبلية، فتأتي الإصابة بالمرض والتي تؤدي لأن يعيد المريض النظر في كل ماخطط له وسعى لتحقيقه، الشيء الذي يقود بدوره لارتفاع معدلات القلق لدى افراد هذه الفئة مقارنة بالفئات الأخرى

الجدول رقم (٤) يوضح أن الوسط الحسابي لدرجات القلق بين مرضى الفشل الكلوي فئة (غير متزوج) بلغ ٣٧.٨٤ بانحراف معياري ١٨.٣٩٧، مقابل وسط حسابي بلغ ٢٨.٠٨ للمتزوجين. مما يشير إلى ارتفاع معدلات القلق لدى فئة (غير المتزوجين).

تلقى أعراض المرض المزمن بظلالها السالبة على جميع المرضى على اختلاف فئاتهم وعمارهم، فيظل المريض أسيراً لمكينات الغسيل مرتين أو ثلاثة مرات أسبوعياً ربما لمدى الحياة إذا لم يخضع لعملية زرع للكلى، مما يقود لاختلال كل برنامج الحياتي السابق، ويؤثر بدوره على توافقه الدراسي أو المهني والاجتماعي واتزانة النفسي. في ظل كل هذا وكما أشارت النتائج تلعب مؤسسة الزواج بما تمنحه للمريض من مودة ودعم نفسي ومشاركة وجدانية دوراً هاماً في مساعدة المريض على التكيف مع إصابته ومساعدته في توفيق أوضاعه مع المتغيرات الحياتية الجديدة، الشيء الذي لايتوفر لفئة غير المتزوجين بالرغم من الأواصر الاجتماعية المتينة داخل وخارج الأسرة الممتدة التي تميز المجتمع السوداني ، إلا أن ارتفاع مستوى القلق لدى هذه الفئة ربما يكون بسبب الخوف من الإقدام على تجربة الزواج أو الخوف من الرفض من قبل الطرف الآخر الذي قد يرفض الإقدام على الارتباط بالوئص مما يزيد من العبء والضغط النفسي عليه.

جدول رقم (٥) تشير النتائج فيه إلى أعلى وسط حسابي لدرجات القلق بين مرضى الفشل الكلوي تبعا لمكان السكن قد بلغ ٣١.٨٣ بانحراف معياري ١٩.٢١٠ لسكان الريف، مقابل وسط حسابي بلغ ٢٨.٣٩ وانحراف معياري ١٧.٢٤٢ لسكان المدينة.

تعزي الباحثة ارتفاع مستوى القلق بين المرضى من الريف إلى أن السكن في الريف يعني البعد الجغرافي عن مراكز غسيل الكلى الرئيسية مما يلقي على المريض أعباء إضافية، فالسكن في الريف يعني أن ينتقل المريض مرتين أو ثلاثة مرات أسبوعياً لمركز الغسيل بما يحمله هذا التنقل من أعباء مادية ومعنوية وجسمية للمريض، أو أن تنتقل كل أسرة المريض (كما يحدث في كثير من الحالات) إلى المدينة بالقرب من مركز الغسيل تجنباً لمشقة السفر والانتقال المتكرر للمريض الشيء الذي يحمل المريض مزيداً من الضغط والتوتر الناجم عن فقدانه لعمله أو دراسته أو لتفكير في مصادر جديدة للدراسة والدخل لأفراد أسرته إذا كان هورب الأسرة. أما المريض المقيم في المدينة تمنحه هذه الخاصية ميزة أن يحافظ على إيقاع حياته اليومي والتكيف مع وضعه الجديد بأقل الخسائر فقد يستطيع الحفاظ على عمله أو دراسته مع التزامه ببرنامج الغسيل الأسبوعي.

جدول رقم (٦) يوضح أن الوسط الحسابي لدرجات القلق بين مرضى الفشل الكلوي تبعاً لعدد مرات الغسيل في الأسبوع قد بلغ ٤٤.٧٨ بانحراف معياري ١٤.٧٩٧ لفئة (٣ مرات أسبوعياً) مقابل وسط حسابي بلغ ٢٨.٩١ وانحراف معياري ١٨.٠٧٧ لفئة (مرتين في الأسبوع).

وتعزي الباحثة هذه النتائج إلى أن الاعتماد على ماكينات الغسيل بشكل مستمر يترتب عليه كثير من الإنهاك الجسدي والأرق والآلام النفسية والجسدية المصاحبة لعملية الغسيل الكلوي، إلى جانب الألم النفسي الناتج من التغيرات الجسدية في شكل ومظهر المريض، تقييد حركة المريض وحرية السفر، الالتزام بنظام غذائي محدد، وتحديد كمية السوائل في اليوم. إلى جانب الضغط النفسي الناتج عن البحث عن متبرع. وتكرر المعاناة وتتجدد مع كل جلسة يقضي فيها المريض ساعات طوال من التوتر والترقب والإرهاق، وكل ما زاد معدل الجلسات أسبوعياً تفاقت معاناة المريض مما يقود إلى ارتفاع معدلات القلق والتوتر بين المرضى من فئة (٣ مرات) مقارنة بمن يخضعون مرات أقل للغسيل كما أشارت النتائج.

التوصيات:

- أهمية وجود كوادر نفسية مختصة بمراكز علاج مرضى الفشل الكلوي لتفعيل دور الإرشاد والتوجيه النفسي
- الاهتمام بالرعاية الصحية الأولية من أجل رفع الوعي الصحي المجتمعي.
- أهمية التنسيق بين وزارة الصحة ووزارة الشؤون الاجتماعية بشكل فعال يسمح بتحقيق الأمان الاقتصادي والاجتماعي لمرضى الفشل الكلوي.
- إنشاء وحدات متخصصة للعلاج النفسي لمعالجة الآثار النفسية والاجتماعية لمرضى الفشل الكلوي.
- تأهيل وتدريب الكوادر الطبية المختصة في مرض الفشل الكلوي حتى يتمكنوا من تقديم حزمة علاجية متكاملة
- التعاون بين العاملين في الحقل الطبي والباحثين، ومراكز القرار، للاستفادة من نتائج الدراسات التي تجرى في هذا المجال لوضع الخطط المستقبلية.

المقترحات:

١. إجراء دراسة بحثية عن الآثار النفسية الاجتماعية المصاحبة لمرضى الفشل الكلوي
٢. إجراء دراسة بحثية عن دور الأخصائي نفسه في مساعدة مرضى الفشل الكلوي.

٣. إجراء دراسة بحثية عن التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي لمرضى الفشل الكلوي.
٤. إجراء دراسة بحثية عن الضغوط النفسية لأطفال المصابين بالفشل الكلوي.

قائمة المراجع:

- ١ - حامد عبد السلام زهران، "الصحة النفسية"، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٢- أحمد عكاشة، "الطب النفسي المعاصر"، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٨.
- ٣- أحد محمد عبد الخالق، "الدراسة التطورية للقلق"، حوليات كلية الآداب، الكويت، ١٩٩٤.
- ٤- محمد حسن غانم، "الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية"، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٦.
- ٥- كمال إبراهيم مرسي، "القلق وعلاقته بالشخصية في مرحلة المراهقة"، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٨٦.
- ٦- عبد الله عبد الرحمن زايد، عبد الرحمن خوجلي، "علم وظائف الاعضاء العام"، دار جامعة عمر المختار، طرابلس، ١٩٩٥.
- ٧- حسان أحمد قميحة، "مبادئ الطب الباطني وممارسته"، دار الكتب العربية، المجلد الثاني، ١٩٩٦.
- ٨- "التقرير السنوي للمركز القومي لجراحة وأمراض الكلى"، إدارة المعاومات والبحوث والتدريب، نوفمبر ٢٠١١م.

الإسهام الأسري في تنمية عادة القراءة لدى الطفل

أ.د محمد عبد الهادي/جامعة الجزائر ٢ - أ. سميرة ونجن/جامعة بسكرة

ملخص:

كانت القراءة- وما تزال- أساس العلم والحضارة، فلا عجب أن كانت أول آية من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فالقراءة بوابه التعلّم في كلّ الميادين، وتعلّمها ليس لذاتها فحسب، ولكن لغيرها أيضًا من صنوف المعرفة وأطفالنا هم هبة الله وزينة الحياة الدنيا يولدون كصفحة بيضاء وعلى الآباء والمربين مسؤولية ملء هذه الصفحة بالقيم والأفكار والعلوم التي تؤهلهم ليكونوا شبابا ذوي إنتاجية فعّالة في المجتمع وسبباً من أسباب رُقّيته وتقدمه . وحب القراءة وتنمية حيا لديهم مطلباً تربويًا وثقافيًا نظرًا لما يتسم به عالم اليوم من انفجار معرفي سريع ومتغير، كما يمكن للقراءة أن تساعد الطفل في عملية النمو من جميع جوانبه وخاصة النمو الاجتماعي والعاطفي والإدراكي والجسمي .ومن خلال هذه الورقة سوف نحاول البحث عن الأساليب التربوية الحديثة خاصة الأسرية التي تنمي عادة القراءة لدى الطفل، أو بالأحرى كيف نجعل الطفل محبا للقراءة . من خلال تحديد دقيق لماهية القراءة بمفهومها العام ومراحلها التربوية أو فن القراءة، ومدى أهميتها للأطفال وأهمية اختيار الكتاب المناسب مع الوقت المناسب والمكان الفيزيقي المناسب أيضا . مع البحث في أساليب ترغيب القراءة للطفل. دون أن ننسى عوائق القراءة أو أسباب نفور الأطفال من القراءة.

مقدمة:

تحتل القراءة أهمية كبرى بالنسبة للإنسان، فهي أدواته في التعلم والثقافة، وتكوين شخصيته مستقبلا، فعن طريقها يغزو جميع ميادين المعرفة، فينمي فكره، ويثري خبراته، وهي من أهم المهارات المكتسبة التي تحقق النجاح والمتعة لأنها مفتاح أبواب العلوم والمعارف المختلفة. وعلى الرغم من التقدم العلمي الذي يتميز به العصر الحاضر، وشيوع وسائل الإعلام الحديثة المختلفة، مقروءة كانت أو مسموعة، أو مرئية فإن القراءة لازالت صاحبة الريادة على وجه العموم. خاصة للأطفال في مختلف المراحل التعليمية باعتبارها من أهم وسائل استثارة قدراتهم، وإكسابهم حصيلة لغوية من المفردات والتراكيب. في نفس الوقت نجد الطفل مثل النبتة الآخذة في النمو، لا ينبغي ان نتعامل معه كحاوية لا بد من ملئها ولكن يجب مراعاة المرحلة العمرية له، لأن لكل مرحلة سماتها في الإقبال على القراءة ففي البداية نجد الطفل شغوف لسماع القصص المصوّرة التي تروى له والتي تعكس سلسلة من الأحداث، بعد ذلك تنضج نظرتة للقراءة وتتطور مع تقدّمه في العمر، كما أن للكتاب وللمكتبة المنزلية دور أساسي في العملية التعليمية والزيادة في تحصيل الأبناء. "فمهما اختلفت وجهات النظر، بخصوص تعريف الكتاب فإنه يظل مصدرا مهما من مصادر المعلومات قديما وحديثا ومن أهم أدوات التعلم النظامي والذاتي، ويظل على رأس مصادر المعلومات المطبوعة التي تشمل أيضا الوسائل السمعية والبصرية"^(١)

(١) أعمال المؤتمر التاسع للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، "الإستراتيجية العربية الموحدة للمعلومات في عصر الأنترنت ودراسات أخرى"، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، تونس أكتوبر ١٩٩٩، ص ٤٠٢ .

والمطالعة غذاء للروح والأب الذكي هو الذي يعود أبناءه على المطالعة منذ الصغر حتى تصبح لديهم عادة لا يمكن الاستغناء عنها، من خلال شراء الكتب والقصص و لروايات والتي تكون في متناول قدراته الذهنية. فقد اثبت علميا أن المطالعة تنمي القدرات الفكرية للطفل وتزوده بالخيال العلمي، وتساعد على تحسين مستواه الدراسي، ولقد بين حكيم مصري قديما أهمية الكتاب ومهارة القراءة في تعاليمه الموجهة لابنه بقوله « ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر مما تحب أمك ، و ليت في استطاعتي أن أبرز لك ما في الكتب من روعة وجمال.»⁽¹⁾

أولا:مرحلة الطفولة و خصوصياتها:

1- تعريف الطفولة:

هي مرحلة محددة في الزمن من سن الثانية إلى سن الثانية عشر أو حتى الثالث عشر وتنقسم إلى الطفولة المبكرة من ثلاث إلى خمس سنوات والتي يمكن للطفل فيها أن يلتحق بدور الحضانة، وأخرى متمدرسة (الطفولة الثانية) وهي التي بلغت سن الدراسة القانونية والذي حدد بسبع سنوات، وإلى الطفولة المتأخرة وهي سن ما قبل المراهقة ويكون عموما من سن الحادية عشر إلى سن الثالثة عشر أحيانا أو أكثر. وتعتبر الطفولة:"الفترة التي يقضيها الإنسان في النمو والترقي حتى يبلغ مبلغ الراشدين ويعتمد على نفسه ف تدبير شؤونه وتأمين حاجاته الجسدية والنفسية، ويعتمد فيها الصغار على ذويهم في تأمين بقائهم وتغذيتهم وحماية هذا البقاء، فهي فترة قصور وضعف وتكوين وتكامل في آن واحد".²

٢- تعريف الأسرة:

هي الجماعة أو الوحدة الأولية والتي تكونت بموجب عقد شرعي وقانوني من رجل وامرأة، هذه العلاقة تتوج بأبناء وهي تقوم بعدة أدوار ووظائف:بيولوجية،تربوية،واقصادية. وقد اصطلح علماء الاجتماع على تسميتها بالأسرة الزوجية وهي أصغر وحدة قرابية في المجتمع تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين يسكنون معا في مسكن واحد وتقوم بين أفرادها التزامات متبادلة اقتصادية وقانونية، وهي ظاهرة إنسانية عالمية إذ ثبت وجودها في كل مراحل تطور البشرية. وتعتبر النمط المميز للأسرة في المجتمع المعاصر.⁽³⁾

٢- خصائص النمو لدى الأطفال من سن ٦ إلى ١٢ سنة:

يمر الإنسان في حياته بعدة مراحل، ويتحول من حال إلى حال، بحيث تتميز كل مرحلة بخصائص ومظاهر معينة، فمرحلة الطفولة ليست بالمرحلة العادية بل هي من أهم مراحل حياة الإنسان إن لم تكن أهمها ففيها تتشكل شخصية الفرد، وهي تحتل أهمية كبرى لعدة اعتبارات منها:

-طول مرحلة الطفولة عند الإنسان، وحاجة الطفل فيها إلى الرعاية حتى يصل إلى درجة الاعتماد على النفس، فهي أطول من نظيراتها عند جميع الكائنات الأخرى.

-قابلية الطفل في هذه المرحلة للتوجيه والتشكيل.

(1) محمد، السيد حلاوة: "تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١-٢٠٠٢، ص٦٩.

(2) فتيحة كركوش: "سيكولوجية طفل ما قبل المدرسة"، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨، ص ١٦.

(3) القصير، عبد القادر: "الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية(دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري)"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر

بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٥٣.

-كونها مرحلة إعداد للمستقبل، فهي حجر الزاوية لبناء الإنسان وضمان تقدمه، كما أن مستقبل المجتمع مرتبط بالعناية بأطفاله، فهم قاداته و ثروته المستقبلية.

- تزايد عدد الأطفال.

وعلى الرغم من أن نمو الإنسان وحدة مستمرة لا انفصال بين مراحلها ، فكل مرحلة تؤثر على المرحلة التالية وتتأثر بالمرحلة السابقة « فمراحل النمو تتداخل في بعضها البعض كما تتداخل فصول السنة في تدرج ، وانتقال الفرد من مرحلة إلى مرحلة يكون تدريجيًا وليس فجائيًا»⁽¹⁾. ويقصد بالنمو " : حركة دائمة وتغير متصل يسعى لغاية نهائية وهي الاكتمال"⁽²⁾. كما أن هناك من يعرف النمو بأنه: « كافة التغيرات المتتابعة المتداخلة المنظمة في النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والسلوكية التي تطرأ على الفرد بهدف اكتمال النضج وتحقيق أقصى درجات التوافق مع الذات والمجتمع»⁽³⁾. و يمر الطفل في نموه بعدة مراحل ، فكل مرحلة تتميز بتصرفات مختلفة، وأهم مرحلة هي مرحلة الطفولة الممتدة من ٦ إلى ١٢ سنة تسمى بمرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة والتي تقابل المرحلة الابتدائية في الدراسة.

ولكي تنمي القدرات الإبداعية لهذه الشريحة من الأطفال التي هي محور دراستنا وجب معرفة خصائص نمو هذا الطفل لذلك فقد أكد علماء النفس والتربية على أن: « دفع الطفل لعملية لم يستعد لها، أو لا تتناسب مع خصائصه وإمكاناته النفسية ككل (..) لا يمكن أن يؤدي إلى النتائج المرجوة منه، ذلك لأن النمو أو الارتقاء في وظيفة نفسية معينة كالقدرة على الإبداع مثلا ليست مجرد إضافة إلى كم الوظائف التي يمتلكها الطفل أو المهارات التي يتقنها بل هي ارتقاء كفي يؤثر ويتأثر بالبناء النفسي ككل جسميًا، ومعرفيًا، واجتماعيًا، ووجدانيًا»⁽⁴⁾. ولتمكين الآباء من فهم خصائص نمو أبنائهم نتناول خصائص النمو بالشكل التالي:

أ-خصائص النمو الجسمي والفيسيولوجي:

ويقصد بها التطورات التي تطرأ على الجسم من طول ووزن، وقدرات جسمية خاصة « وتختلف التغيرات التي تحدث في أجزاء الجسم أو أنسجته من حيث الحجم والسرعة والدرجة والوقت، وبالتالي تسبب فروقًا بين الأفراد في شكل وتناسب أجزاء الجسم خلال مراحل النمو المختلفة»⁽⁵⁾ وتعتبر مرحلة الطفولة المتأخرة هي مرحلة نمو جسي بطيء مقارنة بالمرحلة السابقة هذا ما يجعله في صحة جيدة بالتالي نجده كثير النشاط والحيوية ، حيث نجد الأطفال في هذه السن يلعبون لساعات طويلة دون أن يتعبوا، ويشير علماء النفس أن " نمو الجسم خلال مرحلة الطفولة المتأخرة يكون بطيئًا، حيث تكون الزيادة في الطول بمعدل ٣.٢ بوصات سنويًا، وكذلك يزداد الوزن ببطء ، وانتظام ، وخلال هذه المرحلة تتساقط الأسنان اللبنية وتظهر الأسنان الدائمة " ^(٦). ويصل حجم رأس الطفل إلى حجم رأس الإنسان الراشد ، وتظهر الأسنان الدائمة لدى الطفل بدلاً عن الأسنان اللبنية ، ويتردد النمو الفسيولوجي في استمرار وهذوء حيث يتزايد ضغط الدم ويتناقص معدل النبض ويزيد طول وسمك الألياف العصبية وعدد الوصلات بينها ، ويكون معدل فترة النوم للطفل في

(1) زهران حامد عبد السلام، "علم نفس النمو الطفولة والمراهقة"، ط ٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٨٣.

(2) محييم هشام محمد، "علم نفس النمو الطفولة والمراهقة"، اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ، ١٤٢١ هـ، ص ١٣.

(3) سامي محمد ملحم، "علم نفس النمو"، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٤، ص ٤٨.

(4) عفاف أحمد عويس، "سيكولوجية الابداع عند الأطفال"، دار الفكر، عمان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ١٤٢.

(5) حامد عبد العزيز الفقي، "دراسات في سيكولوجية النمو"، ط ٤، دار القلم، الصفاة، الكويت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٤٤.

(6) منصور محمد جميل عبد السلام، فاروق السيد، "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، ط ٤، مكتبة تامة، جدة، ١٤١٠ هـ، ص ٣٥٥.

هذه المرحلة على مدار العام حوالى (١١) ساعة يومياً ، وتكون لدى الطفل القدرة على تحمل مسؤوليات الصحة الشخصية. والعوامل التي تؤثر على النمو الجسدي للطفل في هذه المرحلة تتمثل في التغذية ، والنشاط ، والحركة، والراحة، والعادات الصحية مثل النوم والنظافة والوقاية من الأمراض.

ودور الأسرة يتمثل في:

- تعويد الطفل على العادات الصحية السليمة.
 - الاهتمام بسلامة القوام البدني للطفل.
 - الاهتمام بالغذاء الجيد للطفل والمحتوي على جميع العناصر الغذائية المتوازنة.
 - استكمال تطعيمات الطفل الطبية الأساسية والجرعات المنشطة من قبل مراكز الرعاية الصحية الأولية
 - الاهتمام بجوانب الوقاية من الحوادث المنزلية مثل الحرائق.
 - الاهتمام بعادات النوم السليمة من حيث اختيار الأوقات المناسبة للنوم.
- ب- خصائص النمو الحركي:

نجد الطفل في هذه المرحلة لا يحتاج إلى مساعدة من غيره في بعض الأمور مثل ارتداء الملابس وتناول الطعام، كذلك يتعلم بعض المهارات كالرسم والقراءة ومهارة اللعب . ويشاهد النشاط الزائد وتعلم المهارات الجسمية والحركية اللازمة للألعاب مثل: لعب الكرة، وألوان النشاط العادية كالجري، والتسلق، والرفس، ونط الحبل، والتوازن كما في ركوب الدراجة ذات العجلتين^(١). يظهر خلال هذه المرحلة نمو العضلات الكبيرة والصغيرة حيث "تمتاز هذه المرحلة بأنها مرحلة نشاط حركي عنيف وواضح ، ومرحلة مهارات حركية وتآزرية بين العضلات الدقيقة وأجهزة الحس، ويتمكن الطفل خلالها من القيام ببعض الأعمال التي تحتاج إلى مهارة يدوية"^(٢)

وتشكل المهارات الحركية دورًا بارزًا في نمو شخصية الطفل النفسية والاجتماعية، وتكوين مفاهيم إيجابية عن الذات، لذا وجب على الأولياء تشجيع أبنائهم على اللعب والحركة، وكذلك على بعض الأعمال المنزلية وخدمة نفسه بنفسه، مع ضرورة تفهم الوالدين أن الحركة الزائدة في هذه المرحلة هي من متطلبات نمو المرحلة، فهذا الأمر لا يجب أن يدعو إلى القلق. فزيادة الحركة هو دليل على الفطنة والذكاء، فقد أكد علماء النفس أن هناك ارتباط وثيق بين الحركة (نشاط الطفل) والعقل.

ت- خصائص النمو العقلي:

من مظاهر نمو هذه المرحلة هو النمو العقلي البارز، حيث تنمو مقدرة الطفل على تصنيف الأشياء، ونمو المفاهيم المجردة لديه. كذلك نمو إدراك العلاقات وتركيز الانتباه، حب الاطلاع والتخيل . ويتعلم الطفل في هذه المرحلة المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، وتنمو هذه المهارات، ويزداد استعداد الطفل لدراسة المناهج الأكثر تقدمًا. ويلاحظ هنا أهمية «التعليم بالنشاط والممارسة، كما أن التحصيل في هذه المرحلة يعتبر دليلاً مقبولاً للتنبؤ بالتحصيل في المستقبل، كما تنمو مفاهيم الطفل خلال هذه المرحلة، وتدرج من البسيط إلى المعقد، ومن الحسي إلى المجرد، وفي نهاية هذه المرحلة

(١) زهران حامد عبد السلام، مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٠٢.

يتعلم المعايير والقيم الخُلُقِيَّة، كما ينمو التفكير الناقد، ويستطيع التقييم وملاحظة الفروق الفردية»⁽¹⁾. وفي هذه السن يزداد الطفل فهما للأشخاص المحيطين به وكذلك للأشياء وهذا راجع لاحتكاكه بهم عن طريق انتسابه للمدرسة وكذلك من خلال اللعب مع الأصدقاء، دون أن ننسى المطالعة التي لها بالغ الأثر في هذه المرحلة وكذلك وسائل الإعلام مثل التلفزيون بالتالي يزداد لديه فهم الذات أكثر ويزداد كذلك لديه حب الاطلاع

ومن العوامل المؤثرة في النمو العقلي نجد «المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة بشكل واضح في النمو العقلي للطفل . وتؤكد الدراسات أن النمو العقلي يرتبط بالنمو الاجتماعي والانفعالي، والأطفال الذين يتميزون بالاعتمادية في سلوكياتهم يكون تقدمهم العقلي أقل من الأطفال الذين يتسمون بالاستقلالية في سلوكياتهم وهم في مثل سنهم»⁽²⁾ وأسلوب التربية الوالدية له تأثير على النمو العقلي للطفل سواء بالسلب أو بالإيجاب ، فالأسرة التي تشجع طفلها وتتيح له المثيرات العقلية تعمل على زيادة النمو العقلي لطفلها وبالتالي نمو الإبداع لديه، كما أن نقص التشجيع يؤدي إلى انخفاض النمو العقلي للطفل. وهنا يجب على الأولياء تشجيع الطفل على الاعتماد على نفسه عند القيام بأداء واجباته المدرسية ، وحثه على التفكير في حل ما يعترضه من صعوبات قبل طلب المساعدة من الكبار.

ث- خصائص النمو اللغوي:

تتمثل أهمية النمو اللغوي في علاقته الكبيرة بالنمو العقلي والاجتماعي والانفعالي فكلما تقدم الطفل في السن تقدم في تحصيله اللغوي وفي قدرته على التحكم في استخدام اللغة بطريقة سليمة، فاللغة هي وسيلة الاتصال والتخاطب مع الآخرين، والطفل يتعلم اللغة لكي يستطيع الاتصال بمن حوله و« باتساع الأفق الاجتماعي للطفل فإنه يكتشف أن الكلام وسيلة هامة للانتماء للجماعة ويمنحه هذا الاكتشاف دافعاً قوياً لأن يتعلم أن يتكلم بدرجة أفضل، كما يتعلم أيضاً أن الأشكال المشابهة من الاتصال مثل الصراخ والإشارات هي أنواع غير مقبولة اجتماعياً، مما يضيف حافزاً لتحسين كلامه»⁽³⁾. ومن العوامل التي تؤثر في النمو اللغوي نجد: «العمر الزمني، والجنس، والصحة العامة، والذكاء، والبيئة الاقتصادية والاجتماعية للطفل»⁽⁴⁾. فالأطفال الذين يعيشون في بيئات ذات مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية مرتفعة تكون فرص نموهم اللغوي أفضل من الأطفال الذين يعيشون في بيئات ذات مستويات ثقافية واجتماعية واقتصادية متدنية. ولكي يحدث النمو اللغوي بشكل جيد لابد من الوالدين أن يشجعا الطفل على التحدث والحوار وأن يتيحوا له الفرصة للتعبير، وأن يقدموا له نماذج تعينه على ذلك بشكل سليم. واجتناب مقارنة الطفل سلباً بإخوته على مسمع منه حتى لا تولد لديه الشعور بالنقص في أعين والديه وإخوته ويطور مشاعر الكراهية والعدوانية تجاههم . كذلك التعامل مع الأطفال بمرونة بعيداً عن اللجوء إلى استخدام العنف والشدة والتزمتم في المعاملة.

ج- خصائص النمو الانفعالي:

تبدأ المرحلة الابتدائية في سن السادسة بالنسبة للطفل وفي هذه المرحلة يجد الطفل صعوبة في الانفصال عن الجو الأسري خاصة الأم ، بالأخص إذا لم يذهب إلى الروضة من قبل، ويكون في هذه السن غير مستقر انفعالياً ويحتاج إلى التشجيع والحنان والمكافأة والصبر في معاملته. تتميز هذه المرحلة بـ: « اتساع دائرة اتصالات الطفل بالعالم الخارجي ، نتيجة

(1) نفس المرجع، ص ٢٦٩.

(2) سامي محمد ملحم، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(3) منهم محمد جميل منصور، فاروق سيد عبد السلام، "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، ط٣، قهامة، جدة، ١٩٨٣م، ص ٣٦٤.

(4) مصطفى فهمي، "سيكولوجية الطفولة والمراهقة"، مكتبة مصر، (د.ت)، ص ١٤٨.

التحاقه بالمدرسة، مما يؤدي إلى توزيع اهتماماته الانفعالية ، وعدم تركيزها في أمر واحد لذا تعتبر هذه المرحلة مرحلة الاستقرار الانفعالي (Emotional Stability) وتسمى مرحلة الطفولة الهادئة من الناحية الانفعالية^(١). وتتميز هذه المرحلة كذلك بالسلوك المتمرد للطفل حيث نجده يتميز بالغيرة وبالعصيان ليرى رد فعل الكبار كل هذا من أجل إبراز استقلاله الذاتي. ويرى الباحثون في مجال الطفولة أن هناك اختلافاً في الخصائص الانفعالية في الطفولة المتأخرة عنها في الطفولة المبكرة من ناحيتين:

- نوع المثبرات أو المنبهات التي تثير الانفعال، فهذه المثبرات تختلف من مرحلة إلى أخرى، حيث تظهر منبهات جديدة في مقابل اختفاء أخرى، ومن ذلك أن مخاوف الأطفال في المراحل السابقة تكون من الأصوات العالية، والظلام... وغيرها ، وتظهر مخاوف أخرى كالخوف من المعلمين أو المدرسة، أو اللصوص... وغيرها.

- أسلوب التعبير والاستجابة عن هذه الانفعالات، فالأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة يعبرون عن انفعالاتهم بشكل أكبر انضباطاً واتزاناً من مرحلة الطفولة المبكرة، وهذا الاختلاف ناتج عن اتساع خبرات الطفل وتعلمه أكثر من أن يكون ناتجاً عن زيادة النضج الفسيولوجي^(٢)

ح- خصائص النمو الاجتماعي: ومن أبرز مظاهر النمو الاجتماعي في هذه المرحلة:

- الميل إلى الاحتكاك بالكبار: للتعرف على قيمهم واتجاهاتهم واكتساب الخبرات منهم.

- اللعب: يميل الطفل في هذه المرحلة إلى اللعب الجماعي، ويزداد تأثير الجماعة على الطفل، فيمثل لآراء الجماعة ويتقبل قراراتها، وعن طريق اللعب يحاول الطفل تحقيق مكانته الاجتماعية بين رفاقه.

- الميل لجمع الأشياء: مثل الأصداف والصور والكتب والطوايع.

- الصداقة: بنمو الطفل تتعدد صداقاته فيصاقد عدداً من الأطفال بحيث يكون بينهم تقارب في العمر الزمني والنمو الجسدي وتشابه في الميول والقدرات.

- الزعامة: تبدأ سمات الزعامة في الظهور منذ سن السادسة، ومن مقومات الزعامة والقيادة ضخامة البنيان الجسدي، وصحة البدن، وزيادة النشاط والحيوية، والنضج الانفعالي، وارتفاع الذكاء عن أقرانه بقدر محدود^(٣).

- نمو المسؤولية الاجتماعية: يعتبر نمو المسؤولية الاجتماعية أساساً محدداً للسلوك المعبر عن الإيثار والكرم ومساعدة الآخرين عند الأطفال، وتؤكد البحوث العلمية ضرورة جعل الطفل يحيا خبرات يتعلم منها تحمل المسؤولية الاجتماعية وتعلم الإيثار وسلوك الكرم ومساعدة الآخرين وتعزيز هذا السلوك لديه حيث لا يكفي مجرد التوجيه والوعظ والإرشاد^(٤).

بل يجب على الوالدين تشجيع العناصر التالية:

- توفير وسائل اللعب البريء والترفيه المتيسر دون مبالغة للأطفال في المنزل .

- لعب الوالدين مع أطفالهم والتفاعل الاجتماعي المستمر معهم وأهمية القيام بالتنزهات الأسرية لهم .

(١) زهران حامد عبد السلام، مرجع سابق، ص ٢٧٥ .

(٢) صادق آمال، أبو حطب فؤاد، "نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين"، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٧١ .

(٣) خليل ميخائيل معوض، "سيكولوجية النمو" الطفولة والمراهقة"، ط٣، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٢٣٧-٢٤٠ .

(٤) زهران حامد عبد السلام، مرجع سابق، ص ٢٤٧ .

- تشجيع اللعب الذي ينظمه الأطفال أنفسهم ومشاركة الكبار فيه بأقل قدر ممكن من التدخل في تحديده وتنظيمه.
 - جعل الجو النفسي والاجتماعي للطفل في المنزل جواً صالحاً خالياً من التوترات والصراعات .
 - التأكيد على التفاعل الاجتماعي الفردي الذي يقوم به الطفل ذاته وكذلك على التفاعل الجماعي الذي يقوم به الطفل في تفاعله مع الجماعة.
 - إكساب الطفل المبادئ والقيم والعادات الاجتماعية المقبولة كاحترام الوالدين والمعلمين وتقدير الكبار، والعطف على الصغار، والرحمة بالضعفاء، وإفشاء السلام، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والتسامح والتواضع والإيثار، ورفض العادات الاجتماعية السيئة كالتنازب بالألقاب والتعصب القبلي والإقليمي.
- خ- خصائص النمو الديني:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»^(١). ويتضح هذا الجانب من خلال تعلم الجانب العقائدي في تعرفه على ربه ودينه ونبيه وممارسة العبادات بصورة مبسطة وتدرجية، عن طريق التلقين الذي يلعب دوراً في تكوين الأفكار والمعايير الدينية للطفل، لتأتي بعد ذلك مرحلة الممارسة والتطبيق. فنجد نمو الطفل الديني يتطور في «مرحلة الطفولة المتأخرة، فيناقش الطفل والديه وأساتذته في الأمور الدينية، وفي مرحلة الطفولة المتوسطة يكثُر الطفل من الأسئلة حول موضوعات الموت والبعث، والولادة، ويقتنع الطفل مما يقال له من إجابات، إلا أنه يبدأ في مناقشة هذه الموضوعات في طفولته المتأخرة»^(١).

ويلعب التلقين في هذه مرحلة الطفولة دوراً هاماً في تكوين أفكار دينية لدى الأطفال، كما يميز النمو الديني في هذه المرحلة النفعية بحيث يقوم الطفل بأداء الفروض الدينية رغبة منه في النجاح أو في الفوز بغرض أو هدية من الوالدين...، لذلك فإنه يقع على الوالدين واجب تعليم أبنائهم أصول الدين ومبادئه وتقديم نماذج السلوك القدوة لهم ومساعدتهم على تنمية الشعور الديني لديهم. كما نشير إلى أنه يجب على الآباء والمعلمين والمربين التعرف على هذه الخصائص ومحاولة التعامل مع الأطفال بناءً عليها، لأن طريقة التعامل مع الأطفال في هذه المرحلة تختلف عن طريقة التعامل مع الفئات الأخرى، وبالتالي فإن معرفة هذه الخصائص يساعد على تربية وتعليم أفضل مما لو كانت غير مأخوذة في الاعتبار.

ثانياً: فن القراءة:

مفهوم القراءة:

لغة: أجمع المعجميون العرب على أن تركيب "ق رأ" يعني في أصل الاشتقاق الجمع والإضمام والقراءة أحد المصادر الثلاثة لفعل "قرأ" الذي هو من بابي فتح ونصر جميعاً وهي: القراء، والقراءة، والقرآن، وسمي القرآن بذلك لأنه جمع القصص والنهي والوعيد والآيات والسور، بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالعفران والكفران، وقد ورد لفظ القراءة في النصوص القديمة بمعاني المعرفة والعلم والخير والهدى والإيمان، والقراءة في أصل سورة العلق وردت بمعنى سرد الوحي واستظهار ما نزل منه وحفظه.^(٢)

(١) خليل ميخائيل معوض، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٢) عبد الملك: نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، د-ب-٢٠٠٣.

اصطلاحاً: مفهوم القراءة بمعناه البسيط يتمثل في: القدرة على التعرف على الحروف والكلمات ، والنطق بها على الوجه الصحيح ،ولكن هذا المفهوم تطور فيما بعد - وإن كان لا يزال يمثل فقط الجانب الآلي من القراءة إلى العملية الفعلية المعقدة ، التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط ، ثم التحليل والمناقشة ^(١) والقراءة في رأي كثير من المفكرين ، " عملية عقلية ، تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وتتطلب الربط بين الخبرة الشخصية ومعاني هذه الرموز .

المعنى الإجرائي: القراءة مهارة من مهارات اللغة ، وهي أداة الدراسة والوسيلة الأساسية لها،وهي عملية توضيح للمعاني وعملية التفكير المرتبطة بالرموز المكتوبة ويفترض هذا المعنى ركنين أساسيين لعملية " القراءة هما: التعرف على الكلمات المكتوبة وفهم المادة المقروءة".

مفهوم المقروئية: Readability المقروئية هي درجة سهولة أو صعوبة قراءة نص ،وقد عرّفت بأنها " مجموعة العناصر التي ينبني عليها النص،والتي تؤثر على مجموعة قراء في فهمهم للنص المكتوب ،وقراءتهم له بسرعة مثلى ،وبدافع الاهتمام به" ^(٢)

فوائد القراءة: للقراءة فوائد يمكن إجمالها فيما يلي:

- تعتبر وسيلة من وسائل الاتصال بين الأفراد والشعوب ، فهي تصل الإنسان بغيره من الناس ممن تفصله عنهم المسافات المكانية والرمانية.
- أنها طريق الإنسان لمعرفة ما ينفعه وما يضره في هذه الحياة من العلوم.
- تنمي القدرة العقلية على التركيز والتخيل وتعطي القارئ القدرة على التحليل وإبداء .
- الارتقاء بمستوى التعبير عن الأفكار،فهي تثري حصيلة الإنسان اللغوية .
- إمضاء أوقات الفراغ بما هو نافع ومفيد ومغذ للعقل والخيال،فهي غذاء للروح وممتعة للعقل.
- تساهم في تكوين أحكام موضوعية صادرة عن فهم واقتناع. ^(٣)
- والقراءة عند الباحث هي الحصول على أفكار للعمل الخاص حيث يستطيع إبرازها وفهمها بعمق وربطها ببعضها بطريقة متناسقة. ^(٤)

أهمية القراءة:

- تعد القراءة من أهم المواد الدراسية لصلتها الوثيقة بالمواد الأخرى.
- أنها توجه البحث العلمي، وتربط الباحثين في شتى أنحاء العالم .

¹ خالد بن عبد العزيز النصار،الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة، دار العاصمة د.ت، ص ٣٠.

² حبيب الله،أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق ،دار عمان للطباعة والنشر،عمان الأردن، ١٩٩٧، ص ١٠

³ حسان عبابدة: " تشجيع عادة القراءة لدى الأطفال"، الطبعة الأولى،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان،الأردن، ٢٠٠٢ ، ص.١٥.

⁴ سلاطية بلقاسم، حسان الجيلاني: "أسس البحث العلمي" ، الكتاب الأول ،ديوان المطبوعات الجامعية ،قسنطينة، الجزائر،ص.٢٠.

- أنها وسيلة للتنمية أو للهدم، فهي تؤثر في اتجاهات الإنسان ومستواه الخلقي ومعتقداته وتصرفاته، على حسب ما يقرأ يكون التأثير، إن صالحًا أو طالحًا.
- أنها لا تعترف بالفواصل الزمنية، والفوارق الاجتماعية، والحدود الجغرافية، فالقارئ يستطيع أن يعيش كل العصور، وفي كل الممالك والأقطار.
- تتميز بسهولة المراجعة، وسلامة اللغة، وسهولة التثبيت في الذاكرة، وقد جاء في المثل الصيني أسمع فأنسى، أقرأ فأندكر^(١)

مصادر القراءة:

- ١-الكتب :ومنها الكتب المقررة في المدرسة أو الجامعة ، والمراجع التي يحتاجها الإنسان في موضوع تخصصه واهتمامه ، والكتب التي يختارها للقراءة الحرة ، وتتميز الكتب بشمولها للموضوع ، واستقصائها لجميع أجزائه وما حواه من آراء وملاحظات .
- ٢-الصحف والمجلات والدوريات :وهي مادة تتصل بحياة الفرد اليومية حيث تطلعه على أحوال المجتمع من حوله "وترضي حاجته إلى الإحساس بأنه مع الحياة وجزء من العالم. وتساعد الصحف والمجلات والدوريات على تكوين اتجاهات سياسية واجتماعية أو مذهبية معينة لدى القراء"^(٢)
- ٣-أقراص الحاسب المبرمجة :وهي مجموعة من الكتب منسوخة في قرص واحد ذي سعة كبيرة ، في الغالب يحوي المعاجم والموسوعات والكتب ذات الأجزاء اوهي تمتاز عن المصدرين السابقين بسهولة وسرعة وصول القارئ إلى مبتغاه؛ بفضل التقنية العالية المستخدمة.
- ٤-الإنترنت :يعتبر من أحدث مصادر القراءة . "ويختلف عن المصدرين الأوليين في كونه متجدد المعلومات باستمرار، وكذلك فهو متنوع الفنون، وهو مع ذلك لا يمكن التحكم به كمصدر على الإطلاق، فقد تختفي فيه معلومات وموضوعات، وقد تتبدل بسرعة، ما لم يلجأ القارئ إلى وسائل الحفظ المعمول بها في الحاسب الآلي،"^(٣)
- أنواع القراءة : هناك تقسيمات عدة للقراءة، تختلف فيما بينها من حيث الغرض والهدف، والأداء والطريقة. وقد قسمها "محمد أمين البنهاوي" في كتابه "عالم الكتب والقراءة والمكتبات" إلى :

- ١ - القراءة للترفيه :قراءة الاستمتاع يختارها القارئ بنفسه .
- ٢- القراءة للحصول على حقائق محددة : مثل البحث عن رقم هاتف في الدليل، أو عناوين أو أفراد أو مؤسسات.
- ٣ -القراءة للفهم :يجمع النوعين السابقين مثل كيفية إصلاح عطب في السيارة .
- ٤ - القراءة للنقد :وهي القراءة التي يعتمد القارئ من خلالها إلى نقد جملة من الأفكار التي طرحها الكاتب، ويتطلب هذا النوع من القراءة قدرا كبيرا من التفكير والتركيز والقدرة على تحليل وتقييم الأفكار وهي أعلى درجات القراءة وأكثرها تقدما .

¹ خالد بن عبد العزيز النصار، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨.

² نفس المرجع، ص ٤٤ .

³ نفس المرجع، ص ٤٥ .

وقسم "شعبان خليفة" في كتابه: "التربية المكتبية في المدرسة العربية" القراءة من حيث الهدف إلى :

١ - القراءة الوظيفية: مثل قراءة المحامين والأطباء وغيرهم من المهنيين بغرض الحصول على أحدث المعلومات في مجال عملهم لتطويره للأفضل.

٢ - القراءة التثقيفية: تهدف إلى متعة القراءة في حد ذاتها .

٣ - القراءة الترفيهية: تهدف إلى التسلية وشغل وقت الفراغ بطريقة مفيدة^(١).

وهناك من قسمها تبعاً لطبيعة الأداء وهي على نوعين :

١ - القراءة الصامتة: وهي القراءة التي تعتمد على توفير القدرة على السرعة والفهم وتلخيص المقروء، ويستعمل هذا النوع من القراءة حاسة البصر والعقل فقط، أي أنها قراءة بالعينين، ليس فيها صوت ولا همس، ولا تحريك للشفتين. وبالنسبة للأطفال أو التلاميذ فبعد أن يتقنوا الأصوات والكلمات، تبدأ أهمية القراءة الصامتة في الوضوح وهي تساعد القراءة الصامتة على التركيز والفهم في القراءة. كما أنها تأخذ وقتاً أقل من القراءة الجهرية.

٢ - القراءة الجهرية: هي القراءة التي يعتمد فيها القارئ على رفع صوته بالمقروء وهي عكس القراءة الصامتة، يوجد فيها صوت وهمس وتحريك للشفة واللسان، وأحياناً تكون بصوت عال مسموع^(٢) ومن مزايا هذا النوع من القراءة أنها تقوم على كشف عيوب النطق لمعالجتها. كما أنها تنمي مهارات النطق عند الطفل، وتبث الثقة في نفوسه وتعوده على التعبير عن آرائه وحاجاته وأفكاره بجرأة وشجاعة، وهي مهارة مطلوبة في التدريس والمحاماة، الإصلاح والوعظ. ومن أهداف القراءة الجهرية: تدريب التلميذ على حسن النطق وصحة الأداء، والتعود على السرعة المناسبة في القراءة.

أما القراءة من حيث الغرض فيمكن تقسيمها إلى:

١ - القراءة السريعة: وهي التي تأتي بعد القراءة الاستكشافية، حيث يحدد القارئ أي نوع من القراءة يستحقه الكتاب وفكرة القراءة السريعة تقوم على أن النظر يقفز من مساحة إلى أخرى، وتتميز بالتصفح العام للكتاب المقروء بغرض التعرف على الموضوعات التي ستقرأ أو المغزى العام. كما يسميها "باردان" بالقراءة العائمة، ويسميها "جورجي" اكتشاف المعنى العام، حيث تسمح بمنح نظرة عامة عن الوسائل، والتعود على مختلف خصوصياته والتنبؤ بنماذج الصعوبات التي تعترض الباحث^(٣). "والقارئ الذي يقرأ مادة سبق له الاطلاع عليها في كتب أخرى، يستطيع أن يقرأ تلك المادة بسرعة أعلى بكثير من قارئ لم يخبرها قبل ذلك، مما يعني أن استمرار القراءة في محور من محاور المعرفة، سيكون مساعداً أساسياً على قراءة أسرع وإنجاز أعظم"^(٤).

مما يتصل بسرعة القراءة مسألة القراءة الجهرية والصامتة .. لأن القارئ المبتدئ والطفل الصغير ينبغي أن يقرأ في البداية بصوت مرتفع، لأن ذلك مما يعين على تقسيم الكلام حسب معناه في أدائنا الصوتي، وفي هذا تعود على لمح المعنى بدقة وسرعة. فإذا ما حدث نوع من التعود على هذا النحو من القراءة بقدر كاف ينصح القارئ بالتعود على القراءة المهموسة، لأنها تتيح له سرعة أكبر، حيث أن عين القارئ قراءة جهرية تسبق صوته بما يتيح بين أربع كلمات وست كلمات

^١ محمد عوض العايدي: "إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية"، شمس المعارف مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٣، ١٠٢.

^٢ حسان عبادة، مرجع سابق، ص ١٧، ١٦.

^٣ - سلاطية بلقاسم حسان الجليلاني: "أسس البحث العلمي"، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١٩.

^٤ عبد الكريم بكار، "القراءة المثمرة - مفاهيم وآليات"، ط ٦، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ص ٤٣ - ٤٤.

والسرعة تقتضي توجيه الحواس كافة وحصرها لتصبح العلاقة ثنائية بين العين والمخ، أو بين البصر والعقل، وذلك لأن القراءة عمل عقليين يبدأ بالنظر"^(١)

٢- القراءة العادية: وفيها تقرأ الموضوعات التي حددت للقراءة، ويختار منها الاقتباسات التي تتصل بموضوعه. أو وهي القراءة بالسرعة المعتادة للباحث، بغرض فهم الآراء والأفكار التي حددها للقراءة في بعض المراجع، منها الفقرات والاقتباسات المطلوبة.

٣- القراءة العميقة: وهي القراءة المتأنية الواعية للأبحاث الممتازة المتصلة بموضوعه بعمق "حيث يركز فيها على كل لفظ أو عبارة ذات مغزى أو قيمة علمية، لتحديد كيفية التوصل إلى النتائج المطلوب تحقيقها، وهنا يتطلب الأمر وجود القلم والورق لتسجيل المعلومة فور العثور عليها"^(٢) وهي تستلزم الانتباه الكامل من القارئ، وكذلك ثقافته ومهاراته مجتمعة، وسوف يستخدم القارئ مهارات متعددة في أوقات مختلفة.

من الوظائف التربوية للأسرة-التربية العقلية:-

تتحمل الأسرة على عاتقها الدور الأهم في تعليم أبنائها وتثقيفهم ومتابعهم في أداء الواجبات المدرسية وفهم الدروس وكذلك الاستذكار. فالأسرة هي التي تحدد مدى تقدم أو تأخر أبنائها في المدرسة. بالتالي فهي تغذي فهم التربية العقلية التي هي عبارة عن «تربية عقل الطفل بتغذيته بالمعرفة وتدريبه تدريجياً منظماً على التفكير الصحيح، والاستدلال الصادق والنظر البعيد حتى يستطيع أن يحسن إدراك ما يحيط به من المؤثرات المختلفة، والظواهر المتعددة بقدر ما يناسب سن الطفل وقدرته العقلية واستعداده الفكري على أن يكون ذلك بطريقة تحبب الطفل فـيما يقدم له من معلومات ومعارف وبطريقة تحمله على التفكير فيها، وتشوقه إليها، وتثير انتباهه نحوها»^(٣)

كما تلعب الأسرة الدور الفعال من خلال تعليم الطفل اللغة «وقدرته على استخدامها ودلالاتها الثقافية والتعبيرات اللغوية المناسبة للمواقف الاجتماعية، فاستخدام اللغة والقدرة على النطق والتعبير وتوصيل الأفكار تبدأ من الأسرة من خلال ما توفره للطفل من فرص لاستخدامها والتواصل مع الآخرين في التعبير عن أفكاره وآرائه»^(٤)، ونجد العوامل الأسرية لترتيب الطفل في الأسرة وظروفه الاجتماعية المحيطة به من أهم المؤثرات على النمو اللغوي لدى الطفل فبنمو اللغة والشعور بالذات والشعور الاجتماعي تنشأ الشخصية الاجتماعية المميزة للفرد.

ثم يأتي بعدها جماعة الرفاق، فالمدرسة، ثم المسجد وأخيراً مجتمعه بصفة عامه بما فيها من وسائل اتصال وقنوات معرفة مسموعة ومقروءة ومرئية. حيث تبدأ اللغة في أبسط صورها في مراحل النمو الأولى للطفل، إذ يلتقط الطفل الحرف، ثم الكلمة، ثم الجملة.، وهو في هذا يمر بمحاولات كثيرة يخطئ ويصيب حتى يكتسب لغة مجتمعه. كل هذا يتم من خلال ما يقدمه الأولياء من قصص وحوادث لأطفالهم، بعد ذلك تزداد معارفه طبقاً للمستوى الثقافي الذي يعيش فيه ثم يبدأ قاموسه اللغوي في التوسع بتوسع دائرة احتكاكه وتفاعله في المجتمع.

وعندما يتعلم الطفل اللغة يصبح سريع التأثر والشعور بأنواع مختلفة من المؤثرات تتعدى مؤثرات البيئة المادية، فالطفل الذي ينحدر من أسرة تحتوي على مكتبة وذات مستوى ثقافي عالٍ يكون مردوده اللغوي والثقافي في أسلوبه

¹ نفس المرجع ص ٤٤.

² محمد عوض العائدي، مرجع سابق، ص ١٠٢.

⁽³⁾ محمد حامد الناصر، خولة عبد القادر درويش، "تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة"، ط٤، مكتبة السوادى، جدة، ٢٠٠١، ص ٣٠٩.

⁽⁴⁾ سميرة أحمد السيد، "الأسس الاجتماعية للتربية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٧٤.

التعليمي أفضل وأحسن من الطفل الذي يأتي إلى المدرسة من أسرة لا تتوفر على نفس الظروف .وهنا تعتبر القصة أهم غذاء عقلي للطفل لأنها تقدم نموذجا متكاملًا للحياة، لذلك وجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:⁽¹⁾

- سهولة الأسلوب وملاءمته لمستوى الأطفال من حيث الموضوع واللغة.

- أن يكون لها مغزى تهندي وخلق.

- أن تتصل بمناسبات عامة قومية أو وطنية، أو دينية « فالمكتبة تشكل محكا حقيقيا للطفل ،حيث تعد بداية تجربته مع عالم الكتب»⁽²⁾ ومن أهدافها نجد:

- «توفير المواد المكتبية (مكتب، ومجلات، ومواد سمعية بصرية) بما يتلاءم مع أعمار الأطفال خلال مراحل نموهم المختلفة»⁽³⁾

- توفير مواد ووسائل المطاعة و الترويج كالقصص والأفلام والمسرحيات وأفلام الرسوم المتحركة الموجهة والألعاب التعليمية.

- غرس لدى الطفل القيم الفاضلة كالاعتماد على النفس والتعاون مع الآخرين والشعور بالمسؤولية والاهتمام بالنظافة والنظام... واستثمار وقت الفراغ . فالأسرة مسؤولة عن تعليم أبنائها وتثقيفهم ، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية ، وتعتبر الوظيفة التثقيفية أشمل من الوظيفة التعليمية لأنها تشمل التعليم كعنصر من عناصرها ال كثيرة ، والتي تلعب دورا أساسيا في تشكيل شخصية الطفل الذي هو رجل المستقبل.

تكوين عادة القراءة لدى الأبناء:

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية أنتجها العقل البشري، وأظهرتها طبيعة المجتمع للتعبير عن حياة الجماعات الإنسانية ومقتضيات العمران. "وهي من أدوات التفاهم بين أفراد المجتمع ،لما لها من قيمة في حياة الأمم فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم، ويرى "عدس" بأن اللغة اختراع اجتماعي وجدت لتلبي حاجات مستخدميها في الاتصال؛ بغرض التفاهم، وبغير هذا تفقد قيمتها العملية وتصبح مجرد رموز لا حياة فيها.⁽⁴⁾ ويعتبر النمو اللغوي للطفل شأن أنواع النمو الأخرى محصلة لعاملين، هما قوى النضج بداخله، والخبرات التي تزوده بها البيئة التي يعيش فيها. وبناء على ذلك يختلف الأطفال في نموهم اللغوي حتى لو مروا بنفس الخبرات في المدرسة بالتالي لا بد من غرس هواية حب القراءة لدى الطفل منذ نعومة أظفاره، فالأطفال عندما يولدون في بيئة تشجع على القراءة ، فيجدون حولهم الكثير من الكتب بالتالي لا يجدون صعوبة في التواصل مع معلمهم في المدرسة وقد أكد على ذلك "بيرنستين" حيث ركز على المهارات اللغوية التي تترك آثارها في الأطفال وعلى تجربتهم المدرسية اللاحقة ،ويقصد هنا بالرموز اللغوية صيغ التعبير وأساليب استخدام اللغة بين الأطفال الفقراء والأغنياء حيث يرى حديث أطفال الطبقة العاملة تمثل "رموزا مقيدة" وهذه الرموز ترتبط بسياقات ثقافية محددة لأن أفراد هذه الطبقة يلتزمون بمعايير معينة دون الحديث عنها. وثقافة الطفل تهدف إلى بناء شخصيته، وهي تمثل أسلوب

(1) محمد علي المرعي، "أدب الأطفال (دراسة نظرية و تطبيقية)"، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٧٦.

(2) سالم محمد سالم، "مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، ١٤٤، الرياض، السعودية، ١٩٩٥، ص ٣٠١.

(3) محمد عودة عليوي، مجيل لازم مسلم، الخدمات المكتبية للأطفال، مجلة عالم الكتب، ٤٤، دار تثقيف للنشر و

(3) التوزيع، الرياض، السعودية، ١٩٨٩، ص ٥٠٧.

(4) عدس محمد عبد الرحيم، "تعليم القراءة بين المدرسة والبيت"، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٨، ص ٦٠.

الحياة السائد في مجتمع الأطفال ، وثقافة الأطفال الجيدة هي التي تراعي رغباتهم واحتياجاتهم وهنا نجد أن الصحف والمجلات هي التي تستهوي الأطفال أكثر من الكتب. «كما تحتاج الميول القرائية لدى الأطفال إلى تنمية مستمرة من الأسرة والمكتبة المدرسية والمكتبة العامة. وتعتبر هذه الدوريات أول ما يصادف الطفل من مطبوعات خارج نطاق كتبه الدراسية، ويمكن لهذه المصادر أن تجعله طفلاً محباً للقراءة إذا أحسن توجيهه»⁽¹⁾

ولتعزيز الأبناء على القراءة كان من الواجب -توفير كتب الأطفال بمكتبة المنزل حتى وإن كانت كتب قليلة لأن الكتاب يحتل مكان الصدارة بالنسبة لثقافة الطفل ، ولقد بين حكيم مصري قديم أهمية الكتاب ومهارة القراءة في تعاليمه الموجهة لابنه بقوله « ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر مما تحب أمك ، و ليت في استطاعتي أن أبرز لك ما في الكتب من روعة وجمال»⁽²⁾ ويمكن تقسيم كتب الأطفال إلى: القصص. كتب المعلومات. كتب الألعاب والهوايات. كتب التجارب العلمية المبسطة. الكتب الإلكترونية الأقراص المضغوطة. وعادة القراءة لن تتكون لدى الطفل إلا إذا شعر بنوع من المتعة عندما يقرأ ، ولن يتأتى هذا إلا إذا صحبت هذه القراءة بنوع من الاكتشاف وتنمية العقل

وهنا نجد القصة من أحب الأدبيات إلى قلب الطفل ، ومن أكثرها استهواءً له ، وتأثيراً فيه ؛ لذلك اعتبرت من أنجح أساليب التربية التي يمكن للمربين الاستعانة بها لتحقيق الأهداف التربوية ، فهي من الأساليب التربوية الهادفة في توجيه الأبناء، لأنها تثير الانتباه وتوقظ المشاعر وتجعل الطفل يعيش مع أبطال القصة . فهو يحاول مقارنة نفسه بهؤلاء بالتالي يكون له أثر في تعديل سلوكه . فنجد مثلا القصة التربوية الإسلامية تهدف إلى «ترسيخ العقيدة الإسلامية، وإفهامها للطفل بطريقة متدرجة نامية ، وأسلوب شيق مبسط يتناسب وإدراك الطفل فهي تساعد بكل ما فيها من أشخاص وأحداث على تجسيد المعنويات وإبرازها بصورة حية تجيب على كثير من تساؤلات الطفل حول الكثير من المسائل المتعلقة بالعقيدة ، والتي ينتظر إجابات شافية مقنعة عنها»⁽³⁾

والقصة تنمي في الطفل مهارات لغوية من بينها تنمية مهارة الاستماع والتي تعتبر من أهم المهارات اللغوية، لأن الطفل ينطق ما يسمعه فإذا كان استماعه جيدا كان نطقه جيدا . كذلك زيادة حصيلة الطفل اللغوية وتنمية مهارة الكلام لدى الطفل ، ونجاح هذا الأسلوب يتوقف على مدى ال توفير في اختيار القصة المناسبة لذلك وجب على المربي أن يختار القصص الهادفة لإكساب سلوك أو تعديله، مع مراعاة عنصر التشويق والجذب . كما أثبتت البحوث والدراسات أن الطريقة التي تقرأ بها لأطفالك هي أهم عامل مؤثر على ربطهم بالكتاب؛ فهي أكثر أهمية من الكم الذي تقرأ ه لهم، فمن المهم أن تشجع طفلك على المشاركة في أثناء القراءة، وإلا فإن استفادته من القراءة ستكون محدودة وستكون شبه منعدمة إذا كان مستمعاً ساكناً. لأن المشاركة تحقق مستويات متقدمة في تنمية الثروة اللغوية لديهم.

من مهارات القراءة : قبل أن نبدأ في عملية القراءة وجب تعلم المهارات التالية: لماذا يقرأ؟ ماذا يقرأ؟ كيف يقرأ؟ متى يقرأ؟ أين يقرأ؟

1- توفير الكتاب: بالرغم من تنوع مصادر المعرفة في عصرنا سواء المسموعة ، المرئية والمقروءة إلا ان الكتاب يبقى في الطليعة. كما قال النبي (ص) "قيدوا العلم بالكتابة".

وقال أبو الطيب المتنبي: خير المحادث والجليس كتاب تخلو به إن ملك الأصحاب

(1) فرحات، شمس الدين : مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(2) محمد، السيد حلاوة: مرجع سابق، ص٦٩ .

(3) الكيلاني، نجيب: "أدب الأطفال في ضوء الإسلام"، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١، ص ١٣٠ .

لا مفضيا سرا إذا استودعته وتنال منه حكمة وصواب

لكن ما يجب التنبيه إليه هو أن هناك كتب تؤلف لأغراض تجارية بحتة ، بحيث توضع عليها عناوين مغرية لا تمثل حقيقة ما في الكتاب، ومن ناحية أخرى قد يكون الكتاب جيدا لكن غير موجه إليك . "إن الكتاب مثل القميص كثيرا ما تكون جودته من مناسبتة للابسه ، وليست من جودة قماشه أو لونه . ومرة أخرى فقد يكون الكتاب ملائما لك، لكن مادته التي يشرحها لا تدخل ضمن أولوياتك القرائية...وهكذا، فهناك أسباب كثيرة تدعونا إلى عدم الاستعجال في شراء أي كتاب مهما كان موضوعه أو ثمنه، وأيا كان كاتبه"⁽¹⁾.

بالتالي وجب قراءة فهرس الموضوعات أولا من أجل الاطلاع على موضوعات الكتاب. كذلك الاطلاع على فهرس المصادر والمراجع لأنها تدل على طبيعة معالجة المادة التي في الكتاب، قراءة بعض الصفحات لمعرفة مستوى المعالجة . "فإهمال القراءة الاستكشافية أو التصفحجية قد أدى بأعداد لا تحصى من البشر إلى أن يشتروا كتباً لا تستحق القراءة ، لأنها لا تساوي ثمن المداد الذي كتبت به ، أو ان يشتروا كتباً لا يستطيعون الاستفادة منها، او لا تهمهم"⁽²⁾.

٢-توفير الوقت للقراءة: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك مقولة شهيرة تدل على أهمية الوقت وأهمية تنظيمه واستثماره، والمحافظة عليه . فعلى القارئ "أن يختار أوقات القراءة المناسبة ، أوقات النشاط والصفاء الذهني ، وعادة ما تكون في الصباح الباكر أو عقب الاستيقاظ من النوم ، وعليه أن يبتعد عن الأوقات التي يكون فيها مرهقا بدنيا أو مشغولا ذهنيا حتى يتسنى له استيعاب وفهم ما يقرأ"⁽³⁾.

٣-تهيئة جو القراءة: يفضل أن يقرأ القارئ في مكان هادئ بعيدا عن الضوضاء حتى يتم صفاء الذهن والقدرة على التركيز ، وتلون إضاءته جيدة ومريح، تتوفر فيه الشروط الصحية الجيدة من حيث (دخول الشمس وتجدد التهوية) حتى يحتفظ القارئ بنشاطه، وأن يكون مكان القراءة منظما وجميلا حتى يشعر القارئ بالارتياح والانشرح. وهذا يكون في المنزل أو حجرة خاصة، أو في إحدى المكتبات، حتى يستطيع أن يركز فيما يقرأ ويستفيد منه لأن " هناك ارتباطا وثيقا بين امكانية الفهم والاستيعاب وبين الأجواء والأوضاع التي تجري فيها عملية القراءة، فالوضعية غير المريحة للقارئ والمكان غير المناسب للقراءة، يقللان من إمكانية استمرار القراءة ، كما يجعلان الفائدة منها محدودة"⁽⁴⁾.

٤-استخدام تقنيات الوسائل الحديثة داخل الأسرة:

تتمثل في الحاسوب و الإنترنت كوسائل تقنية حديثة في تطوير العمليات التربوية وتعليم الأبناء بشكل خاص وفيما يلي عرض لأبرز الاستخدامات:⁽⁵⁾

- يستخدم الحاسوب كمكتبة متنقلة تحتوي على أنواع عديدة من المعارف موثقة المصادر بحيث يستفيد منه التلميذ
- عند ما يريد البحث في موضوع معين وهو بذلك يعمل عمل مختبر علمي أو لغوي أو مهني.

(1) عبد الكريم بكار، "القراءة المثمرة- مفاهيم وآليات"، ط٦، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٦.

(2) نفس المرجع، ص ٣٨.

(3) محمد عوض العايدي: مرجع سابق ص ١٠٠-١٠١.

(4) عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص ٢٦

(5) سعيد، حسني العزة، "تربية الموهوبين والمتفوقين"، دار الثقافة والدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص ٢١١-٢١٢.

- يستخدم الحاسوب في تنمية روح الإبداع وتطوير طرق الموهوب في البحث عن ضالته وتحدي عقله وقدراته من ناحية وتنميتها من ناحية أخرى في مجالات اهتماماته أو في غيرها وقد يخلق لديه اهتمامات أخرى لم يكن قد اكتشفها في نفسه.

أسباب نفور الأطفال من القراءة:

نوقن جميعا ان العزوف عن القراءة لدى السواد الأعظم ليس شح المال ،بل انعدام الرغبة في مصاحبة الكتاب .وإن أول أسباب تأخر الأمة هو هجرها للقراءة لأن القراءة مصدر الوعي في المجتمعات. ولو بحثنا في أسباب العزوف عن القراءة لوجدناها أسباب واهية وغير مقنعة من بينها:

- عدم التشجيع على القراءة من طرف الأولياء؛ والتركيز على المقررات الدراسية فقط، وعدم تشجيعهم على القراءة، وأن يكونوا هو قدوة لهم في ذلك.

- ضعف الهمة والعزيمة: فالأغلبية من الناس تشتكي من مشاغل الحياة ولا يمكنه تخصيص وقت للقراءة حتى يواضب عليها. وهذا الصنف يركن للراحة ويؤثر السهل على الصعب.

- عدم معرفة قيمة القراءة وفوائدها، وقديما قيل: إن الإنسان عدوما يجهل. فينبغي على الإنسان أن ينظر إلى حال من يقرؤون؛ لينظر كيف أثرت فيهم القراءة، ورفعت مكانهم، وأكسبتهم الدقة وسعة الأفق⁽¹⁾

عدم وجود الأقران الذي يشجعون على القراءة، فالمرء بقريته

- الاصطدام بأمور صعبة عند بدء القراءة: من قراءة الكتب الطويلة، والكتب صعبة الفهم، أو الافتقار إلى الخبرة في اختيار الأفضل من الكتب، وينبغي على المرء أن يبتدئ في قراءته بقرأة الكتب القصيرة ذات الأسلوب السلس والشيق، وأن يستعين بأهل الخبرة في اختيار النافع والمناسب من الكتب.⁽²⁾

- بالإضافة إلى برامج التلفاز: التي تقدم لهم قيم أومعارف وأخلاق أ لا تتوفر فيها عناصر الانسجام، فنجد كثيرا من البرامج تقدم بلغة ركيكة.

عدم توفير مكتبات الأطفال وانتشارها في الأحياء السكنية وغلاء أثمانها لأن هناك علاقة عكسية بين ارتفاع أثمان الكتب بشكل عام والإقبال على شرائها.

إضافة إلى كثرة الواجبات المدرسية الصارمة وخروج الأم للعمل: لأن غياب الأم عن المنزل لأوقات طويلة يتسبب في بعد الطفل عن القراءة والمطالعة.

التوصيات:

- تخصيص نسبة من مصروف الأسرة لما لا شهريا كاف لتأمين عدد من الكتب التي تناسب ابناءهم والمرحلة العمرية لهم. لتأسيس مكتبة منزلية قيمة. لأن الكتاب هو أهم مصدر من مصادر القراءة ، وتوفيره أمر في غاية الأهمية،

-تكوين عادة القراءة لأن البدايات التربوية الجيدة تبدأ من المنزل، والآباء هم المرربون الطبيعيون، ولذا كان اهتمامهم بالعلم عاملاً حاسماً في تطور نفسية أبنائهم تجاه قضية القراءة وتكون عادة لديهم.

(1) خالد بن عبد العزيز النصار، مرجع سابق، ص ٥٨.

(2) نفس المرجع، ص ٦٠.

-قراءة ما تميل إليه النفس مع التدرج:وهذه تكون نقطة البداية، حيث إن القارئ يقرأ ما تميل إليه نفسه خاصة بالنسبة للطفل حتى يوطن نفسه على حب القراءة، ثم ينطلق بعد ذلك.

-توفير الوقت للقراءة وتهيئة الجو لذلك مع مجالسة عشاق القراءة خاصة الأطفال في مثل سنهم.

-أن يكون اتجاه الوالدين نحو القراءة اتجاها إيجابيا.

- أن يتحدث الآباء والإخوة الكبار عن الكتب والمجلات والقصص ، وأن يشركوا الطفل في هذا الحديث.

قائمة المراجع:

- ^١ أعمال المؤتمر التاسع للإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، "الإستراتيجية العربية الموحدة للمعلومات في عصر الانترنت ودراسات أخرى"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس أكتوبر ١٩٩٩.
- ^٢ محمد، السيد حلاوة: "تثقيف الطفل بين المكتبة والمتحف"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١-٢٠٠٢.
- ^٣ فتيحة كركوش: "سيكولوجية طفل ما قبل المدرسة"، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨.
- ^٤ القصير، عبد القادر: "الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري)"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
- ^٥ زهران حامد عبد السلام، "علم نفس النمو الطفولة والمراهقة"، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٩.
- ^٦ مخيمر هشام محمد، "علم نفس النمو الطفولة والمراهقة"، اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ^٧ سامي محمد ملحم، "علم نفس النمو"، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٤.
- ^٨ عفاف أحمد عويس، "سيكولوجية الابداع عند الأطفال"، دار الفكر، عمان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.
- ^٩ حامد عبد العزيز الفقي، "دراسات في سيكولوجية النمو"، ط٤، دار القلم، الصفاة، الكويت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م.
- ^{١٠} منصور محمد جميل عبد السلام، فاروق السيد، "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، ط٤، مكتبة تهامة، جدة، ١٤١٠هـ.
- ^{١١} منهم محمد جميل منصور، فاروق سيد عبد السلام، "النمو من الطفولة إلى المراهقة"، ط٣، تهامة، جدة ١٩٨٣ م.
- ^{١٢} مصطفى فهي، "سيكولوجية الطفولة والمراهقة"، مكتبة مصر، (د.ت).
- ^{١٣} صادق آمال، أبو حطب فؤاد ، "نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين"، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩.
- ^{١٤} خليل ميخائيل معوض، "سيكولوجية النمو" الطفولة والمراهقة"، ط٣، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٣ م.
- ^{١٥} عبد المالك: "نظرية القراءة"، دار الغرب للنشر والتوزيع، د-ب-٢٠٠٣.

١٦. خالد بن عبد العزيز النصار، "الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة"، دار العاصمة د.ت.
١٧. حبيب الله، "أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق"، دار عمان للطباعة والنشر، عمان الأردن، ١٩٩٧.
١٨. حسان عابدة: "تشجيع عادة القراءة لدى الأطفال"، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٢.
١٩. سلاطنية بلقاسم، حسان الجيلاني: "أسس البحث العلمي"، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر.
٢٠. محمد عوض العائدي: "إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية"، شمس المعارف مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
٢١. سلاطنية بلقاسم حسان الجيلاني: "أسس البحث العلمي"، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٩.
٢٢. عبد الكريم بكار، "القراءة المثمرة- مفاهيم وآليات"، ط٦، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.
٢٣. محمد حامد الناصر، خولة عبد القادر درويش، "تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة"، ط٤، مكتبة السوادي، جدة، ٢٠٠١.
٢٤. سميرة أحمد السيد، "الأسس الاجتماعية للتربية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢٥. محمد علي الهرفي، "أدب الأطفال (دراسة نظرية و تطبيقية)"، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦.
٢٦. سالم محمد سالم، "مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، ١٤٤ع، الرياض، السعودية، ١٩٩٥.
٢٧. محمد عودة عليوي، مجبل لازم مسلم، "الخدمات المكتبية للأطفال"، مجلة عالم الكتب، ع٤، دار تثقيف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٩٨٩.
٢٨. عدس محمد عبد الرحيم، "تعليم القراءة بين المدرسة والبيت"، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٨.
٢٩. الكيلاني، نجيب: "أدب الأطفال في ضوء الإسلام"، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١.
٣٠. عبد الكريم بكار، "القراءة المثمرة- مفاهيم وآليات"، ط٦، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ٢٠٠٨.
٣١. سعيد، حسني العزة، "تربية الموهوبين والمتفوقين"، دار الثقافة والدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠.

تأثير جرائم الإرهاب الإلكتروني الجديد على الشباب المسلم

"في عهد وسائط الإعلام الجديد"

أ.قادة عافية/جامعة وهران، الجزائر

ملخص :

لعل من أبرز سمات العصر الحديث غلوب الطابع الإلكتروني والمعلوماتي، وانتشار استخدام وتوظيف المعلومات بصفة الكترونية، وتسليما بأن هذا النوع من التطور له ما له من السلبيات كما له ما له من الإيجابيات، خاصة مع زيادة استخدامها من فئة الشباب. وأمام هذا التطور ظهر أيضا ما يسمى بالإرهاب الإلكتروني، هذا الأخير هو الآخر تأثر بهذه التكنولوجيا أراد أن يؤثر عبرها مستهدفا الشباب بالدرجة الأولى كهدف رئيسي أحيانا وكجسر لتنفيذ وتجسيد أفكار معينة.

لكن وجب ومن الناحية القانونية التأكيد على أن الشباب مستهدف عبر وسائط الإعلام الجديد من نوعين من الإرهاب، الإرهاب بالمفهوم العام المنتظم في شكل جماعات وبمرجعية دينية متطرفة ليس لها أي معنى وعادة تؤثر في الشباب بأفكار دينية، أو الإرهاب بمفهوم الغزو الثقافي الغربي والتي عادة ما تؤثر في الشباب عبر نشر المواقع الإباحية والترجيح لأفكار الغربية التي لم ينص عليها ديننا الحنيف.

ويعتبر الإرهاب الإلكتروني أحد الاساليب الإرهابية المنتشرة بصورة أكبر في عصر المعلوماتية، لما تتميز به من سرعة وأمان وسرية وغياب الآثار وقلّة التكاليف، إلى غير ذلك من السمات التي ميزت الأشكال التقليدية والقديمة للإرهابيين.

وأمام هذه الخطورة الإلكترونية المستهدفة لشبابنا اليوم، وجب على صنّاع القرار وبالتعاون مع مختلف الفاعلين من جمعيات و مثقفين ورجال دين و أساتذة التصدي لهذا النوع من الإرهاب بخطة وطنية محكمة، وهو ما دفع بنا إلى محاولة تشخيص الداء بالنظر إلى محل الداء وسببه و آثاره، ومن ثم النظر في الوسائل المستعملة بغية التصدي لها أو التقليل منها.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب الإلكتروني، الشباب، الإعلام الجديد، العالم العربي، التكنولوجيا، الثقافة، المرجعية الدينية.

مقدمة:

لا يمكن إنكار ما توصل إليه العلم الحديث من تكنولوجيا علمية ورقمية لا سيما تكنولوجيا الإعلام، كما لا يمكن إنكار خطورة ما ترتبه عملية الإستعمال العشوائي لوسائل الإعلام خاصة الجديدة منها. فأصبح الحديث عن الأمن الإلكتروني حدثا أهم من الحديث عن المزايا الإلكترونية، بدليل تعرض العديد من شباب اليوم لعمليات قرصنة واختراق وترويج لأفكار تأتي بطريقة أو بأخرى. مما صعب على عملية حماية خصوصيات شبابنا. وهو ما يصطلح عليه بالإرهاب الإلكتروني الذي أصبح يهدد أمن دول وشعوب بأكملها نتيجة ما تستعمله من وسائل مختلفة قصد الإختراق عبر فئة الشباب (الفئة الأكثر استعمالا لهذه الوسائل). ويبقى استعمال وسائل الإعلام أمرا حتميا لا مفر منه لما تفرضه التحديات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية مما يزيد يصعب من مأمورية تجنب خطورة الإرهاب الإلكتروني، لا سيما من

الجانبين العقائدي والديني بدليل تزايد انتشار أفكار تدعو للتطرف باستعمال هذه وسائل الإعلام بمختلف أنواعها من إيميلات وشبكات التواصل الإجتماعي (فايسبوك وتويتر...) و المواقع (اليوتوب...)...

وبغية معالجة هذا الموضوع نتبع الخطة التالية:

الخطة:

✓ المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للإعلام والإرهاب

• المطلب الأول: وسائل الإعلام الجديد

• المطلب الثاني: مفهوم الإرهاب الإلكتروني و خصائصه

✓ المبحث الثاني: تحديات الإرهاب الإلكتروني

• المطلب الأول: تأثير الإرهاب الإلكتروني على الشباب

• المطلب الثاني: سبل مكافحة الإرهاب الإلكتروني

وستحاول التقييد بالخطة الثنائية السابقة بتحليل علمي أكاديمي كما يلي:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للإعلام والإرهاب

لا يمكن في الوقت الحالي العيش في عالم تطغى عليه كل أنواع التكنولوجيا والمعلوماتية والرقمنة، بما فيها وسائل الإعلام الجديد (المطلب الأول)، حتى أصبحت هذه الأخيرة تستعمل لسلح لدى بعض الأعداء أو ما يصطلح عليه الإرهاب الإلكتروني (المطلب الثاني).

المطلب الأول: وسائل الإعلام الجديد

لقد بلغ الإعلام ذروة من الأهمية والخطورة في ذات الوقت، لما له من تأثير بالغ في تأليب الرأي العام مع أو ضد ما يحدث من مستجدات أو متغيرات، أو ما يطرأ من تعديل أو تحريف حتى على الثوابت في القيم الاجتماعية والمعتقدات الفكرية والمناهج الدينية والمفاهيم المختلفة المتعلقة بشؤون الحياة الإنسانية، في شتى بقاع الأرض التي وصل إليها الإعلام.

إن الاهتمام بالانترنت بشكل عام وبالإعلام الإلكتروني بشكل خاص قد أخذ بالتنامي وشكل ذلك ظاهرة إعلامية جديدة مرتبطة بثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فأصبح المشهد الإعلامي اقرب لان يكون ملكا للجميع وفي متناول الجميع، وأكثر انتشارا وسرعة في الوصول إلى أكبر عدد من القراء، وبأقل تكاليف، بذلك تكون الصحافة الإلكترونية قد فتحت آفاقا عديدة وأصبحت أسهل واقرب لمتناول المهتمين. وأبرزت التطورات اللامتناهية في الوسائط التقنية الحديثة، لا سيما الأقمار الصناعية، الحاسبات الإلكترونية وغيرها إمكانات ضخمة للوسائل التي استفادت من استخداماتها سواء كانت وسائل إعلامية كلاسيكية أو جديدة.

الفرع الأول: تعريف الإعلام الجديد:

الإعلام الجديد هو العملية الاتصالية الناتجة من اندماج ثلاثة عناصر:

١ - الكمبيوتر، الشبكات، الوسائط المتعددة، ومن بين مرادفات الإعلام الجديد نجد أنه يطلق على الإعلام الجديد العديد من المسميات والمصطلحات ومنها:

٢ - الإعلام الرقمي، الإعلام التفاعلي، إعلام المعلومات، إعلام الوسائط المتعددة، الإعلام الشبكي العي على خطوط الاتصال (Online Media)، الإعلام السيبروني (Cyber Media)، والإعلام التشعبي^١.

الفرع الثاني: وسائل الإعلام الجديد:

تعددت وسائل الإعلام الجديد وأدواته، وهي تزداد تنوعاً ونموً أً وتداخلاً مع مرور الوقت، ومن هذه الوسائل : المحطات التلفزيونية التفاعلية، والكابل الرقمي، والصحافة الإلكترونية، ومنتديات الحوار، والمدونات، والمواقع الشخصية والمؤسسية والتجارية، ومواقع الشبكات الاجتماعية، ومقاطع الفيديو، والإذاعات الرقمية، وشبكات المجتمع الافتراضية، والمجموعات البريدية، وغيرها.

بالإضافة إلى الهواتف الجوال التي تنقل الإذاعات الرقمية، والبث التلفزيوني التفاعلي، ومواقع الانترنت، والموسيقى، ومقاطع الفيديو، والمتاجرة بالأسهم، والأحوال الجوية، وحركة الطيران، والخرائط الرقمية، ومجموعات الرسائل النصية والوسائط المتعددة.

الفرع الثالث: خصائص الإعلام الجديد

يتميز الإعلام الجديد بالعديد من الخصائص ومنها:

التفاعلية: حيث يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار، وتكون ممارسة الاتصال ثنائية الاتجاه وتبادلية، وليست في اتجاه أحادي، بل يكون هناك حوار بين الطرفين.

اللاتزامنية: وهي إمكانية التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد، سواء أكان مستقبلاً أو مرسلأً.

المشاركة والانتشار: يتيح الإعلام الجديد لكل شخص يمتلك أدوات بسيطة أن يكون ناشراً يرسل رسالته إلى الآخرين الحركة والمرونة: حيث يمكن نقل الوسائط الجديدة بحيث تصاحب المتلقي والمرسل، مثل الحاسب المتنقل، وحاسب الانترنت، والهاتف الجوال، والأجهزة الكفية، بالاستفادة من الشبكات اللاسلكية.

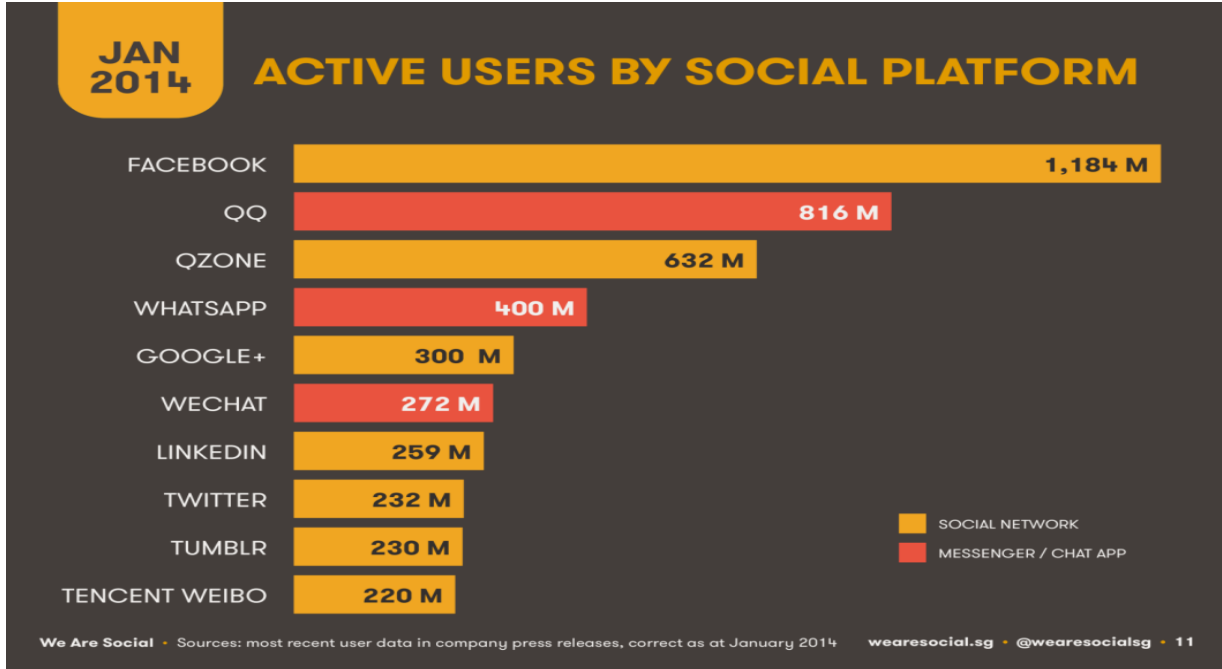
الكونية: حيث أصبحت بيئة الاتصال بيئة عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة.

اندماج الوسائط: في الإعلام الجديد يتم استخدام كل وسائل الاتصال، مثل النصوص، والصوت، والصورة الثابتة، والصورة المتحركة، والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد،...إلخ.

الانتباه والتركيز: نظراً لأن المتلقي في وسائل الإعلام الجديد يقوم بعمل فاعل في اختيار المحتوى، والتفاعل معه، فإنه يتميز بدرجة عالية من الانتباه والتركيز، بخلاف التعرض لوسائل الإعلام التقليدي الذي يكون عادةً سلبياً وسطحياً . التخزين والحفظ: حيث يسهل على المتلقي تخزين وحفظ الرسائل الاتصالية واسترجاعها، كجزء من قدرات وخصائص الوسيلة بذاتها.

^١ فهد ابن عبد الرحمان الشميمري، التربية الإعلامية، كتاب منشور على الموقع: <http://www.saudimediaeducation.org>، تاريخ

و فيما يلي جدول توضيحي يبين نسب استخدام مختلف وسائط الإعلام الجديد:



المطلب الثاني: مفهوم الإرهاب الإلكتروني و خصائصه :

الفرع الأول: مفهوم الإرهاب الإلكتروني: الكثير منا يعتقد أنه و بمجرد ذكر مصطلح الإرهاب أن الإرهاب هو ما يعرف لدى عامة الناس، أي الإرهاب الموجود في شكل جماعات ممنهجة ذات قيادة مضبوطة بأفكار و مرجعية دينية معينة ليس لها أي انتماء. لكن نسمع كثيرا عن مصطلحات مثل "الإرهاب الإداري"، "إرهاب الطرقات"، فينسب المعنى لخطورة الفعل و ليس للإرهاب في حد ذاته.

وقبل تعريف الإرهاب الإلكتروني و جب التلميح أولا لمصطلح الإرهاب الذي عرف كثيرا من الجدل لعدم وجود تعريف قانوني يرضي الجميع.

أولا: مفهوم الإرهاب: بالرغم من الاهتمام الكبير في السنوات الأخيرة بظاهرة الإرهاب سياسيا و أكاديميا، إلا أن المختصين لم يتمكنوا من الإتفاق على تعريف واحد لهذه الظاهرة، ويعود سبب ذلك في جزئه الأكبر إلى الاختلاف الحاصل حول تصور الظاهرة و أسباب نشوئها و كيفية التعامل معها و عن الإختلاف في المنطلقات والخلفيات التي نجد فيها كل مهتم متأثر بنشأته و بيئته و موقعه و وظيفته و المكان الذي ينظر منه إلى هذه الظاهرة و يريد الوصول إليه، تعاملنا من هذه الظاهرة إما علاجا أو امتدادا بل و ربما تشجيعا لها، لاختلاف منطلقات و مصالح الأفراد و المراكز و الجماعات و الدول . و يعاني مفهوم

¹ رحيمة الطيب عيساني، " فعالية أدوات و وسائط الإعلام الجديد في التعريف بالقانون الدولي الإنساني"، مجلة حقوق الإنسان، ٢٠١٤.

الإرهاب من أزمة التعدد ، وليس الشح في التعاريف وهذا لكون الظاهرة الإرهابية ظاهرة معقدة ويغلب عليها الطابع السياسي الذي يتسم بدوره بعدم الدقة وصعوبة الضبط.

ولهذا يجب منذ البداية توخي الحذر في التعاطي مع مفهوم الإرهاب وخاصة على مستوى التصور والفهم والتعريف^١ في ضوء هذه المقدمة الموجزة سنتولى عرض مجموعة من التعاريف من باب أخذ صورة ولولم تكن دقيقة حول المفهوم الإرهابي ومحاولة الخروج بتعريف أكثر قبولا وأكثر موضوعية^٢.

إذ جاء في قاموس إكسفورد الإنجليزي بأن الإرهاب " استخدام العنف والتخويف بصفة خاصة لتحقيق أغراض سياسية".^٣ أما الموسوعة البريطانية فقد اعتبرت الإرهاب بأنه ذلك " الاستخدام المنتظم للرعب، أو العنف الذي لا يمكن التكهن به ضد الحكومات والجمهور، أو الأشخاص لتحقيق هدف سياسي ".^٤ وقد قرر مجمع اللغة العربية في معجمه الوسيط أن الإرهابيين وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية^٥

من الناحية الاصطلاحية عرفت الإتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة ١٩٩٨ " كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت أغراضه أو بواعثه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالفئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الإس تيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر ".^٦ وقد عرفت نفس الإتفاقية الجريمة الإرهابية بأنها: " أي جريمة أو شروع فيها ترتكب تنفيذاً لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة أو على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها يعاقب عليها قانونها الداخلي".

انطلاقاً مما سبق يمكن تعريف الإرهاب كما يلي: "العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان (دينه و عقله و عرضه و ماله) ويشمل التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر".

^١ ظهرت هناك عدة اتجاهات لتعريف الإرهاب و الجريمة الإرهابية (الإتجاه الشكلي، المادي، الشخصي)، أنظر في ذلك د: عصام عبد الفتاح عبد السميع مطر، الجريمة الإرهابية، دار الجامعة الجديدة ٢٠٠٨، صفحة ٧٥.

^٢ للإرهاب مفهوم خاص في الشريعة الإسلامية إذ ظهر لفظ "الرهبه" في القرآن الكريم و بالضبط في سورة الأنفال والتي تعني الإفزاع في شأن العدو و الخوف و الرهبه و الخشوع، كما ظهرت مفردات الرهبه بمعنى الخوف و الرعب في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى : " واضمم إليك جناحك من الرهب" ، سورة القصص-، و بمعنى الخشية و تقوى الله في قوله تعالى: " إنهم يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا"- سورة الأنبياء-، و بمعنى الردع في قوله تعالى: " و أعدوا لهم استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم".

^٣ منصور بن مقعد خالد الربيعان، احتجاج الرهائن و عقوبته (دراسة مقارنة)، مذكرة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض- ٢٠٠٦ صفحة ٣٢.

^٤ تجدر الإشارة إلى أن ترجمة الرهبه المقترنة بالإحترام في اللغة العربية مع كلمة "terrorisme" غير صحيحة، كون المصطلح الفرنسي يعني الإرهاب دون اقترانه بالإحترام.

^٥ عصام عبد الفتاح عبد السميع مطر، الجريمة الإرهابية، دار الجامعة الجديدة ٢٠٠٨، صفحة ٦١.

^٦ أنظر المادة الأولى (الفقرة الثانية) من الإتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة ١٩٩٨.

ثانياً: تعريف الإرهاب الإلكتروني:

الإرهاب الإلكتروني هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادرة عن الدول أو الجماعات أو الأفراد عبر الفضاء الإلكتروني، أو أن يكون هدفاً بذلك العدوان بما يؤثر على الاستخدام السلمي له¹. لذا فالإرهاب الإلكتروني هو استخدام التقنيات الرقمية لإخافة وإخضاع الآخرين، أو هو القيام بمهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو عرقية أو دينية . وبصفة عامة هو العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادرة من الدول أو الجماعات أو الأفراد على دينه، أو نفسه أو عرضه أو عرقه أو عقله أو ماله بغير حق بشتى أصنافه و صور الإفساد في الأرض التي عنه الشريعة الإسلامية².

وقد يعرف الإرهاب الإلكتروني على أنه : العدوان أو التخويف أو التهديد مادياً أو معنوياً باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادرة من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صور الإفساد في الأرض³.

وتأتي خطورة الإرهاب الإلكتروني من خلال التهديدات التي يصنعها، أولهما إرهاب الأنترنت، الذي يهدف إلى إلحاق الضرر بالأفراد أو بالامتلاكات، وهوما يتم عبر نشر الفيروسات، والتلاعب بالمعلومات عبر الإنترنت أما الآخر، فهو يخص استخدام الإنترنت كوسيط للاتصال، وهوما وصفه بالـ "الشبكة السوداء"⁴.

الفرع الثاني: خصائص الإرهاب الإلكتروني:

إن الإرهاب الإلكتروني تختلف خصائصه مع الإرهاب بشكل عام في نقاط عديدة وتتشابه معه في نقاط أخرى، لكن الطابع الإلكتروني والمعلوماتي والتكنولوجي يعطيها هذه الخصائص الخاصة نحاول إيجازها فيما يلي:

- إن الأثر القانوني للإرهاب الإلكتروني عموماً معدوم باعتباره لا يترك أي آثار تدل على مرتكب الجريمة بدليل ممارسته لها بشكل مجهول ومن نقطة بعيدة غير معروفة.

- إن مرتكب الجريمة إلكترونياً يكون دارساً لها ومن ذوي الاختصاص في مجال المعلوماتية عكس الإرهاب العادي الذي يمكن ممارسته دون مراعاة مهارات الإرهابي.

- في حالة معرفة مرتكب الجريمة يمكن لمستعملها أن يقضي على كل الأدلة ذات الصلة بالإرهاب الإلكتروني فهي ليست أدلة مادية بالمعنى الحقيقي بقدر ما هي أدلة سهلة المحو والقضاء عليها.

- يحتاج الإرهاب الإلكتروني إلى تعاون عدة أشخاص قصد تحقيق الهدف وهو استهداف فئات معينة كالشباب في دينهم ووطنيتهم وعرضهم.

- نظراً لحدثة استعمال الإرهاب الإلكتروني يصعب ج داً على الأجهزة القضائية والأمنية متابعة مرتكبي هذه الجرائم، خاصة وأن العديد من الدول لم تجرمها بعد نظراً لطبيعتها الإلكترونية الصعبة.

¹ عادل عبد الصادق، "الإرهاب الإلكتروني، نمط جديد وتحديات مختلفة"، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، ٢٠١٣.

² بن يحيى الطاهر ناعوس، "مكافحة الإرهاب الإلكتروني، ضرورة بشرية و فريضة شرعية"، موقع الألوكة.

³ أيسر محمد عطية، " دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة (الإرهاب الإلكتروني و طرق مواجهته)"، ملتقى علمي بكلية العلوم الإستراتيجية، عمان، ٢٠١٤.

⁴ رضوى عمار، " دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب"، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية ٢٠١١.

-سهولة استهداف أي فئة كانت في أي بلد تقطن باعتبار الإرهاب الإلكتروني عابر للحدود ويمكن التحكم به من نقطة واحدة.

المبحث الثاني: تحديات الإرهاب الإلكتروني:

بقدر ما لوسائل الإعلام الجديد من إيجابيات يستفيد بها الإنسان بصفة عامة والشباب بصفة خاصة بقدر ما لها من سلبيات تظهر جليا في استخدامها من طرف الإرهابيين، إذ تؤثر بشكل خطير و رهيب عليه (المطلب الأول)، مما وجب اتخاذ كل ما من شأنه أن يمنع و نحد من هذا الامتداد (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تأثير الإرهاب الإلكتروني على الشباب:

تختلف وسائل الإرهاب الإلكتروني عن الوسائل المعروفة لدى الإرهابيين بشكل عام والمعروفة بالوسائل التقليدية كأخذ الرهائن و القرصنة و الهجمات الانتحارية و القنذرات إلى غير ذلك من وسائل التهريب و القتل. لكن مع أن العصر الحالي غلب عليه الطابع المعلوماتي و الإلكتروني يسعى الإرهاب أن يتماشى مع هذا التطور وفق استعماله مختلف الوسائل المعلوماتية نبرزها كالآتي:

البريد الإلكتروني:

يمكن أن يستهدف الشاب المسلم عبر البريد الإلكتروني بطريقتين مختلفتين، الأولى عبر إغراءات الغرب بنشر صور تخدش الحياء أو برسائل قصيرة أو حتى فيديوهات مخصصة و فقط لفئة الشباب بغية جلب اهتمامه و لفت الانتباه . كما أنه يصل الحد إلى إغراءات مالية قصد سهولة المساس بعقيدة الشاب المسلم . أما الثانية فتكون عبر الإرهابيين بالمعنى الحقيقي قصد نشر مبادئهم و أفكارهم المتطرفة و الترويج لها على الأقل بغية السعي نحو جلب التأييد و التعاطف لأفكارهم، كما أن البريد الإلكتروني يمكن ان يستعمل و فقط بين الإرهابيين أنفسهم لإيصال أفكارهم و تبادل المعلومات و يستعمل الإرهابيون البريد الإلكتروني أيضا قصد التجسس و الإطلاع على معطيات الآخرين و معلوماتهم السرية كأحد عملياتهم قصد استهداف الفئات التي لها قابلية و استجابة، و من الناحية الدينية فلقد نهى الله - جل جلاله - عن التجسس، فقال سبحانه {ولا تجسسوا} ^١ ونهت الشريعة الإسلامية عن الاطلاع على أسرار الناس و هتك حرمتهم، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم قال {إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم و يعتبر اختراق البريد الإلكتروني هو خرق لخصوصية هذه الفئة التي تعتبر الأكثر استعمالا للبريد الإلكتروني كما تعتبر هتك لحرمتهم و تجسس على معلوماتهم و معطياتهم السرية، والنبي صلى الله عليه و سلم يقول: {ولا تحسسوا ولا تجسسوا} ^٢.

فبالرجوع للشريعة الإسلامية نجد أنها قد كفلت حفظ الحقوق و البيانات الشخصية للإنسان و حرمت الاعتداء عليها بغير حق، وأن الإرهابيين الذين يعتقدون على أسرار و معطيات الآخرين و معلوماتهم عبر اختراق رسا تلهم البريدية الإلكترونية أثمون لمخالفة أمر الشارع الحكيم و مستحقون للعقاب التعزيري الرادع لهم، لذا وجب من الناحية الأخلاقية و الدينية أن ننشر مدى خطورة هذا الفعل استنادا لشريعتنا الإسلامية خاصة فئة الشباب، بدليل أن هذا الأمر مما استقرت الشريعة على تحريمه و النهي عنه، وقد تضافرت نصوص الكتاب و السنة على حفظ حقوق الآخرين و عدم

^١ سورة الحجرات ، الآية: ١٢ .

^٢ رواه أبو داود ، حديث رقم (٤٨٨٨) ، وقال عنه النووي: إنساده صحيح. (انظر: رياض الصالحين باب النهي عن التجسس، ص٥٩٦).

^٣ البخاري الأدب (٥٧١٧) ، مسلم البر و الصلة و الآداب (٢٥٦٣) ، أحمد (٥٣٩/٢) ، مالك الجامع (١٦٨٤).

انتهاكها، بل قد تنادت الدول إلى تجريم مخترقي البريد الإلكتروني لما فيه من ضياع للحقوق واعتداء على خصوصيات الآخرين وأسرارهم، ولاسيما إذا كان ذلك لاستغلالها في الجرائم الإرهابية والعدوان على الآخرين^١.

شبكات التواصل الإجتماعي:

إن شبكات التواصل الإجتماعي المتمثلة أساسا في الفايسبوك و التويتر، تعتبر من الشبكات الأكثر استعمالا و تداولا حتى من فئة القصر، حتى وصل الحد إلى نشر أفكار و معلومات ليس لها أي مرجع أو أمانة علمية أو أساس ديني أو علمي ويؤخ ذ بها كما جاءت، فالعديد من الأحاديث النبوية نشرت على صفحة الفايسبوك محرفة و شبه محرفة لا ينتبه لها المسلم خاصة الفئات السهلة الإختراق. و باعتبار أن فئة الشباب هي الأكثر تداولا لهذه الصفحات فسهل بشكل كبير على الإرهابيين عملية نشر أفكارهم في قناع لا يعكس حقيقتهم مثل استعمال أدلة تدعوا للجهاد، و استغلال الصراع الطائفي و العقائدي. أيضا سهل للغرب نشر العديد من الصور و الترويج للعديد من المواقع الإباحية عبر الفايسبوك التي فعلا تمس بالقيم و المثل العليا التي أتى بها ديننا الحنيف فكم من الشباب راحوا ضحايا هذه الإخ تراقا و الإعلانات و الترويجات.

أكثر من ذلك فإن الإرهابيين يلجؤون في بعض الأحيان إلى استعمال أسماء مستعارة قصد التأثير على فئة الشباب و ذلك من خلال التهديد بالموت و استهداف الأقارب في حالة عدم الاستجابة للأراء أو محاولة الإعتراض أو إفشاء أسرارهم^٢

إنشاء و تدمير المواقع:

يمكن استعمال المواقع لغرضين مختلفين، إما باستحداث مواقع تضليل و ترويج و استغلال مواقع أخرى، أو عبر استعمالها للقرصنة و التدمير، فالأولى يقوم على أساسها الإرهابيون بإنشاء و تصميم مواقع لهم على شبكة المعلومات العالمية الإنترنت لنشر أفكارهم و الدعوة إلى مبادئهم، بل تعليم الطرق و الوسائل التي تساعد على القيام بالعمليات الإرهابية، فقد أنشئت مواقع لتعليم صناعة المتفجرات، و كيفية اختراق و تدمير المواقع، و طرق اختراق البريد الإلكتروني، و كيفية الدخول على المواقع المحجوبة، و طريقة نشر الفيروسات و غير ذلك . و تشير الإحصائيات إلى أنه تسعى الجهات الرسمية، و المؤسسات، و الشركات، و حتى الأفراد إلى إيجاد مواقع لهم حتى وصل عدد المواقع على الإنترنت في شهر أكتوبر ٢٠٠٠ م إلى أكثر من ٢٢ مليون موقع.

إن عملية الاختراق الإلكتروني تتم عن طريق تسريب البيانات الرئيسية و الرموز الخاصة ببرامج شبكة الإنترنت، وهي عملية تتم من أي مكان في العالم دون الحاجة إلى وجود شخص المخترق في الدولة التي اخترقت فيها المواقع فالبعد الجغرافي لا أهمية له في الحد من الاختراقات الإلكترونية و لاتزال نسبة كبيرة من الاختراقات لم تكتشف بعد بسبب التعقيد الذي يتصف به نظام تشغيل الحاسب الآلي^٣.

إن هذا التصرف محرم دينا و أخلاقا و عرفا و يتفق أهل العلم على أن شبكة الإنترنت من وسائل الاتصالات الحديثة السريعة في إيصال المعلومات الواسعة من حيث الانتشار و سهولة الوصول إليها وهي إن استغلت في الخير و الدعوة إلى الله و نشر دين الله في أصقاع الأرض من قبل الأفراد و المؤسسات الإسلامية المختلفة، فلا شك أنها من الجهاد في سبيل الله

^١ عبد الرمان بن عبد الله السند، " وسائل الإرهاب الإلكتروني، حكمها في الإسلام و طرق مكافحتها".

^٢ أنظر فاتح الخفاجي، " الإرهاب الإلكتروني و خطره من بعض الملتزمين في مواقع التواصل الإجتماعي"، كتابات ٢٠١١.

^٣ عبد الرمان بن عبد الله السند، " وسائل الإرهاب الإلكتروني، حكمها في الإسلام و طرق مكافحتها".

بالبیان واللسان ويجب على المسلمين استغلالها وتسخيرها لهذا الغرض الخيرو لذا وجب على الشباب الممارسين لهذه الشبكات استغلالها فيما ينفع الناس ولا يضرهم، أم المواقع الفاسدة المخلة والمضرة بعقائد المسلمين من خلال التلبس والتشكيك والمضرة بأخلاقهم كذلك من خلال ما يعرض فيها من الدعوة إلى الفساد وتيسير طرقه وتعليم الناشئة لهذه الأمور، وتربيتهم عليها من خلال ما يعرض فيها... فلا ريب أن هذا من أعظم المنكرات التي يجب التصدي لها وإنكارها وفق قواعد إنكار المنكر التي جاء بها النص من الكتاب والسنة.

ويمكن أيضا استعمال المواقع بغية التدمير، أي الدخول غير المشروع على نقطة ارتباط أساسية أو فرعية متصلة بالإنترنت من خلال نظام آلي (Server-PC) أو مجموعة نظم مترابطة شبكيًا (Intranet) بهدف تخريب نقطة الاتصال أو النظام.

ونظرًا لما أصبحت الوسائل الالكترونية تجلب أرباحا طائلة، فأصبح من الطبيعي استغلالها حتى وإن كانت لها اضرار، فالتغيرات التقنية وإمام المخترق بالثغرات في التطبيقات والتي بنيت في معظمها على أساس التصميم المفتوح لمعظم الأجزاء (Open source) سواء كان ذلك في مكونات نقطة الاتصال أو النظم أو الشبكة أو البرمجة، جعلت الحيلولة دون الاختراقات صعبة جدًا، إضافة إلى أن هناك منظمات إرهابية يدخل من ضمن عملها ومسؤولياتها الرغبة في الاختراق وتدمير المواقع ومن المعلوم أن لدى المؤسسات والإمكانات والقدرات ما ليس لدى الأفراد.

ويستعين الإرهابيون بالقراصنة إما لإنجاز أهدافهم أو لسبيل التدريب على تقنيات إختراق الحاسب الآلي (Hackers) لأجل التوصل إلى المعلومات السرية والشخصية واختراق الخصوصية وسرية المعلومات بسهولة، وذلك راجع إلى أن التطور المذهل في عالم الحاسب الآلي يصحبه تقدم أعظم في الجريمة المعلوماتية وسبل ارتكابها.

وتجدر الإشارة إلى أن قراصنة المعلومات (Attacks – Hackers – Trackers) هم مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون خبرة عميقة في ميدان تقنية المعلوماتية وتحليل الشيفرات البرمجية ولهم القدرة على استغلال معرفتهم العميقة باللغات البرمجية ونظم المعلومات لتجاوز نظم الحماية الامنية لشبكات المعلومات^(٢).

تهدف عملية الدخول غير المشروع التي تمارسها هذه الفئة إلى البحث عن مزيد من المعلومات والبيانات التي تزيد حجم معرفتها بهذه النظم مع تلمس خفاياها المحظورة، وقد تصاحب انشطتها وجود نية مبيتة لأغراض تخريبية أو تسخير مواردها الفيزيائية والمنطقية لتحقيق الأغراض الكامنة وراء الانتهاكات التي تمارسها على نظام الشبكة.

ومع أن الوقت الحالي أصبح معلوماتي ولا يمكن بأي حال من الأحوال ممارسة الحياة اليومية بدون وسائل الإعلام الجديد، خاصة مع تزايد حجم المعلومات المنتشرة على ساحة الانترنت وتساعد قيمتها بوصفها مصدرا مهما في جميع المجالات. وعلى هذا الأساس باتت عملية الاختراق التي يقوم بها قرصان المعلومات في الوقت الراهن تنسم بسوء قصد وتعتمد ايداء بقية المستخدمين الذي يقيمون في البيئة الشبكاتية. أكثر من ذلك وبالموازاة مع أن الإحصائيات تشير إلى أن

^١ خالد حنفي محمد، "الإنترنت وتصدير الإرهاب، السياسة الدولية"، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.

الفئة الأكثر استعمالاً للمواقع الإلكترونية والشبكة العنكبوتية هي فئة الشباب التي أصبحت هدفاً للإرهابيين كما أشرنا سابقاً.

يقوم القراصنة الإرهابيين باختراق الآلاف من أجهزة الحاسوب للتجسس على مستخدميها من الشباب، ومعرفة توجهاتهم بغية استدراجهم بأفكار تتناسب وميولاتهم المعرفية والسياسية والإقتصادية، خاصة الفئات السهلة الإصطياد، إما لأهداف مالية بحتة لزيادة نشاطهم الإرهابيين أو بغية التجسس على معلومات ذات طابع سري أو أمني يخدمهم لتجسيد أفكارهم الإرهابية باستهداف مؤسسات الدولية أو النظائر عبر جسر الشباب المستعمل للإنترنت أو وهدف ثالث زيادة الدعم بتجنيد فئة الشباب بتغذيتهم بأفكار عقائدية وفكرية كالجهاد والإنتحار وتتم عملية الإختراق الإلكتروني عن طريق تسريب البيانات الرئيسة والرموز الخاصة ببرامج شبكة الإنترنت، وهي عملية تتم من أي مكان في العالم دون الحاجة إلى وجود شخص المخترق في الدولة التي اخترقت فيها المواقع فالبعد الجغرافي لا أهمية له في الحد من الاختراقات الإلكترونية ولا تزال نسبة كبيرة من الاختراقات لم تكتشف بعد بسبب التعقيد الذي يتصف به نظام تشغيل الحاسب الآلي^٢.

إن من الوسائل المستخدمة لتدمير المواقع ضخ مئات الآلاف من الرسائل الإلكترونية (mails-e) من جهاز الحاسوب الخاص بالمدمر إلى الموقع المستهدف للتأثير على السعة التخزينية للموقع، فتشكل هذه الكمية الهائلة من الرسائل الإلكترونية ضغطاً يؤدي في النهاية إلى تفجير الموقع العامل على الشبكة وتشتيت البيانات والمعلومات المخزنة في الموقع فتنتقل إلى جهاز المهدي، أو تمكنه من حرية التجول في الموقع المستهدف بسهولة ويسر، والحصول على كل ما يحتاجه من أرقام ومعلومات وبيانات خاصة بالموقع المعتدى عليه

الألعاب الإلكترونية:

مع تزايد انتشار الألعاب الإلكترونية التي أصبحت تستهوي كل فئات المجتمع بعدما كانت في السابق تق تصرو فقط فئة الأطفال، فإنه و عبر هذه الألعاب يمرر الإرهابيون رسائلهم بصفة غير مباشرة بعرض ألعاب قتال تحسن فيها صورة الإرهابيين، فيتغذى مستعمل هذه الألعاب بأفكار مستوردة بشكل لا يلفت الإنتباه، خاصة مع ضعف الرقابة من طرف الدول.

وقد نهت وسائل الإعلام لهذه الخطورة بعد استعمالها مؤخراً من طرف تنظيم *داعش، ووصلت إلى العديد من الفئات بما فيها الشباب جاءت في شكل عمليات اقتتال ومعارك بها عبارات وحركات وألفاظ جهادية.

المطلب الثاني: سبل مكافحة الإرهاب:

قبل التعرف على سبل مكافحة الإرهاب الإلكتروني وجب على الأقل معرفة الأسباب التي من شأنها سهلت عملية استهداف الشباب، وهذا بغية تفاديها وتوظيفها كجانب وقائي، واعتباراً أن الإستهداف يكون عادة عبر تدمير وإنشاء المواقع نبرز أهم أسباب وقوع هذه الممارسات:

^١ عبد الرحمن عزي، "العرب والاعلام الفضائي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة، سلسلة كتب المستقبل العربي، ٢٠٠٤.

^٢ انظر: "الاختراقات الإلكترونية خطر كيف نواجهه"، موزة المزروعى، مجلة آفاق اقتصادية، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد التاسع، سبتمبر ٢٠٠٠م، ص ٥٤.

^٣ خالد حنفي محمد، "الإنترنت وتصدير الإرهاب، السياسة الدولية"، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.

هناك كثير من العوامل التي تجعل من ظاهرة الارهاب المعلوماتي موضوعا شيقا وسلاحا مناسباً يمتلك مجموعة من المميزات الفريدة التي تجعل منه موضوعا يستأثر باهتمام الكثير من الفئات الارهابية المنتشرة على عموم رقعة البسيطة وتشمل هذه المميزات ما يأتي :

قابلية الاختراق (Vulnerability): تحتوي نظم المعلومات على ثغرات معلوماتية موجودة في معماريتها وتوفر هذه الثغرات للإرهابيين أكثر من فرصة مناسبة لاستغلالها في التسلسل للبنى التحتية ، وممارسة عمليات تخريبية بمستويات مختلفة. غياب الحدود (A nonymity): ان غياب الحدود المكانية عن الفضاء المعلوماتي وعدم وضوح الهوية الرقمية للمستخدم المستوطن في بيئته المفتوحة يعد ميزة مهمة تستأثر باهتمام الفئات الارهابية التي تسعى إلى تغيب هويتها بعيدا عن انظار السلطة والمجتمع.

توسيع رقعة الاهتمام: إن السمة العولمية لشبكات المعلومات توفر للارهاب المعلوماتي فرصة ثمينة للاعلان عن انشطتها والظفر باهتمامات متزايدة على رقعة عولمية واسعة تتجاوز حدود السلطة او المجتمع الذي تقيم فيه ما يزيد من قدرتها التأثيرية بشكل ملموس .

السهولة وتدني الكلفة : ان توافر الادوات المعلوماتية على شبكة الانترنت وقيام قراصنة المعلومات بفك الشفرات البرمجية يوفر عددا ضخما من النظم والبرمجة والوس ائل التي يمكن للإرهابيين استغلالها في توجيه ضربات موجعة لخصومهم بسهولة . ومن دون الحاجة الى مصادر تمويل ضخمة.

غياب العنصر المادي للمخاطرة : ان قدرة قراصنة المعلومات على ممارسة الانشطة الارهابية من دون الحاجة الى الاحتكاك بخصومهم او تعريض النفس لمخاطر مباشرة يزيد من الاهتمام بهذا الجانب من عمليات الارهاب .

تراكم الخبرة المعلوماتية : ان توافر عناصر الخبرة بتقنيات المعلومات لدى طيف واسع من مستخدمي الحواسيب مع توافر كم كبير من المعلومات التي تساهم بتطوير المهارات وعلى مجموعة كبيرة من المواقع المنتشرة على الانترنت ت بات يشكل عاملا حاسما في زيادة الاهتمام بهذا الميدان.

الإعتماد على فتح مختلف المواقع والحسابات بصفة مجانية، وعدم الإستناد لاختصاصيين اثناء عملية الفتح واستخدام كلمات سرية سهلة يمكن للإرهابيين معرفتها وتكرار هذه الكلمات السرية في أكثر من حساب، وقد حذرت وسائل الإعلام من وجود مواقع يتم من خلالها التجسس على الكلمات السرية للأخرين بشرط التسجيل لدى حسابهم¹، وبمجرد التسجيل فطبيعيا يستخدم المسجل كلمة سر سبق وأن استعملها في حساب قديم أو ساري المفعول، وبذلك تصبح كلمة السر الخاصة به معروفة لدى الموقع المسجل، وهذا الأخير يعرض كلمة سره لمن يظلمها بدون علمه، وهو تستمر العملية مع الآخرين.

عدم القيام بالتحديث المستمر لنظام التشغيل والذي يتم في كثير من الأحيان اكتشاف المزيد من الثغرات الأمنية فيه، ويستدعي ضرورة القيام بسد تلك الثغرات من خلال ملفات برمجية تصدرها الشركة ات المنتجة لها لمنع المخربين من الاستفادة منها. وعدم وضع برامج حماية كافية لحماية الموقع من الاختراق أو التدمير وعدم التحديث المستمر لهذه البرامج والتي تعمل على التنبيه عند وجود حالة اختراق للموقع.

¹ خالد حنفي محمد، "الإنترنت وتصدير الإرهاب، السياسة الدولية"، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.

عدم القيام بالنسخ الاحتياطي للموقع (Backup) للملفات والمجلدات الموجودة فيه، وعدم القيام بنسخ قاعدة البيانات الموجودة بالموقع مما يعرض جميع المعلومات في الموقع للضياع وعدم إمكانية استرجاعها، ولذلك تبرز أهمية وجود نسخة احتياطية للموقع ومحتوياته خاصة مع تفاقم مشكلة الاختراقات في الآونة الأخيرة، ويعد عام ٢٠٠٢ م من أكثر الأعوام اختراقاً، فقد تضاعفت حالات الاختراق والتدمير بسبب اكتشاف المزيد من الثغرات الأمنية في أنظمة التشغيل والبرامج المستخدمة في مزودات الإنترنت وانتشار كثير من الفيروسات.

وتواجه الجريمة الإرهابية التقنية في ظل العولمة الثقافية، تحديات كبيرة في مواجهتها ومكافحتها، نظراً لأساليب التقنية التي تستخدمها من ناحية، وتنوع أشكالها وتعددتها من ناحية أخرى . فتلك الجرائم كثيرة ومتنوعة وسريعة، وتشمل كافة نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأيضاً الأمنية، مما يجعل هذه الجرائم تمثل تهديداً خطيراً لأمن الفرد والمجتمع والثقافة^١.

ومن هنا نجد أنه لا يوجد حل جذري ينصح به للوقاية من جرائم الحاسب الآلي بأشكالها المختلفة، فكما سبق أن رأينا، فإن جرائم الحاسب الآلي والإنترنت تتنوع أشكالها وتعدد أساليب إرتكابها وتظهر في كل يوم أساليب جديدة بحسب التطور التقني الذي يحدث بسرعة رهيبية، في كافة الوسائل والأساليب الاتصالات الحديثة، إلا أنه يجب وضع إستراتيجية أمنية شاملة لنظم المعلومات تحدد عناصرها ومسئوليات الدخول إلى نظم المعلومات، كما يجب وضع خطة طوارئ دقيقة واختبارها ومراجعتها بصفة دورية.

و أمام ما تميزه جرائم الإنترنت من الخطورة على أمن الفرد والمجتمع، وبخاصة ما يتعلق بحرية البيانات والمعلومات الخاصة بكل فرد أو مؤسسة، وخاصة أن تلك الجرائم تمثل اعتداءً على النفس والعرض والمال وغيرها . وكذلك ما تمثله هذه الجرائم من تهديد للأمن القومي للمجتمعات على مستوى العالم، ما يتبع ذلك من آثار اجتماعية وثقافية واقتصادية سلبية، وبخاصة أن هناك بعض من هذه الجرائم تمثل اعتداءً على حياة وأمن واستقرار الأسرة والمجتمع، لأن من بين الجرائم التي ترتكب في هذا الشأن ما يعرض تلك الأسر أو المجتمعات لمشكلات اجتماعية بالغة الخطورة، خصوصاً أنها تمس أعراض هذه الأسر، أو التشهير ببعض أفرادها، وكذلك بث الصور والموضوعات التي قد تتسبب في التفكك الأسري، والخلافات العائلية، والتي غالباً ما تؤدي إلى الانفصال أو الطلاق في كثير من الأحيان^٢.

و مع تزايد خطورة هذه الجرائم، وجب على الجهات الوصية بمختلف سلطاتها أن تطور أساليبها ووسائلها حتى يمكنها التعامل مع جرائم ثورة المعلومات الحديثة وتستحدث وسائل جديدة تتماشى والسرعة الرهيبة للتطور المعلوماتي، ومواجهة تلك الجرائم الإلكترونية بأسلوب علمي متطور وغير تقليدي، حتى يمكنها أن تقف أمام تحديات عصر العولمة الثقافية وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وذلك في ظل التقدم التقني الذي فتح آفاقاً جديدة، وجلب معه مشكلات ومخاطر جديدة لم تكن نسمع عنها من قبل، لذلك فإن لم نستطع أن نواجهه هذه المخاطر والتهديدات والمشكلات الناجمة عن هذه الثورة المعلوماتية، ونتعامل معها بكفاءة عالية واقتدار، و أن نطور مؤسساتنا وأنظمتنا، فإن أمننا الاجتماعي والقومي سيكون مهدداً وتصبح بذلك حياتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل والإستراتيجية في خطر كبير، لذلك يجب وضع البرامج والأساليب والطرق الحديثة الفعالة للتعامل مع هذا الواقع الجديد الذي فرض نفسه على الأفراد والمجتمعات على مستوى العالم كله.

^١ براين كيريز، "غزو قرصنة الكمبيوتر"، مجلة تواصل، ترجمة رضوان كاظم عزيز، ٢٠٠٦.

^٢ عبد الرحمن عزي، "العرب والإعلام الفضائي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة، سلسلة كتب المستقبل العربي، ٢٠٠٤.

ولعل من أبرز الوسائل الفعالة للتغلب على مخاطر الإرهاب الإلكتروني هو عدم تحديد الفئة المستهدفة بالدرجة الأولى عبر احصائيات جادة، و التعرف على المواقع الأكثر استعمالا من هذه الفئة، على الشاب المسلم أن لا يستدرج إلى ما يمس عقيدته، فالكثير من الشباب ذهب ضحية قرصنة بسبب متابعته لمواقع غير مرعوب فيها، خاصة المواقع الإباحية¹.

و بمجرد أن يمس الشاب في دينه و عقيدته فإن اختراقه و استغلاله هو أسهل شئ على الإرهابي، وقد عرف هؤلاء المتطرفين نقطة ضعف الشباب فكثفوا من هجماتهم الإلكترونية بعدما مارسوا عمليات في ذات السياق، حتى أصبحوا يستعملوا الفتيات كطعم و الأخطر هو استعمال الفتيات المحجبات . لذلك فإن صياغة خطة محكمة لتجاوز واحتواء التأثيرات المحتملة للإرهاب المعلوماتي ليست بالمهمة السهلة ولكن يبدو أكثر قبولاً هو امكانية التقليل من المخاطر المحتملة التي قد تنتج عن التهديدات المعلوماتية الى حدود الدنيا ومنه تفاقم المخاطر الى دائرة واسعة.

ويمكن تقسيم المنهج الامثل للتقليل من مخاطر الارهاب المعلوماتي إلى عدة مستويات:

المستوى الأول: حماية البنى التحتية الوطنية:

وتعالج من خلال هذا المستوى مسألة حماية نظم البنى التحتية الوطنية من عمليات الاختراق المعلوماتي او الهجمات المعلوماتية التي قد ينشأ منها تدمير او اتلاف لاجزاء كبيرة من هذه المنظومات ويمكن تقسيم هذا المستوى إلى عدة خطوات:

(الخطوة الأولى :معالجة مسألة قابلية الاختراق عبر ما يأتي):

- صياغة سياسات امنية وطنية واضحة المعالم ومحكمة للتقليل من امكانية اختراق النظم المعلوماتية.
 - إجراء تقييم مستمر لقابلية الاختراق من محاولة متخصصين بمحاولة اختراق شبكات المعلومات الوطنية وتحديد الثغرات الموجودة فيها والسعي لمعالجتها .
 - تدريب الكوادر المعلوماتية والارتقاء بمستوى مهاراتها بميدان الامن المعلوماتي وتعميق الوعي بمسألة الامن والتنبيه الى مخاطرها الكبيرة .
 - اعادة تصميم نظم الشبكات المعلوماتية في ضوء التقدم الحاصل بتقنيات الامن المعلوماتي التي تضمن زيادة مستوى كف الهجمات المحتملة .
 - الارتقاء بقدرات الرد و كف الهجمات المعلوماتية لدى كوادر النظم المعلوماتية من خلال مضاهاة اداء الشبكات المعلوماتية بتطبيق أسلوب المحاكاة (Simulation) وتحديد مواقع الثغرات الموجودة على الشبكة ومعالجتها.
- الخطوة الثانية :الارتقاء بالامن المعلوماتي للنظم المعلوماتية من خلال تبني ما يأتي:
- عزل الموارد المعلوماتية بالغة الاهمية عن نظم الشبكات المحلية وشبكة الانترنت لضمان حمايتها من عمليات الاختراق.

¹ براين كيريز، " غزو قرصنة الكمبيوتر"، مجلة تواصل، ترجمة رضوان كاظم عزيز، ٢٠٠٦

^٢ كريمة شافي جبر محمود، " الإرهاب المعلوماتي"، مجلة كلية الآداب.

- استخدام تقنيات متقدمة لتشفير المعلومات ومعالجتها بحيث لا يمكن الوصول إليها .
- توظيف تقنيات متقدمة لحماية النظم المعلوماتية مثل الجدران النارية وبرمجيات مكافحة الفيروسات والديدان المعلوماتية.

- صياغة سياسات أمنية محكمة لضمان أمن نظم المعلومات، قادر على التكيف مع السياسات المعتمدة على مستوى البنى التحتية الوطنية وتكامل معها .

المستوى الثاني: الحماية الفيزيائية للأدوات المعلوماتية

تتألف منها نظم المعلومات من خلال:

- إدارة حسابات مستخدمي الشبكة وكلمات العبور التي يصلون بواسطتها إلى قواعد بياناته .

- تحديد أطر الدخول عن بعد وصياغة حدود واضحة للتخويل بالدخول.

- توفير برمجيات حماية النظام من التأثيرات الضارة بالفايروسات والديدان.

- تهيئة نسخ احتياطية للموارد المعلوماتية وحفظها في أماكن آمنة.

- اختيار التطبيقات البرمجية المناسبة لحالات الاستخدام المختلفة.

توفي خطط جاهزة لتجاوز الأزمات التي قد تعصف بالنظام المعلوماتي أمام الخطورة التي يشكلها الإرهاب الإلكتروني للشباب المسلم كما تم توضيحه في المطالبين الأولي ن وجب إثر ذلك التحدي له بكافة الأشكال وبتنسيق مع مختلف الفاعلين من سلطات عليا و الفئة المستهدفة (الشباب) و الإعلاميين و المثقفين و رجال الدين و القانون و مختلف الجمعيات ذات الصلة بالموضوع. و قد تنهت عدة دول عربية لهذه الخطورة أين عملت على تكثيف الجهود با ستحداث تشريعات من شأنها أن تقمع و تتصدى لهذا النوع من الإرهاب و في مقدمتها كل من المملكة العربية السعودية، الأردن.

خاتمة:

في الوقت الذي تسعى فيه مجتمعاتنا العربية استغلال وسائط الإعلام الجديد للنهوض بجيل صاعد تمثل فيه نسبة الشباب حصة الأسد، نجد أنفسنا و قبل ذلك مهديدين بإرهاب من نوع خاص يستعمل هذه الوسائط كسلاح مما وجب على الأمة الإسلامية محاربة ما يسمى بالإرهاب الإلكتروني عبر الأمن الإلكتروني، تجنباً لأي استهداف أمني و عقائدي و فكري.

فمن خلال الإحصائيات الواردة في هذا البحث، فإن تجنب هذا الاستهداف يتمثل بال درجة الاولى اتباع الجانب الوقائي، و استعمال وسائط الإعلام الجديد في جانبه الإيجابي، و ذلك وفق خطة وطنية شاملة و محكمة و جدية، مع اتباع عنصر هام و هو الرقابة الدورية و المستمرة، خاصة و أنان نعيش في عالم يطغى عليه طابع السرعة و التكنولوجيا و الموازة مع ذلك ازدياد سبل القرصنة التي لا تكلف ماديا و يصعب اتباع الآثار، مع تأخر العديد من الدول فرض قوانين من شأنها أن تجرم الجريمة الإلكترونية.

قائمة المراجع:

١- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

- ٢ - فهد ابن عبد الرحمان الشميمري، "التربية الإعلامية"، كتاب منشور على الموقع:
/http://www.saudimediaeducation.org
- ٣ - كريمة شافي جبر محمود، "الإرهاب المعلوماتي"، مجلة كلية الآداب.
- ٤ - موزة المزروعى، "الاختراقات الإلكترونية خطير كيف نواجهه"، مجلة آفاق اقتصادية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، العدد التاسع ، سبتمبر ٢٠٠٠.
- ٥ - فاتح الخفاجي، "الإرهاب الإلكتروني و خطره من بعض المثلثين في مواقع التواصل الاجتماعي"، كتابات ٢٠١١.
- ٦ - عبد الرمان بن عبد الله السند، "وسائل الإرهاب الإلكتروني، حكمها في الإسلام وطرق مكافحتها".
- ٧- بن يعى الطاهر ناعوس، "مكافحة الإرهاب الإلكتروني، ضرورة بشرية وفريضة شرعية"، موقع الألوكة.
- ٨- أيسر محمد عطية، " دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة (الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته)"، ملتقى علمي بكلية العلوم الإستراتيجية، عمان، ٢٠١٤.
- ٩- رضوى عمار، " دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب "، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية ٢٠١١.
- ١٠- رحيمة الطيب عيساني، " فعالية أدوات ووسائل الإعلام الجديد في التعريف بالقانون الدولي الإنساني "، مجلة حقوق الإنسان ٢٠١٤.
- ١١- خالد حنفي محمد، " الإنترنت وتصدير الإرهاب، السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية "، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ١٢- براين كيريز، "غزو قرصنة الكمبيوتر"، مجلة تواصل، ترجمة رضوان كاظم عزيز، ٢٠٠٦.
- ١٣- عصام عبد الفتاح عبد السميع مطر، "الجريمة الإرهابية"، دارالجامعة الجديدة ٢٠٠٨.
- ١٤- عادل عبد الصادق، " الإرهاب الإلكتروني "، نمط جديد وتحديات مختلفة، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، ٢٠١٣.
- ١٥- عبد الرحمن عزي، " والاعلام الفضائي"، بيروت ، مركز دراسات الوحدة ، سلسلة كتب المستقبل العربي، ٢٠٠٤.
- ١٦- طيبي محمد الأمين، " تجريم الإرهاب في القانون الدولي"، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، ٢٠١٣.
- ١٧- منصور بن مقعد خالد الربيعان ، " احتجاز الرهائن وعقوبته (دراسة مقارنة)"، مذكرة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-الرياض-٢٠٠٦.
- ١٨- عافية قادة، "أخذ الرهائن في القانون الدولي"، مذكرة ماجستير، جامعة وهران ١، ٢٠١٤.

الجريمة الالكترونية نتاج أجهزة و مواقع تواصل اجتماعي

أ.بومامي العباس/رئيس تحرير مجلة أصوات الشمال، الجزائر

ملخص :

تناول هذه الورقة البحثية مفهوم الجريمة الالكترونية كظاهرة جديدة على المجتمعات الحديثة، وهي حسب الكثير من الباحثين نتاج طبيعي للإفرازات السلبية التي أنتجها التطور التكنولوجي الهائل في مجال الاتصالات وعالم رقمنة المجتمعات والكيانات البشرية.

وفي خضم تلك الإفرازات اختلفت الرؤى وتعددت الاجتهادات للحد من ظاهرة الإجرام الالكتروني . ومن تلك الرؤى تم تناول الظاهرة باعتبارها نتاج أجهزة ومعدات إلكترونية تتراوح ما بين التصميم المغشوش عن قصد لأموال التجسس والاستعلام وأجهزة لا تحمل هذا القصد بقدر ما هي أجهزة تعترضها عي وب في التصنيع والتصميم .بالإضافة إلى أن بعض مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وجوجل لها يد في حدوث بعض جرائم المعلوماتية وذلك من خلال تورطها في التلاعب ببيانات المستخدمين والمتاجرة بها أو القيام بالإشهار لبرامج وبرمجيات مشبوهة لا هدف من وراءها غير الربح الهدي . وقد اكتفينا بمعالجة مبثي الأجهزة و المواقع على أن يستكمل البحث بالتطرق إلى مبحث البرامج و البرمجيات و كيف يؤدي توافرها إلى ارتكاب الجريمة الالكترونية.

مقدمة :

لقد كانت بداية " الهاكرز " و مجرمي الأنترنت في شكل الهزل و المزاح و التسلية ، إلى أن تطو ر الأمر ليصبح و يتشكل في صورة إجرامية بحتة . و يكاد يقتصر الأمر في هذا المجال على الفئات العمرية الشبائية لأنها أكثر احتكاكا بعالم الأنترنت و شبكات الاتصال ، و أكثر تطلعا و شغفا بكل ما هو جديد ، و هو ما يعني أننا اليوم بصدد ولادة جيل " رقمي " يكاد يأخذ أغلب أفكاره و سلوكياته من الأنترنت . ولعل غلبة نسبة الوقت المستهلك أمام شاشات الهاتف النقال و الحاسوب و اللوحات الالكترونية و الوسائل الرقمية الأخرى ، بما فيها ألعاب الأطفال الالكترونية ، هي التي حتمت علينا إطلاق مصطلحات " الجيل الرقمي " أو جيل الأنترنت " على الفئة المهنية بهذه التسميات .

لقد صارت الحاجة أكثر من ملحة و ضرورية لمعالجة الجريمة الالكترونية و تتبع عواقبها و آثارها السلبية على الأفراد و المجتمعات ، و بهذا الاتجاه فرضت الظاهرة نفسها كأبرز شكل للعلولة السيئة ، بحيث توجبت الدراسة و أصبح البحث فيها ضرورة حتمه | الجرم المتزايد كل حين . و قد تمت محاولة التساؤل عن أهم مسببات الجريمة الالكترونية فكان التساؤل الأول عن إمكانية أن تكون بعض الأجهزة و اللواحق الالكترونية مصممة خصيصا لارتكاب الجريمة المعلوماتية سواء تعلق الأمر بالربح المادي او العمل التجسسي ، أو حتى بسبب تلك الاجهزة التي تحمل عيوبها في التصنيع ، كما طرح التساؤل عن مدى تورط بعض مواقع التواصل الاجتماعي في حدوث الجريمة الالكترونية .

و في هذا البحث تم تناول الإجابة عن هذه التساؤلات الملحة على الأقل من وجهة نظر إعلامية ، تميزا عن الدراسات القانونية و التقنية رغم صعوبة الدراسة من الناحية الإجرائية ، بحكم أنها تتناول فئتين يصعب ، بل يستحيل ، التعامل معهما باستبيان أو سبر آراء أو ما يشبه ذلك ، و هو ما تم بالفعل لكن دون جدوى ، ذلك انه من الصعب انه يقرلك المجرم بأنه مجرم و يمنحك الإجابات التي تبحث عنها . كما أن ضحية الجريمة الالكترونية متخفية بطبعها و كتومة نظرا

لحساسية الموضوع وارتباطه بالسمعة والشرف والاخلاق . وهذا الأمر قلص من نسبة التعمق في دراسة الظاهرة بشكل يغطي كافة جوانبها الموضوعية .

ومن ثم فإن معالجة مشكلة الجريمة الالكترونية يجب أن تنطلق من الإنسان في حد ذاته، حتى وان كنا نتناولها من باب حدوثها بسبب وفرة الأجهزة وتورط مواقع التواصل الاجتماعي بحكم ان الانسان هو من يقف وراء الجريمة الالكترونية و أيضا وراء طريقة مجاهايتها . وهذا قبل مناقشة وسائل الردع والتحصين التقني الفني والتشريعي المتعلق بالقوانين والإجراءات الجنائية. ذلك ان مفهوم الجريمة نفسه، بغض النظر عن الوسيلة التي تحولت من سلاح ناري أو أبيض إلى أزرار وبرامج وأجهزة ومواقع . وللتأكيد فإنه تم تناول موضوع الجريمة الالكترونية من الفهم الذي يربط الموضوع بأية تقنية متاحة مرتبطة بالأجرام الالكترونية وليس بالضرورة ارتباطه بالحاسوب فقط حسب ما تتناوله الكثير من الدراسات ، بمعنى أن الحاسوب لا يشكل الوسيلة الوحيدة لارتكاب الجريمة .

إن طبيعة العلوم الاجتماعية وغيرها يستدعي استحضار بعض الخطوات المنهجية كمقدمات لإطار البحث المنهجي و النظري.

الإشكالية : لقد أصبح من حق المواطن " الرقعي " التساؤل عن تفاقم أزمة أمن المعلومات والضرر اللاحق به و بالمجتمع ككل، وهو ما يفرض التساؤل بالحاح حول خطورة الموضوع . ولعل التساؤل الرئيس في إشكالية هذه الدراسة يتشكل من خلال التساؤل عن إمكانية أن تكون بعض البرامج والأجهزة تشكل دافعا قويا لارتكاب المجرمين لجرائمهم الإلكترونية ؟ وهذا ما سنسعى للإجابة عنه في هذا البحث، وفي الذهن دائما أن الجريمة الإلكترونية ظاهرة اتصال قبل أن تكون ظاهرة جرم .

تساؤلات الدراسة : يقول أرسطو: " إنه على من يرغبون في الوصول إلى الحقيقة فما عليهم إلا أن يسألوا الأسئلة الصحيحة " ولفهم إشكالية البحث تفرض بعض التساؤلات المهمة نفسها على الباحث ، حيث تعد الإجابة عنها بمثابة الإجابة عن إشكالية البحث الكبرى وهذا استعراض لبعض هذه التساؤلات:

- بعض تصاميم أجهزة الاتصال معدة خصيصا للجوسسة ولارتكاب الجرائم الالكترونية . هل ذلك صحيح ؟ وهل ما يقال عن الأجهزة ينسحب ايضا على البرامج المؤذية ؟

- بعض مواقع التواصل الاجتماعي متورطة في ارتكاب بعض الجرائم الالكترونية ؟
أسباب اختيار الموضوع :

أ- الجانب الذاتي : يعود ذلك إلى الاطلاع بشكل مباشر في هيئة تحرير موقع " أصوات الشمال " الإلكتروني والمتابعة باهتمام مزادات وتعليقات الكتاب والقراء على حد سواء، بالإضافة الى حدوث الكثير من عمليات القرصنة والسرقات الأدبية والاعتداء على الملكية الفكرية وانتحال صفة شخصيات **Identity Theft** لأناس ذووا اعتبار ومكانة اجتماعية دون إغفال عمليات الاختراق لبعض صناديق البريد الإلكتروني والقيام بمراسلات مشبوهة ، قد تفضي للكثير من الأذى والضرر .

ب- الجانب الموضوعي: لعل الإحصائيات التي ترصد خطر هذه الجرائم تكفي لتحفيز الباحثين و المهتمين بهذا الشأن ، فقد أشار الأستاذ عبد الصبور عبد القوي أن دراسة أثبتت سنة ٢٠٠٧ ، أنه كانت تقع جريمة إلكترونية واحدة كل ثلاث ٠٣ ثوان، مع تسجيل ثماني مائة وخمسين ٨٥٠ ألف حالة تخص التحرش بالأفراد . ومائتان وسبعة آلاف ٢٠٧ حالة خاصة بالسطو وسرقة الأموال، مما تسبب ذلك في خسائر مادية بلغت ثمانا وأربعين ٤٨ مليار دولار سنويا . أما في

الوطن العربي ، فقد تم تسجيل خلال السنة نفسها مائتين و سبعة عشر ٢١٧ ألف قضية قرصنة وسطو بدولة الإمارات العربية المتحدة لوحدها، مع زيادة كبيرة خلال سنة ٢٠٠٨ بلغت ثلاثا و ثلاثين ٣٣ بالمائة^١.

فرضيات البحث: من خلال تتبع موضوع البحث تم الوقوف على عديد الفرضيات التي تكون عملية تأكيدها أو نفيها تشكل الإجابة على الإشكالية المطروحة. وقد تم فرز هذه الفرضيات ثم عرضها مع التنبيه إلى أنها مختارة لتعبر عن عينة من البرامج والأجهزة والمواقع الإلكترونية.

٢-١: بعض العتاد مصمم أصلا لارتكاب الجريمة الإلكترونية.

٢-٢: بعض مواقع التواصل الاجتماعي متورطة في الجرم الإلكتروني.

منهجية البحث: "المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"^٢. والمنهج الوصفي التحليلي سيكون مناسباً لمثل هذه الدراسات، ذلك أن الأمر يتعلق بظاهرة مركبة من ظاهرتين متداخلتين ، شقها الأول بشري يتعلق بأفراد وجماعات و شقها الثاني يمثل ظاهرة تقنية بما تمثله من أجهزة وبرامج وأدوات ، وكل ذلك متداخل ومندمج في ظاهرة اتصال عامة.

يعرف كل من "باكستول وسيزار" المنهج الوصفي التحليلي بأنه : " أحد الأشكال الخاصة بجمع المعلومات عن حالة الأفراد والفردات والسلوكيات والإدراكات والمشاعر والاتجاهات " ، للحصول على معلومات كافية ودقيقة عن الموضوع محل الدراسة. ويتميز المنهج الوصفي التحليلي بالمرونة والشمولية لكثير من مناهج البحث الأخرى ، ذلك أنه لا يكتفي بوصف الظاهرة بل يتطرق أيضا إلى تحليلها وشرحها وتبع اتجاهاتها من خلال العينات الهدافية أو القصصية التي يتحدث عنها كتاب منهجية البحث العلمي^٣.

تحديد المفاهيم : إن اختيار الاصطلاح يتعين أن يزاوج بين البعدين التقني والبشري بحكم ان الظاهرة مركبة وتجمع بين ما هو تقني وما هو بشري ، وهو ما يعني " أننا أمام ظاهرة تقنية تشمل فرعين جرى بحكم التطور تقاربهما واندماجهما وهما الحوسبة والاتصال . أما الحوسبة فتقوم على استخدام وسائل التقنية لإدارة وتنظيم ومعالجة البيانات وهي مرتبطة هنا بعلمي الحساب والمنطق ، أما الاتصال فهو قائم على وسائل تقنية لنقل المعلومات بجميع دالاتها الواردة"^٤ وهو ما يعني أننا أمام ميدانين هما (الحوسبة والاتصال) بشكل صار يعبر عنه ب : تقنية المعلومات **Information Technologie**. وهذه بعض المفاتيح الاصطلاحية الواردة في البحث :

^١ عبد الصبور عبد القوي علي " الجريمة الإلكترونية والجهود الدولية للحد منها " ورقة بحث على الأترنت

http://drabdsabor.blogspot.com/2014/01/blog-post_2025.html (le : 11/09/2014)

^٢ عبد الرحمن بدوي ، "مناهج البحث العلمي" ، وكالة المطبوعات ، طبعة ثانية ١٩٧٧ ، الكويت ص ٥٥ .

EL AZZOUZI Ali, *La cybercriminalité au Maroc*, Bishops solution, Casablanca, 2010, p 17

^٣ محمد عبيدات ، محمد أبو نصار ، عقلة مبيضين : " منهجية البحث العلمي ، القواعد والمراحل والتطبيقات - " دار وائل للنشر ١٩٩٩ عمان

الأردن - ص ٢٤

^٤ عبد الصبور عبد القوي علي " الجريمة الإلكترونية والجهود الدولية للحد منها " ورقة بحث على الأترنت.

http://drabdsabor.blogspot.com/2014/01/blog-post_2025.html

*الجريمة الالكترونية : الجريمة السيبرية Cyber crime أو الجريمة المعلوماتية ،كلها مرادفات لبعضها البعض، أما مصطلح المعلوماتية فهو مشتق من كلمة المعلومات (Information)، وهي الكلمة التي شاع استخدامها منذ خمسينات القرن الماضي في مجالات مختلفة و سياقات شتى مما جعل لها في الاستعمال المتداول مفاهيم متنوعة^١. ويتميز تعريف " الجريمة المعلوماتية " بالمطاطية بحيث لم يستقر خبراء القانون والتقنية على تثبيت تعريف جامع و مانع للظاهرة، إذ كل يرى تعريفها من زاوية معينة قد تشكل جانبا من اختصاصه أو من فهمه لها . فالمعلومة لغويا : مشتقة من كلمة "علم"، ودلالاتها فيها و تدور بوجه عام حول المعرفة التي يمكن نقلها أو اكتسابها ، فقد جاء في المعجم الوسيط "أعلم فلان بالخبر: أخبره به و أعلم فلانا الأمر؛ جعله يعلمه"^٢.

وفي لسان العرب^٣ العلم نقيض الجهل و علمت الشيء أعلمه علما عرفته . وفي مختار الصحاح^٤ علم الشيء عرفه... (استعمله) الخبر (أعلمه). و قريب من ذلك إشارتها في اللغة الفرنسية إلى فحوى عمليات الاتصال التي تستهدف نقل و توصيل إشارة أو رسالة أو الإعلام عنها و اتخاذ وظيفتها في نقل المعارف، (Transfert de connaissances) . والمعلومة في اللغة الإنجليزية و الألمانية و الروسية تعني كلمة (Information) اللاتينية الدالة بحسب الأصل على شيء للإبلاغ و التوضيح ، أو على عملية " Process " أي الإبلاغ أو النقل أو التوصيل و هو نفس ما يعنيه لفظ " Xinxin " المقابل لها في اللغة الصينية^٥.

ويعرفها الباحث محمد عبید الكعبي على أنها " كل فعل غير مشروع صاد رعن إرادة أئمة يقرر له القانون عقوبة أو تدبيرا احترازيا ، و تعتمد الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الانترنت ، على المعلومة بشكل رئيسي ، و هذا الذي أدى إلى إطلاق مصطلح "الجريمة المعلوماتية" على هذا النوع من الجرائم^٦.

و تعتبر الجريمة المرتكبة عبر الانترنت من الآثار السلبية التي خلفتها التقنية العالية حيث أخذت الظاهرة الإجرامية حيزا كبيرا من الدراسات من أجل تحديد مفهومها ، مما إنجر عنه وضع عدة مصطلحات^٧ للدلالة عليها ، من بينها جرائم

١ عزة محمود أحمد خليل ، مشكلات المسؤولية المدنية في مواجهة فيروس الحاسب الآلي- دراسة مقارنة في القانون المدني و الشريعة الإسلامية ، رسالة دكتورا- مقدمة لكلية الحقوق ١٩٩٤ ص ١٨ .

٢ المعجم الوسيط.

٣ ابن منظور جمال الدين- لسان العرب- دار بيروت للطباعة و النشر ، المجلد الرابع.

٤ مختار الصحاح.

utilisé généralement * Il n'existe pas de définition universelle pour le terme cybercriminalité. Celui-ci est pour décrire l'activité cri min elle dans laquelle le système ou le réseau informatique est une partie essentielle du crime.

il est également employé pour décrire des activités criminelles traditionnelles dans les quelles les ordinateurs ou les réseaux sont utilisés pour réaliser une activité illicite. Dans le premier cas, les de l'attaque. Dans le second, elles en sont le vecteur. technologies sont la cible

٦ كحلوش علي، "جرائم الحاسوب وأساليب مواجهتها"، مجلة الشرطة، تصدر عن المديرية العامة للأمن الوطني، العدد ٨٤، جويلية ٢٠٠٠ ص ٥١

٧ عبید الكعبي، "الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الأنترنت"، دار النهضة العربية القاهرة ص ٣٢.

الحاسب، جرائم التقنية العالية، جرائم المعلوماتية*، جرائم الغش المعلوماتي وصولاً إلى جرائم الانترنت^١، وقد انقسم الفقه القانوني إلى أربعة اتجاهات مختلفة نتيجة وقد أدى الاختلاف إلى عدم الاتفاق على مصطلح موحد للدلالة عليها، مما انجر عنه عدم وضع تعريف موحد لهذه الظاهرة الإجرامية، وذلك خشية حصرها في مجال ضيق^٢. لذلك نجد أن الفقه القانوني قد انقسم إلى أربعة اتجاهات تقوم على أسس مختلفة في تعريف الجريمة المرتكبة عبر الانترنت.

أولاً: على أساس وسيلة ارتكاب الجريمة: تعتمد هذه التعريفات على وسيلة ارتكاب الجريمة، ألا وهو الحاسوب فطالما أن وسيلة ارتكاب الجريمة أو إحدى وسائل التقنية الحديثة المرتبطة به، فيعتبر الفعل من جرائم الانترنت^٣.

وهناك تعريفات انطلقت من وسيلة ارتكاب الجريمة أيضاً، من بينها تعريف الأستاذ: John Forster والأستاذ Eslid ball اللذان جاء فيه أنها: "كل فعل إجرامي يستخدم الكمبيوتر في ارتكابه كأداة رئيسية" وقد لاقت هذه التعريفات انتقادات كون تعريف الجريمة يجب أن ينصب على السلوك المكون لها وليس فقط على الوسيلة التي تم بها فيقول الأستاذ: R_FandeRson أنه: "ليس لمجرد أن الحاسب قد استخدم في جريمة ما، لنعتبرها من الجرائم المعلوماتية"^٤. والحجة التي اعتمدها منتقدو هذا التعريف مفادها أنه لا يمكن وضع تعريف لهذا النوع من الجرائم دون الرجوع إلى العمل الأساسي المكون لها^٥. أي بمعنى آخر لكي تعرف الجريمة يجب الرجوع إلى العمل الأساسي المكون لها، وليس فقط إلى الوسائل المستخدمة لتحقيقها ولا يكفي أن نعتبر مجرد استخدام الحاسب الآلي في الجريمة، لنقر أنها من جرائم الانترنت^٦.

ثانياً: على أساس توافر المعرفة بتقنية المعلومات: يستند هذا الاتجاه إلى معيار شخصي، والذي يستوجب أن يكون فاعل هذه الجرائم ملماً بتقنية المعلومات، ومن بين هذه التعريفات نجد تعريف وزارة العدل الأمريكية عام ١٩٧٩، التي عرفت جريمة الإنترنت بأن فاعلها يملك معرفة فنية بتقنية الحاسبات تمكنه من ارتكابها^٧. هذا التعريف يحصر الجريمة في سمة المعرفة بالتقنية والتمكن منها^٨، وبالنسبة للمجرم فإن اقتصر الجريمة على شخص الفاعل فقط يعد قاصراً إذ لا بد من مراعاة جوانب أخرى في تفسير وتحليل عوامل ارتكاب الجريمة، لأن توفّر عامل التمكّن من التقنية لا يكفي وحده كعنصر مقنع^٩.

4. Debray Stéphane – Internet face aux substances illicite – complice de la cybercriminalité ou outil de prévention – DESS media électronique et internet – université de Paris 2002-2003 p 08.

٢ محمد علي العريان، "الجرائم المعلوماتية"، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية ٢٠٠٤ ص ٤٣.

^٣ KURBALIJA Jovan, GELBSTEIN Eduardo, op-cit, p 99, voir CHERNAOUTI-HELI Slange, « Comment lutter contre la cybercriminalité ? revue la Science, n° 391, Mais 2010, p 24.

٤ محمد عبيد الكعبي، "الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الأنترنت"، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص 20.

٥ قارة آمال، "المعلوماتية"، رسالة لنيل درجة الماجستير في القانون، الجريمة، تخصص القانون الجنائي والعلوم الجنائية، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2002، ص 19.

٦ غازي عبد الرحمن هيان الرشيد، الحماية القانونية من جرائم المعلوماتية، الحاسب و الانترنت، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون، الجامعة الإسلامية في لبنان، كلية الحقوق، ٢٠٠٤، ص 107.

٧ محمد عبيد الكعبي، "الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الأنترنت"، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.

٨ بورزام أحمد، "جرائم المعلوماتية"، محاضرة لوكيل الجمهورية لدى محكمة باتنة، مجلس قضاء باتنة، جوان ٢٠٠٦، ص ٧.

٩ محمد الكعبي، المرجع السابق، ص ٣٤.

ثالثا : على أساس نمط السلوك : ينطلق التعريف هنا من نمط السلوك الإجرامي في حد ذاته فيعرفها الباحث **Rosenballt** أنها : " أي نمط من أنماط الجرائم المعروف في قانون العقوبات طالما كان مرتبطا بتقنية المعلومات " حسب الأستاذ **Star solrz** في حين ترى د. قشقوش أنها : " كل سلوك غير مشروع أو غير مسموح به فيما يتعلق بالمعالجة الآلية للبيانات أو نقل هذه البيانات".

رابعا : دمج التعريفات : وجاء ذلك بعد عدم الاقتناع بكفاية التعريفات السابقة للجريمة المعلوماتية التي اعتبروا أنها : هي الفعل الذي يستخدم فيه الحاسب الآلي كوسيلة أو أداة لارتكابها أو يمثل إغراء بذلك، أو جريمة يكون الحاسوب نفسه ضحيتها^١.

ونخلص أخيرا إلى أن : الجريمة الالكترونية لا ترتبط كلية بالحاسوب لوحده وإنما ترتبط أيضا بأجهزة و لواحق أخرى ، ربما تكون الكثير من التعريفات قد أغفلتها، فجريمة التجسس الصوتي عن طريق استخدام لاقط صوتي لمسافة تثبت أنها للتجسس، أو استخدام كاميرا بحجم الزر أو أية أجهزة أخرى ، قد يكشف عن ها مستقبل التقنية ، تشكل نصف الجريمة والحاسوب يشكل نصفها الآخر بعد عملية الربط والقيام بتنزيل المادة الجرمية وإتمام عملية المعالجة والإرسال . فالحاسوب قد تنفذ به بعض الجرائم إلا أنه لا تنفذ به كل الجرائم . والمؤكد أن كل العمليات المتعلقة بتحضير الجريمة من مسرح للجريمة وأدوات و نية إجرامية ومجرم ، تبقى رهينة عملية تجاوزتها أيضا التعريفات السابقة ، أو على الأقل لم تشر إليها ألا وهي عملية " الإرسال " **Transmission** في شكلها التقني والاتصال **Communication** في شكلها الإعلامي ، بمعنى أن المجرم يوقع الجريمة الإلكترونية بمجرد ضغطه على زر الإرسال حيث تنتشر الجريمة وتشيع عبر فضاء الانترنت . ولولم يقم بذلك لما كانت هناك جريمة أصلا ، لأن الأمر مرتبط في جوهره بالشيوع والذيع والانتشار.

***الهاكرز : Hackers** ، وهم محترفو الاختراق ، حيث تتميز هذه الفئة بالخبرة و المهارة العالية في مجال الحاسب الآلي . وهي أخطر فئة ، وتعتبر الفئة الأكثر ارتكابا لجرائم الحاسب الآلي بعد " الكراكرز " (**Crackers**) ومن هذه الفئة ظهر ما يسمى بالجريمة المنظمة باستخدام الحاسب الآلي بصورة غير مشروعة^٢ ، وقد اعتبرهم القانون مجرمين دخلاء تمكنوا من دخول مكان افتراضي كان من الواجب أن لا يكونوا فيه .، لكن البعض استغله تجاريا لأغراض التجسس والبعض لسرقة الأموال^٣. وهم في الغالب ثلاثة أصناف هاكرز الياقات السوداء وهم الأخطر ثم ذوي الياقات البيضاء وأخيرا الياقات الرمادية .

***المعلومة** : كغيرها من الكثير من المصطلحات لم يتم التوافق على تعريف محدد و جامع لمفهومها ؛ غير أن قانون الاتصالات السمي البصري الفرنسي الصادر في ٢٩ يوليو ١٩٨٢ أشار إلى تعريف عام للمعلومة بوصفها " زينا أو صورا أو وثائق أو بيانات أو رسائل من أي نوع " **Sons, images, documents, données ou message** " و بأنها "رسالة ما معبر

١ غازي عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

٢ يونس عرب ، " صور الجرائم الالكترونية و اتجاهات تبويبها " ، ورشة عمل تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية ، هيئة تنظيم

الاتصالات ، سلطنة عمان من ٠٢-٠٤ أبريل ٢٠٠٦ ، ص 7.

³ Chawki Mohamed ، Essai sur la notion de cybercriminalité – juillet 2006 – p 2.

عنها بشكل يجعلها قابلة للنقل أو الإبلاغ للغير^١ ويعرفها كاتالا بأنها "رمز أو مجموعة رموز تنطوي على إمكانية الإفشاء إلى معنى"^٢.

* أمن المعلومات : Data Security ، ويعرفه خبراء موقع IBM أنها تلك العملية التي تتضمن الأمن المعلوماتي و خصوصية الحماية مروراً بالتحام العنصر البشري والعملية الإجرائية والتكنولوجيا في شكل يجنبنا القوى المخربة و الأفعال غير المرغوب فيها^٣.

* الجيل الرقمي Digital Age: ويطلق عليه أيضا جيل الحاسوب والعصر الرقمي أو عصر الإعلام الجديد، وهي فترة من عمر التاريخ الإنساني^٤ وهو في مضمونه العام يعبر عن تمازج العنصر البشري بالعنصر التقني بعنصر الزمن مثلما كان عصر الصناعة في زمن الثورة الصناعية.

* الاغتراب الإلكتروني: Aliénation Electronique ، ويعرفه معجم "لاروس الفرنسي" على أنه تلك الحالة التي يفقد فيها الفرد جوهر كينونته وعقله وحياته . ومنه الاغتراب الفكري والإيديولوجي واغتراب الأوطان وهو أخطرها^٥ ، وقبله كان الاغتراب التكنولوجي . أما اليوم فلعل انعزال مدمني الانترنت والتزامهم بالصمت العائلي وعدم مشاركتهم لذويهم و أقاربهم ومجتمعاتهم وحكوماتهم أدنى نشاط ، ما هو إلا نوع من غزو الفكر الإلكتروني لساحة الفكر البشري.

* الابتزاز الإلكتروني: Internet Extorsion يعرفه القاموس الحر "freedictionary" بأنه أخذ شيء من شخص بغير رضاه^٦ ، أي أن يسخر مجرم الأنترنت طاقاته وإبداعاته لارتكاب جرم سواء تعلق به شخصا من باب الانتقام أو تعلق بأناس يدفعون له مقابل تنفيذه لما يطلبون . وهنا يتدخل الجانب التقني بحيث تشكل وسائل الاتصال الحديثة من حاسوب وبرامج وشبكات، أدوات تنفيذ للجريمة الإلكترونية .

* مرتزقة الأنترنت Internet Mercenaries: هم مجرمو الأنترنت ومخترقو المواقع الإلكترونية وممارسو الابتزاز، للاستزاق والريخ أو تحقيقا لما يسمى بالسادية الإلكترونية، ويعتبر الروسي " ستار سبيلباوند " الملقب بالقناص الروسي الشهير " فاسيلي ، من أخطر القراصنة المبتزين. ففي نفس الوقت وبمجرد لمسة أصابعه على لوحة المفاتيح ، يستطيع توقيف ٥٠٠٠٠ ألف كمبيوتر^٧.

* السادية الإلكترونية : Electronic Sadisme ، ويقصد بها ذلك السلوك المنتهج من قبل مجرمي الانترنت لتعذيب وإلحاق الأذى النفسي والمعنوي بالضحية والأكثر من ذلك التلذذ بذلك الأذى الذي تستخدم فيه التقنية الحديثة .

إن الجريمة الإلكترونية هي كل سلوك بشري منحرف ارتبط في مراحل تنفيذه بالتقنية الحديثة محولا إياها من مسارها الإيجابي إلى مسارها السلبي، وبشكل يلحق فيه المجرم ضررا ماديا ومعنويا بغيره وبنفسه هـ والجريمة الإلكترونية بهذا المعنى لا تنحصر في ارتباطها بالحاسوب فحسب ، بل بارتباطها بكل ما أنتجته التقنية من وسائل وأدوات وأجهزة.

^١ هدى قشوش ، " جرائم الحاسب الإلكتروني في التشريع المقارن- "، الطبعة الأولى دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٢ ص ١٥

^٢ Pierre Catala « la propriété de l'information » Cité par . F.Toubal .le logiciel- analyse juridique FUDUL .L.G.D.J.1986 P 126-127 http://drabdsabor.blogspot.com/2014/01/blog-post_2025.html.

^٣ <http://www-01.ibm.com/software/data/security-privacy>

^٤ عقاب محمد ، " مجتمع الإعلام و المعلومات ، ماهيته و خصائصه- " دار هومة ، الجزائر ٢٠٠٧ ص ٧٩-٨٠ .

^٥ JEAN DUBOIS- .LAROUSSE . LIBRAIRIE LAROUSSE.1987.P34

^٦ <http://fr.thefreedictionary.com/extorsion>

^٧ <http://www.spiegel.de/international/world/under-fire-from-internet-mercenary-russian-hackers-target-political-opposition-a-497841.htm> (le : 07/09/2014)

وقد تمت محاولة الإجابة على سؤال الإشكالية الرئيس انطلاقا من فرضيتين اثنتين كانت أولاها أن الجريمة تحدث نتيجة توفر برامج مؤذية **Malicious Software** تحفز على الجريمة وتدفع إلى ارتكابها . وثانها أن الجريمة الالكترونية ترتكب نتيجة لما توفره السوق الالكترونية "غير المراقبة" ، من عتاد وتجهيزات و لواحق ، بعضها مغشوش لأغراض مشبوهة و الآخر لعيوب تعتري عملية التصنيع .

و من خ لال تثبتت اختيار البحث، بدا واضحا مجتمع البحث، ألا وهو فئة مجرمي المعلوماتية من جهة، وفئة ضحاياهم من جهة أخرى . ولذلك أعددنا، بحرص، صحيفة استبيان شملت الفئتين . ولقد قمنا قدر المستطاع، من خلال التواصل بمواقع التواصل الاجتماعي، وبالتقرب ممن لمسنا فهم مم ارستهم لهذا النوع من الجرائم، وأرسلنا إليهم ورقة الاستبيان، كما حاولنا الاتصال ببعض ضحايا الجرم الابتزاز الإلكتروني لكننا لم نتلق أية إجابة ، لا من المجرمين و لا من الضحايا ، رغم أن بعض الضحايا واقعيون وليسوا افتراضيين ، وهو الأمر الذي حرمانا من التعمق في هذه الدراسة بالشكل المطلوب والمرغوب ، ولكن ذلك لم يمنعا من محاولة تقديم الإجابة على سؤال البحث

يتناول هذا الجزء من البحث جانبا تطبيقيا حيث تمت محاولة الاجابة عن سؤال البحث ، والتي تنطلق من السعي لإثبات أو نفي أن الجريمة الالكترونية تحدث نتيجة عيوب و ثغرات ما ناتجة عن أخطاء وهفوات في عمليات البرمجة . **Programation** أو التصنيع للعتاد **Hardware**. و ما يقال عن العتاد والأجهزة ينسحب أيضا على البرامج **Software** والبرمجيات. والآن يتوجب مناقشة كل ذلك بسرد مجموعة من النماذج والتي تمت تجربة وتطبيق البع ض منها في الميدان.

إن ما أطلعنا عليه من أجهزة يمثل تشكيلة كبيرة غير متوقفة عن الزيادة في العدد وغير متوقفة أيضا عن الضرر اللاحق الذي تتسبب فيه ، والمعبر بالفعل عن الجرم الإلكتروني . وإن محاولة استعراض بعض النماذج ، وهي كثيرة ومتوفرة في الواقع والافتراض ، في سوق المواقع التقنية كبرامج وتطبيقات وفي سوق الأجهزة والعتاد في أسواق ومحلات التقنية

المبحث ١: الجريمة الالكترونية نتاج عتاد مغشوش :

لا تتم الجريمة الافتراضية بالبرامج ولا بالدوافع النفسية والاجتماعية فقط، إنما تتم كذلك بوجود أجهزة وعتاد **Hardware** به عيوب في التصنيع أو مصمم أصلا، وأحيانا باعتراف الشركات المصنعة، للتجسس ولارتكاب الجرائم الإلكترونية، ومن هذا العتاد:

المطلب ١: وصلة جوسسة لتخزين المعلومات :

وهي وصلة ربط الكترونية يتم تركيبها بين المخز **fiche** الخاص بلوحة المفاتيح في الوحدة المركزية وكابل لوحة التحكم ، ومهمة هذه الوصلة الالكترونية تسجيل وتخزين كل ما كتب على لوحة المفاتيح ، حيث تستخدم للتجسس على بيانات بطاقات الائتمان والكلمات السرية ومفاتيح الملفات المشفرة، وتتم هذه العملية غالبا في مقاهي الانترنت او خدمات الحاسوب العمومية ، حيث لا ينتبه إليها معظم المستخدمين .



ويستغل صاحب المقهى خروج الضحية لينزع تلك الوصلة ويستخرج منها ما شاء من المعلومات الهامة المسجلة ، خاصة تلك المتعلقة بأرقام حسابات بنكية ومصارف إلكترونية و بطاقات ائتمان . ولذلك ينصح خبراء التقنية مستخدمي مقاهي الأنترنت بتفقد الحاسوب من الخلف قبل الاستخدام للتأكد من عدم وجود هذه الوصلة الخطيرة .

المطلب ٢: جهاز التصنت عن بعد :

وهو جهاز حساس له القدرة على التقاط الصوت ، الذي يوجه نحو مصدره على أكثر من خمسين مترا ويستقبل الصوت بشكل فائق النقاء ، وهو في الحقيقة منتج غير خاضع لرقابة الدولة في بلد المنشأ



وهي عادة ما تكون الصين وتايوان وتايلاند وبعض بلدان اوربا الشرقية سابقا، ومما يلاحظ أنه وصل إلى الجزائر لكنه اختفى من الأسواق بعد مدة قليلة في سنوات ٢٠٠٨-٢٠٠٩ . وهو جهاز خطير يكشف خصوصيات الأشخاص ويخلق فتنا كثيرة بين أفراد المجتمع².

إلا أن التطور التقني زود السوق الإلكترونية بأجهزة أخطر من خلال التقاطها للصوت من مسافات بعيدة وبتقنيات عالية. والتصنت لمعرفة وكشف خصوصية الأفراد مدان في قانوننا، ذلك أن الأمر لا يتوقف عند حد الاحتفاظ بتلك البيانات وإنما يتجاوزها إلى حد ممارسة الابتزاز والاستخدام غير البريء لتلك البيانات والمعلومات. (مجرب)

المطلب ٣: جهاز تقليد الصوت البشري:



يستخدم تكنولوجيا صوت متطورة جدا لمحاكاة وتقليد أي صوت، والجهاز مزود بعدة خيارات لتغيير الصوت، إلى الصوت الذي نرغب في تقليده وبعده مستويات والتحكم فيه حسب الرغبة. والمفاجأة الكبرى أن الجهاز يمكنه تقليد صوت أي شخص. فقط نقوم بتوصيل الجهاز بالهاتف الجوال أو الهاتف العادي ونجري اتصالا بالشخص الذي نريد تقليد صوته لمدة

نصف ساعة كاملة حتى ولو كانت علي فترات متفرقة، إذ لا يشترط أن تكون النص ف ساعة في نفس المكالمات . وبالإمكان وضع جهاز التسجيل في مكان مخفي والجلوس مع الشخص الذي نريد تقليد صوته، حيث يقوم الجهاز بالمثل بتسجيل الصوت وإتاحة إمكانية تقليده إلى درجة أنه لو اتصل ذلك الجهاز بعائلة الضحية او بصديقه وتكلم لما عرف أي منهم

بحقيقة الأمر ولاعتبروا أن الضحية تحدث معهم بالفعل. ولا فرق بين محاكاة صوت رجل أو امرأة أو طفل ويعتبر الجهاز أقوى وأحدث تكنولوجيا الصوتيات الأمريكية. والملاحظ أن الشركة المسوقة تقدم سماعة تغيير الصوت كهدية مجانية في حالة شراء هذا الجهاز^١.

والجريمة هنا تكمن في الاستخدام السيئ للتكنولوجيا ، فلو وجدنا هذا الجهاز في حوزة فرقة مسرحية أو مؤسسة إنتاج إعلامي أو ما شابه فإن الأمر سيكون عاديا، لكن الجريمة حينما يقع الجهاز في يد مجرمين يستغلونه بسوء، ولنتخيل مجرما قلد بهذا الجهاز صوت شخص ما ثم قام بالاتصال عبر الهاتف بأهل الضحية طالباً أن يرسلوا له مبلغاً مالياً مع شخص أرسله إليهم لتسلم المبلغ الذي هو في حاجة ماسة إليه أو تسليمه مفاتيح السيارة القابعة في المستودع ، أو تسليمه سلعة ما من المخزن.

ولنتصور أيضاً أن يطرق شخص ما باب منزل ما عبر جرس الباب الأوتوماتيكي "Interphone" وبصوت صاحب البيت أو حتى أحد الأقارب المحاكى صوته. الأكيد أن أي شخص داخل البيت سيمرّع إلى فتح الباب والنتيجة أن يعثب المجرمون واللصوص في بيت الضحية. والنتيجة جريمة إلكترونية مكتملة الأركان.

المطلب ٤: CreepyDOL جهاز تجسس ثلاثي الأبعاد:

أنظمة التجسس هي الأكثر استفادة من التقدم التكنولوجي الحاصل ، وقد استفادت أجهزة المخابرات كثيراً من هذا الجهاز ، الذي اخترعه الطالب بكلية الحقوق Brendan O'connor ، حيث أنفق عليه بضع دولارات ليستطيع بعد ذلك مراقبة حي بأكمله أو أي مكان يريد ليقوم باستخلاص جميع المعلومات والبيانات عنه . إذ قام باختراع نظام خطير للتجسس أسماه CreepyDOL وتعني "Distributed Object Locator Creepy" ، معتمداً في بنائه على بعض الصناديق



البلاستيكية الصغيرة وبعض أجهزة الاستشعار بما في ذلك الـ Wi-Fi adapters ثم مجموعة من حواسيب Raspberry Pi الصغيرة الحجم التي تعمل بنظام لينكس ولا تكلف كل واحدة منها أكثر من ستين ٦٠ دولاراً^٢.

يتمثل Creepy DOL في كونه نظام للتجسس يتم تركيبه من مجموعة من الصناديق الموصولة إلى وحدة تحكم للقيادة والسيطرة ، حيث طور الباحث الأمني المذكور نظام لتصوير البيانات إذ يقوم برصد ما تلتقطه أجهزة الاستشعار من حركة المرور اللاسلكية المنبعثة من كل جهاز لاسلكي في مناطق قريبة بما في ذلك الهواتف الذكية ثم يقوم بتجسيدها على خريطة ثلاثية

الأبعاد. وقد قام بإنتاج عشر ١٠ نسخ من هذه العلب وفكر في استخدامها على نفسه ففوجئ بقدرتها الكبيرة على التقاط كم كبير من المعلومات ، ويشمل ذلك بيانات التصفح، المكالمات، كلمات السر، الرسائل، وغيرها. ثم يقوم النظام بتجميع كل هذه البيانات وتشفيرها ثم إرسالها له من خلال خدمة tor .

بعد ذلك يبدأ نظام تصوير البيانات في إنشاء ملفات شخصية "بروفائلات" للأشخاص الذين تمت مراقبتهم ثم يضع ذلك على خريطة ثلاثية الأبعاد تبين وجوههم الحقيقية وهوياتهم ثم أماكنهم وت حركاتهم مع الوقت . وبهذا فإنه يشكل

^١ : (http://www.XshopX.net) (03/09/2014)

^٢ http://www.th3professional.com

نظام تجسس خطير لا يمكن الإفلات منه، فتصور أنه يمكنك التجسس على الجميع فقط بوضع صناديق الاستشعار الصغيرة في كل مكان، المقاهي، الشوارع، البنائات المهمة، دون أن يهتم بها أحد ويمكن كذلك أن تساعد في كشف هوية وجمع بيانات القمجهرين في مظاهرة مثلا. وقد استخدمت مؤخرا في منظومة الطائرات بدون طيار التجسسية. والجريمة هاهنا تتجسد في كونها لا تكتفي بتقديم الصور و الفيديو بل يجسدها هذا الجهاز المعد و المستخدم للتجسس وعرض ذلك المحتوى حتى بتقنية البعد الثالث.

المطلب ٥: كاميرا مجهرية للتجسس :



ماذا ننتظر من كاميرا بحجم زر المعطف غير التجسس على الناس، وماذا ننتظر من كاميرا مثبتة على سوار يوضع في المعصم وهو عبارة عن كاميرا بدون مصور مثلما هي طائرة بدون طيار، حيث تقوم بتصوير الأمكنة الضيقة والعالية والصعب الوصول إليها . و إذا كانت هذه الكاميرات المتناهية الدقة والحجم قد تستخدم في الكثير من الأمور العلمية والاستكشافية فإن الاستخدام السيئ

للتكنولوجيا يحولها عن مجرى ما صنعت لأجله لتستخدم في أمور التجسس و ارتكاب الجرائم الإلكترونية التي لولاها لما تم ارتكاب الكثير من هذا الجرم . وفي هذا الإطار قدم أحد الباحثين في جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية مشروع رائد لطائرة من دون طيار على شكل سوار ذكي و تقوم بالتقاط صور السيلفي.

المشروع الجديد ويدعى " Dixie " هو أحد المشاريع التي وصلت إلى نهاية مسابقة (Make It Wearable) و التي تنظمها



شركة (إنتل Intel) و هدفها تنمية المشاريع الخاصة بالحوسبة القابلة للارتداء، وصاحب الفكرة هو (Christopher Kohstall)

الباحث في جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية . مشروع الطائرة من دون طيار Nixie تعمل كسوار ذكي مزودة بكاميرا حيث تلف حول المعصم ثم تقوم بالانطلاق لأخذ صور "سيلفي" للمستخدمين خصوصا أولئك الذين يمارسون رياضات تتطلب حركة ومجهود كبيرين . 1. وتتجسد الجريمة الإلكترونية هنا أيضا في الاستخدام السيئ، حيث يحول مسار هذه الكاميرا إلى مسار آخر قد تكشف فيه حرمان الناس من فوق سطوح الغزل .

١ - المطلب ٦: أجهزة الروتر الرخيصة و الخطر الأمني :

يكمن خطر الروتر الويفي منخفض الثمن في كونها تساهم بشكل كبير في توسيع رقعة انتشار برمجيات البوت نت Botnet حيث أن هذه الأجهزة تشكل شبكات فيما بينها تضم عشرات الحواسيب المخترقة . وهو خطر أمني كبير حسبما ذكره الخبير الأمني Dan Geer في فعاليات مؤتمر القبعات السوداء الخاص بأمن المعلومات . ويكمن الخطر الحقيقي عند تدخل " الهاكرز " في العملية حيث يقوم هؤلاء بالبحث عن إصدارات معينة من أجهزة " الروتر " انطلاقا من إمضاءها الرقمي حيث يتم تكوين " بوت نت " خاص بمجموعة الإصدارات المختارة و يرسل إلى الضحايا وهو الأمر، الذي يتيح التحكم بآلاف الأجهزة في ظرف وجيز، والمشكلة هي أن ذلك لا يهدد الأشخاص فقط بل يتجاوزهم حتى إلى الشبكات الموزعة لاتصالات الأنترنت، لهذا ينصح باختيار أجهزة " الروتر " من الشركات الرائدة في مجال الشبكات مثل شركة

ليكسيس أو سيسكو المعروفتين .و المعروف أن المنافسة بين شركات التصنيع وصلت إلى مستويات عليا من الغش الصناعي وهذا لترويج منتجاتها وذلك بتخفيض الأسعار و التلاعب بها . و تتكرس الجريمة من طرف هذه الشركات في كونها تعلم مضار منتجها المغشوش و خطورته و ضعف جودته ، ولكنها تصر على ترويجه . و لمعرفة ما اذا كان الجهاز جزء من " البوت نت " تظهر علامات و اشارات تدل على ذلك منها :

- التوقف المفاجئ لنظام التشغيل.

- الاصابة المفاجئة بنوع من البرمجيات الخبيثة.

- ملاحظة ان الجهاز اصبح بطيئا كثيرا و على غير المعتاد

- أن الأضواء على المودم تشير إلى نشاط عند عدم الاتصال بإنترنت.

٢ - المطلوب ٧" مفتاح الـ USB المخترق و المعطل للحاسوب :

لا أحد فينا يستطيع الاستغناء عن الـ : USB فحتى أولئك الذين لا يملكون حواسيب تجد بحوزتهم هذه الأداة، و التي



تستخدم لتسجيل المعلومات و تخزينها لاستخدامها وقت

الحاجة، لكن الغريب أن تكتشف ثغرة أمنية خطيرة ذلك أنها

تعرضك للاختراق مهما ثبتت أنظمة الحماية و برامج الصد، و

المشكلة أن الأمر لا يتعلق بالجهة اذ في حد ذاته بل في الطريقة التي

تعمل بها هذه الأجهزة. و تمكن الباحثان الألمان Karsten Nohl و

Jakob Lell من اكتشاف أخطر ثغرة أمنية في الـ : USB بواسطة

تقنية الهندسة العكسية على الـ : firmware التي تتحكم

في وظائف الاتصال الأساسية في الـ : USB (هو النظام الأساسي الذي

تشغل به كل أل : USB) و قد تمكن الباحثان من إنشاء (برنامج

خبيث) Malware باسم "Bad USB" يستغل هذه الثغرة و أمكن من خلاله اختراق أي جهاز تم وصله بـ USB ، حيث من المستحيل على البرامج المضادة للفيروسات من تحديده ، و حتى أكثر خبراء الأمن المعلوماتي حرفية لا يمكنه ذلك لأن الأمر شبه مستحيل و قد أكدت مجلة " wired "

لتقنية ، أنه يمكن لـ : USB أن تصيب الجهاز كما يمكن للحاسوب الذي يحتوي على هذا البرنامج أن يصيب كل USB يتم وصلها إليه . وأكد بعض الخبراء أنه يمكن استغلال هذه الثغرة على محركات الأقراص و الفأرة ثم "الكي بورد " وأكد بعض الخبراء أنه يمكن استغلال هذه الثغرة على محركات الأقراص و الفأرة ثم "الكي بورد " و أجهزة "الأندرويد " كذلك. في حين يبقى الحل الوحيد المقترح هو تغيير طريقة عمل الـ : USB بمختلف أنواعها، لذلك لا شيء يحميك من اختراق جهازك في حال الكشف عن تفاصيل هذه الثغرة.

المبحث الثاني: مواقع التواصل الاجتماعي و التلاعب ببيانات المستخدمين:

هل من الممكن القول أن مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك و تويتر و جوجل و غيرها ، و هي مواقع رسمية كنا نعتقد أنه موثوق بها، تسقط أيضا في حبال الجرائم الالك ترونية ؟ الجواب نعم و هناك الكثير من الأدلة الثابتة، نعم تستطيع هذه المواقع الكبيرة في نظرنا و غيرها من التجسس على بيانات زبائنها و حتى بيعها لجهات قد لا نعرفها، كما أنها قد تدخل في صفقات تجارية مشبوهة مع شركات الإعلان و الإشهار العالمية. و المثالين التاليين يؤكدان ذلك .

المطلب ١: تجسس الفايسبوك على الرسائل النصية للمستخدمين :

الكل يعلم أن " الفايسبوك " تملك صلاحية الولوج إلى الكاميرا من أجل التقاط الصور وإرسالها لزمائها ، كما تحتاج إلى GPS لتحديد المكان، وكذلك الوصول إلى الميكروفون من أجل تسجيل الرسائل الصوتية . كذلك الوصول إلى جهات الاتصال من أجل الاتصال وإرسال دعوات صداقة للأصدقاء من خلال أرقامهم الهاتفية... وهذا كله عادي نظرا لضرورة تنفيذ تلك المطالب التقنية . لكن الذي لا يستطيع أحد قبوله هو تمكن الفايسبوك لنفسه من الولوج إلى " الرسائل النصية " Messages للزبائن وتطبيق Face book Messenger وقراءة الرسائل النصية القصيرة دون الحاجة إلى ذلك ، ولما سئلت إدارة الفايسبوك مؤخرا على ذلك حاولت تقديم إجابة غير مقنعة على سؤال في صفحة المساعدة كان كالتالي :

on my Android phone or Why is the Messenger app requesting permission to Access features

Tablet ؟ .

وكان جواب الفايسبوك أن التطبيق يطلب منك الوصول إلى رسائل النصية القصيرة SMS لأن التطبيق يحتاج أن يقوم بإرسال "كود التفعيل" إلى الرقم الهاتفي الذي أضفته في حسابك على Face book Messenger . لهذا فإن الفايسبوك تحتاج للوصول إلى علبة الرسائل النصية القصيرة من أجل التفعيل ولا شيء غير ذلك . وهذا الجواب غير مقنع ، حسب رأي التقنيين ، و هو استهزاء بذكاء المستخدمين مادام أن إرسال رسائل تأكيد الرقم الهاتفي ليس له أية علاقة مع تجسس الفايسبوك على علبة الرسائل النصية القصيرة .

لهذا يفضل عدم استخدام هذا التطبيق دون تثبيت Face book Messenger والاكتفاء بتصفح الفيسبوك

Face book من خلال تطبيقه لأجهزة "الأندرويد". ولما حدث ذلك في محاولة لتجنب المستخدمين لعملية التجسس لجأت الفايسبوك إلى إلزام مستخدمي " الأندرويد " على ضرورة استخدام هذا التطبيق حيث لا تستطيع الدردشة على هاتفك " أندرويد " إلا بعد تثبيت هذا التطبيق ، حتى يجمع الفايسبوك أكبر كم من المعلومات وبيعها للمعلنين أو تقديمها لجهات أخرى لا نعرف عنها شيئا .

إذا نحن لسنا أمام جريمة يرتكبها شخص أو جريمة ترتكبها شركة مصنعة ، بل كذلك هناك مواقع عالمية سقطت في ظاهرة الجريمة الالكترونية . و خطورة ذلك كبيرة ، لكون الأمر يتجاوز جريمة فردية معزولة يقتربها مجرم وتسقط فيها ضحية واحدة وحجم ضررها يبقى دائما محدودا ، بل إننا أمام جريمة يعد ضحاياها بالملايين من مختلف أنحاء العالم ، وهو الأمر الذي يحقق ما يسمى بعولمة الإجرام الالكتروني .

المطلب ٢: تطبيق فيروس dleihS suriV الوهمي على جوجل بلاي Google Play

dleihS suriV: نوع من البرامج المزيفة المزعم أنه مضاد للفيروسات والخاص بحماية الأجهزة والهواتف أطلقه أحد التقنيين النصابين مستغلا موقع جوجل " Google play " الرسمي ، ليخدع عشرات الآلاف ، ويستولي على ملايين الدولارات. والنصب والاحتيال التقني جريمة إلكترونية مكتملة الأركان ، والمعروف أن تطبيقات الحماية والأمان هي التطبيقات الأكثر تحميلا في "جوجل بلاي" وغيرها من المتاجر الأخرى . لهذا السبب استغل أحد المطورين نقطة الضعف هذه وأطلق تطبيقه المزيف ، حيث صار في ظرف أسبوع من أعلى التطبيقات تحميلا؟

¹ .Site Facebook.com -section Aide (le : 11/09/2014)

وتم الترويج له بقيمته التي لا تتجاوز أربعة .٤ دولارات، ودون رسم اشتراك شهري، كما أنه لا يتطلب سوى واحد ١ . ميقايبت كمساحة، ودون أي أذى للبطارية . وكل هذه المواصفات كفيلة بأن تجعل المستخدم يهرول إلى اقتناء هذا التطبيق. وهذا ما حصل بالفعل مع تطبيق **dleihS suriV**، والذي خدع المستخدمين لدفعهم ٤ أربعة دولارات على لوجو ونافذة منبثقة تحمل نفس "اللغو"، وهي نافذة تظهر حيننا معطلة وأخرى تؤثر على نهاية المسح لكن دون حصول المبتغى. التطبيق حطم رقم عشرة ١٠،٠٠٠ تحميل في أكثر من أسبوع واحد فقط، وحصل على تقييم ٤.٧ نجمة.

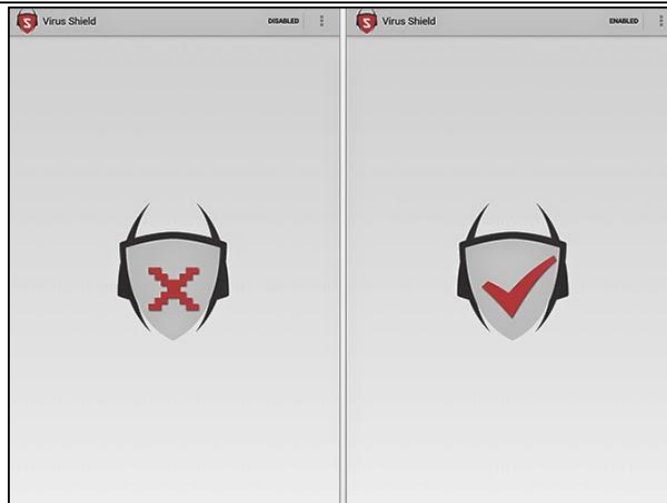
الغريب أن تعليقات المشترين كانت إيجابية جدا، ولكن بعدما ظهر الزيف فإن تلك التعليقات كانت أيضا مزيفة، وأن هذه العملية الاحتيالية قامت بها مجموعة أشخاص وليس فقط شخص واحد.

Google play تتحمل المسؤولية بحكم ثقة الزبائن فيها وكذلك الزبون عليه جزء من المسؤولية ويبقى الحل الوحيد المزيد من عمليات المراقبة والتنظيف لمثل هذه البرامج والتطبيقات التي هي جرائم في حق المستخدمين بأي شكل من الأشكال^١. و الصور التالية تبين ذلك :

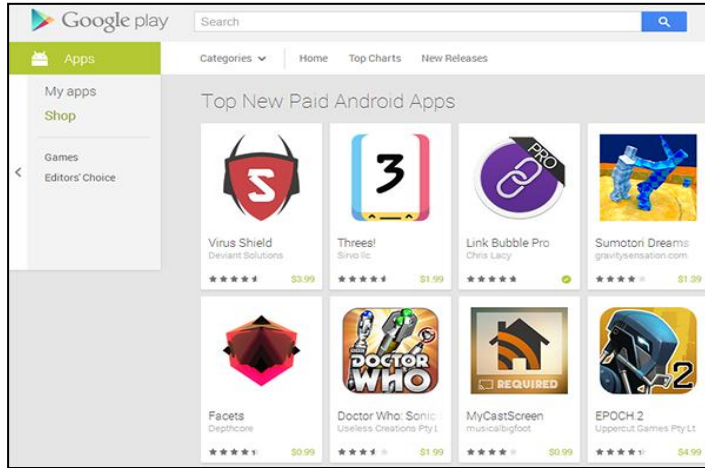
الشكل ١ : توفر البرنامج على جوجل بلاي



الشكل ٢ : سريان التطبيق مرة و عدم سريانه مرة أخرى



الشكل ٣: توفر التطبيق على جوجل بلاي



الشكل ٤: تعليقات القراء المزيفة



التطبيق تم مسحه من متجر جوجل بعد الإبلاغ عنه من قبل

المطلب ٤ : مناقشة النتائج:

المجرم المعلوماتي لا عنوان قار لجريمته ،فهو يبحث دوما عن الثغرات الأمنية ، سواء في البرامج أو في العتاد وفي اللواحق الالكترونية الأخرى ، وهو ما يعني أن المجرم حينما لا يجد البرنامج الملائم لارتكاب جريمته يلجأ إلى البحث عن الثغرة في تصاميم العتاد ، والتي يخترق فيها النظام بشكليه ككيان مادي متمثل في مكونات الحاسوب و لواحقه وككيان معنوي متمثل في البرامج والبيانات والمعطيات.

والعتاد نوعان : نوع يحوي عيوباً غير مقصودة في التصميم تخفي وراءها بعض الثغرات التي يتسلل منها " الهاكرز " و نوع آخر مصمم أصلاً لارتكاب مثل هذه الجرائم وإلا كيف يفسر توفر كاميرات بحجم زر قميص أو معطف وتباع لعامة الناس ، وكيف نفسر وجود هواتف محمولة معدة أصلاً للتجسس ، حتى وإن كان روبرت سنودن الجاسوس المنشق عن

أل: "سي أي إي" يذكر أن هذه الأخيرة تتجسس على العالم من خلال كل الهواتف ، وبغض النظر عن كونها مصممة للتجسس أولا ، وكل ذلك يفضي إلى أنه لو كانت مثل هذه المقتنيات مصممة بشكل يغطي استخدامات أجهزة الأمن والمخابرات، لنظر إلى الأمر على أنه أمر عادي وداخلى فى نطاق الاستخدامات الأمنية، لكن أن يتجسس الكل على الكل فهذا الذى لا يقبل.

وبذلك يُضرب المستخدم فى أبسط خصوصياته وأسرار حياته الشخصية، وهو أمر يتجاوز حدود انفتاح العالم على بعضه إلى درجة مفسدة الحياة . ودليل ذلك عمليات الطلاق البائن التى تحدث بعد انكشاف مستور حفلات الأعراس بسبب كاميرات الهواتف النقالة غير المسؤولة وغيرها فى المجتمعات المحافظة.

لنناقش الآن نتيجة الفرضية الأولى، والتي مفادها أن العتاد المصمم أصلا لارتكاب الجرائم المعلوماتية (كاميرات التجسس المجهريّة) أو الذى تشوبه عيوب صناعية (أجهزة الروتر الرخيصة)، يؤدى ويساعد أيضا فى ارتكاب الجريمة ، لنصل إلى نتيجة وهي أن توفر العتاد "Hardware" يؤدى بالفعل إلى ارتكاب مثل هذه الجرائم انطلاقا من:

- أولا: أن ذلك العتاد المشبوه ما كان لينتج وليستمر تصنيعه وبيعه لولا وجود حد أدنى من الرواج، وبالتالى على الأقل، حد أدنى من الاستخدام ولو من طرف مجرمي المعلوماتية فقط . ومهما يكن عدد مقتني هذا العتاد فإنه رقم كبير، بحكم أن الأمر لا يتعلق بالسوق الوطنية لكل دولة، بل الأمر متعلق بالسوق العالمية التى توفر أعدادا كبيرة من الذين يقتنون هذه الأجهزة. خاصة وأن إحصائيات تتحدث عن ملايين من مستخدمي الانترنت والحاسوب فى العالم . و الجدول التالى يبين حجم استخدام الانترنت.

مستخدمو الانترنت على المستوى العالمى:

البلد / القارة	عدد مستخدمي الانترنت
حول العالم	٢.٤ مليار
آسيا	1.100 مليون
أوروبا	519 مليون
أفريقيا	167 مليون
أمريكا	529 مليون
أوقيانوسيا وأستراليا	24.3 مليون
الصين	565 مليون

- ثانيا : أن هذه الأجهزة متوفرة بالفعل فى السوق، خاصة فى الدول النامية ، التى تعاني من ضعف وقصور كبير فى أنظمة الرقابة على الاستيراد، دون مناقشة منظومة التشريعات التى تحدد وتصنف وتنظم سوق هذا العتاد . وقد كشفت دراسة بعنوان "ضعف الرقابة ورخص الثمن وراء انتشارا لسلع المقلدة" صدرت عن الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، واختصت بواقع المستهلك ووعيه تجاه السلع المقلدة والمغشوشة، حيث جاء فيها أن حالات الغش التى تم كشفها على المستوى العالمى بلغت أكثر من تسعة ٠٩ آلاف حالة، تصل مضبوطاتها لأكثر من مليارى وحدة تفوق

^١ - " تقرير منظمة الأمم المتحدة للعام ٢٠١٣ حول استخدامات الانترنت ."

قيمتها ٧,٥ تريليون دولار ، وذلك في عام ٢٠٠٤ م فقط، وقد خلصت الدراسة إلى أن ضعف الرقابة على تداول السلع يعد سببا أساسيا في انتشار السلع المقلدة والمغشوشة^١.

- ثالثا : لقد تم بالفعل استخدام هذا العتاد المصمم أصلا للجوسسة ولقد تم استخدام كاميرات مجهريه نقلت الكثير من خفايا الجرائم والتصفيات الجسدية و عمليات الاستنطاق و التعذيب في سوريا و العراق و مصر و في كثير من البلدان الأخرى. حيث أصبحت تلك الصور المسربة مادة إعلامية تبني عليها الكثير من المواقف السياسية . إن الحاجة على تحقق نتائج للفرضيات السابقة تكاد تكون منقوصة و قاصرة . ذلك أن النتائج المحصلة تثبت بالفعل وجود و فرة **Disponibility** برامج يؤدي استخدامها لارتكاب الجرائم المعلوماتية، و نتيجة الفرضية تثبت أيضا و فرة العتاد و الأجهزة بمختلف أنواعها. و أن عملية إثبات الوجود و الوفرة للبرامج و العتاد لا يجيب على التساؤلات المطروحة بشكل كامل و مستوفي، ذلك أن الأمر يتجاوز مجرد إثبات الوجود لتلك البرامج و الأجهزة، ليصل إلى تأكيد و إثبات عملية الاستخدام لتلك البرامج و ذلك العتاد ارتكاب ما يسمى بالجريمة الالكترونية.

قبل مناقشة ذلك يجب التأكيد على أن فرضية وجود و وفرة الأجهزة المصممة عن قصد لارتكاب الجريمة الالكترونية أو تلك التي تعتبرها عيوب في التصنيع موجودة بالفعل في السوق الافتراضية " أي سوق التقنية الواقعي كعتاد و أجهزة مختلفة و ملحقات الكترونية " **Materials and Accessories** ". و حتى برامج مؤذية ، سيتم تناول موضوعها في بحث آخر إذ لم يتسن تناول كل ذلك في هذه الورقة البحثية . و تنتشر هذه الظواهر بشكل خاص في دول أوروبا الشرقية كأوكرانيا و روسيا و رومانيا.

و لقد تم على هذا الأساس تصنيف مجرمي هذا النوع من الاتجار حسب نشاطاتهم وفق الجدول الآتي^٢:

النشاط الإجرامي	أصناف المجرمين
يد عاملة تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و ٢٠ سنة	*Script Kiddies ^٣
محولو المال الافتراضي إلى مال حقيقي	Drops
وسطاء و مؤجرو الحسابات لمجرمي المعلوماتية	Mules
مخترقو الشبكات . ملحقو الضرر(الياقات السوداء)	Crackers (black hats)
قراصنة المعلوماتية و منتسبو الجريمة المنظمة	Hackers
طلبة و إطارات معلوماتية لمضاعفة مداخلهم	Spammers

إن وضع هذا التقسيم لأصناف مروجي البرامج المؤذية و الأجهزة المغشوشة ، و تخصص كل فئة بنوع من الترويج ، و بالتالي نوع من الاتجار في أدوات ارتكاب الجريمة ، لا يعني، من الناحية المنطقية، سوى البيع و البحث عن هامش من الربح ، خاصة و أن الأسعار محددة و البرامج المؤذية و الأجهزة معروفة ، و حتى الغرض من استخدامها معروف ، و هو ارتكاب جرائم إلكترونية مع سبق الإصرار و التردد . و المرجح أن وجود سوق قائم بذاته للبرامج و البرمجيات المؤذية ، دون إغارة الاهتمام لهذه السوق في منطقة دون غيرها ، و وجود سماسرة و تجار و معايير تنافسية تحكم هذه السوق

^١ (le : 11/09/2014) <http://www.alyaum.com/article/2527834> مركز رعاية المستهلك السعودية، دراسة – ٢٠٠٤

^٢ Ibid.p.13.

* SCRIPT KIDDIES :est un jeune adolescent, pénétrant par effraction dans un système, après avoir étudié/lu dans des livres ou sur Internet quelques documentations de base sur le sujet de la sécurité informatique. Le script kiddie n'a aucune notion de l'éthique d'un hacker, il agit par vantardise auprès de ses copains, il n'est pas rare par exemple qu'il demande à "pirater un compte de messagerie instantanée".

، يؤكد الاستخدام الكبير لهذه المنتجات التي لا أحد يشك في استخدامها مثل باقي السلع والمنتجات التي تروج في الأسواق هذا من جهة .

من جهة أخرى نحاول البرهنة على إثبات : هل أن المجرمين الافتراضيين يستعملون بالفعل البرامج والأجهزة التي تم ذكرها ؟ الحاسوب جهاز يدخل ضمن الأجهزة التي ذكرنا أن الجريمة ، ومهما مثلت باقي الأجهزة واللواحق من نسبة استخدامها في الجريمة المعلوماتية، يبقى هو الأساس في تنفيذ مراحلها كجزء أساسي أو كجزء مكمل و ضروري لاكتمال أركان الجريمة ، بمعنى أن الحاسوب عبارة عن جسرووحيد في هذه الحالة لتمر منه كل البرامج الجيدة والخبيثة وكل أنواع العتاد المصمم بشكل مؤمن وملب للغاية التي صنع من أجلها أو عكس ذلك . بحيث أنه ما من برنامج أو ملحقات عتاد لابد أن تمر على جهاز الكمبيوتر ومن غير وجود الحاسوب لا معنى لكل تلك البرامج ولكل ذلك العتاد المتنوع والمتعدد مهما تنوعت استعمالته وتعددت أغراضه وغاياته.

فالتقاط صور بالكاميرا العادية أو التجسسية بنية ارتكاب جريمة ما، لا معنى له ولا يحقق الجريمة إذا غاب جهاز الكمبيوتر عن العملية . ومن هذا كله نستخلص أنه لا داعي لإثبات ما إذا كان استخدام البرامج والأجهزة ثابتا أو لا، لأنه بالضرورة ثابت. ذلك أن نفي استعمال ذلك معناه الموت لتلك البرامج والأجهزة وهو اختفاؤها من السوق وهذا ما هو غير حاصل. بمعنى أننا في حالة نفي النفي الذي يثبت الوجود.

وكتأكيد على التدليل نقول أن الحاسوب ينتمي إلى أجهزة المعلوماتية وحتى الحواسيب فيها ما هو مصمم للتجسس إذ أنه مزود بقطعة الكترونية قد تكون مجهرية ولا يعرفها سوى خبراء تصنيع التقنية وتذكر بعض التقارير التقنية أنه يحتوي حتى على معدن الذهب¹ ، وحتى وإن كان الحاسوب سليما وليست به أمور ال شبهة الالكترونية ، فيكفي للتدليل على استعمال العتاد أننا نستخدمه إذ لا أحد يستطيع أن ينفي استخدام حاسوب أنتج أصلا لأجل الاستخدام في أي مكان تواجد فيه ماعدا تلك التي لازالت على رفوف المحلات أو في مخازن شركات التصنيع .

فأمر الاستخدام مؤكد، إلا أنه يتوجب الإقرار أن هذا الاستخدام ، حتى وإن يبدو ضئيلا أو متوسطا بالنسبة لعامة الناس كالطلبة والموظفين وأصحاب الاهتمامات والالتزامات الأخرى، فإنه مرتفع جدا لدى فئة مجرمي المعلوماتية ، وهذا بحكم توفر الوقت لديهم من جهة ، وهو ما خلق لديهم حالة الإدمان على الانترنت ، ولكونهم من جهة أخرى صاروا متخصصين في هذا المجال ، إذ لم يعد في عالمهم الخاص سوى تداول كل ما هو جديد ، إن على مستوى البرامج أو العتاد أو الأخبار المتعلقة بالهاكرز وما توصلوا إليه هم من اختراقات وعمليات تحايل ونصب إلكتروني وتصميم برمجيات . وهذا هو الجهد الذي ما تم السعي لإثباته.

و أما فيما يتعلق بإمكانية حدوث الجريمة الالكترونية نتيجة للاستخدام السيئ للتكنولوجيا فهذا معروف ، إذ بقدر ما للتكنولوجيا من إيجابيات تحقق الكثير من الراحة للناس بقدر ما هناك من سلبيات أفسدت متعة الاستفادة من التكنولوجيا. لكن الغريب أن ترتكب الجريمة بحسن نية ومن طرف المستخدم نفسه بحيث يقوم المجرم الافتراضي بنصب شرك أو فخ الكتروني ليقع فيه الضحية بعد تنفيذه لأمر تقني أو نتيجة تحميله لبرنامج ملغم ، كأن يدعى الضحية عبر رسالة عبر البريد الالكتروني لتقوية كلمة السر للبريد الالكتروني أو الضغط على صورة متحركة لتسريع متصفح الأنترنت . عند القيام بتلك الخطوات فإن الضحية تكون قد ارتكبت جريمة ضد نفسها دون علمها ، وذلك بتمكين المخترق من الدخول الى الحاسوب والاستيلاء على البيانات الشخصية . النتيجة التالية والمتعلقة بمواقع

¹ <http://www.th3professional.com>

التواصل الاجتماعي ، تؤكد أن لا شيء مضمون وسري مع مواقع التواصل الاجتماعي ، مهما اکتست بالطابع الرسمي الموثوق أو شبه الموثوق ، و من ثم يتوجب التعامل مع مواقع ك" الفايسبوك و تويتر و لينكدن و جوجل و غيرها " بكثير من الحذر ذلك أن هناك الكثير من النصب و الاحتيال الالكتروني، و المثالان المذكوران المتعلقين بـ "جوجل و الفايسبوك " يثبتان بالدليل مدى تورط هذين الموقعين الهامين في التلاعب ببيانات الزبائن و المتاجرة بها ، و الأكثر من ذلك السماح للصوص الانترنت من الولوج إلى صفحاتها الرئيسية و استخدام سمعة هذه المواقع و عالميتها للتربح و الكسب غير المشروع . لكن من حق أي احد أن يتساءل هذا السؤال الموضوعي : هل ثبوت حالة واحدة أو ربما حالتين حول دخول موقع كجوجل أو الفايسبوك في صفقات مشبوهة بالفعل يسمح لنا بتعميم الحالة بما يفيد أن ذلك الفعل أدى بالفعل إلى حدوث جريمة إلكترونية ؟ و الجواب هو أننا إذا نظرنا إلى عدم تعرض هذين الموقعين إلى أي نوع من المساءلة القانونية سواء من قبل أجهزة العدالة أو من قبل الهيئات العالمية المختصة فإن شبهة الجريمة تكاد تكون منتفية. أما إذا تم أخذ الموضوع من جهة أخرى فالجريمة ثابتة و مكتملة الأركان و الأكثر من ذلك أنها موثقة.

فالبرنامج المزيف " Virus Shield " الخاص بالحماية و المضاد للفيروسات هو برنامج مزيف و ثابت بالدليل أنه برنامج وهمي ، و قد شارك موقع جوجل بنسبة كبيرة في خداع الزبائن ، ذلك أن ثقة الزبائن و المستخدمين و معرفتهم له كموقع محل ثقة ، غلب درجة انخداعهم لمجرد برنامج غير معروف و ربما ليس حتى محل ثقة.

و من هذا الجانب فإن الملايين (مائة و ستين مليون (١٦٠ مليون) من مستخدمي جوجل سلبت منهم أموالهم بوجه غير مشروع ، و لو كان الأمر مع موقع محلي محدود الاستخدام و قليل الزبائن ، لما كان الأمر حاطيا بهذه الأهمية ، لكن ان يتم ذلك مع موقع عالمي فهذا هو غير الم ستساغ و غير المقبول ، ذلك أن الأربعة ٠٤ دولارات التي دفعها كل زبون في متجر "جوجل بلاي " قد تتحول بفعل ملايين المستخدمين إلى أربعة ٤ ملايين دولار . و هو رقم يصلح كي يكون موضوع قضية يتبعها تحقيق جنائي كونه كسب غير مشروع عن طريق دخل فيه عامل النصب و الاحتيال و الجدول التالي يبين حجم الأرقام التي تتعامل بها هذه المواقع ، و هو ما يؤكد منحي الجريمة في حالة التلاعب فقط ببيانات المعجبين البالغ عددهم تسعا و عشرين (٢٩٠٠٠) ألف إعجاب كل يوم .

مواقع التواصل الاجتماعي	عدد المستخدمين
Facebook فاييسبوك	1.060
تويتر Twitter	200
LinkedIn	190
Google +	١٦٠
الإعجاب على فيسبوك كل يوم	29,000
طلبات البحث على محرك جوجل	1.3 مليار
عدد الصور المرسله على الفاييسبوك في اليوم.	٣٠٠ مليون

عدد التغريدات منذ انطلاق تويتر	١٦٣,٠٠٠ مليون
--------------------------------	---------------

وما يقال عن "جوجل بلاي" يقال عن الفاييسبوك ، إذ أن المتاجرة في بيانات المشتركين وبيعها لشركات الإعلان والإشهار أو الدفع بها إلى أجهزة المخابرات العالمية، من شأنه أن يشكل جريمة إلكترونية محددة وظاهرة المعالم . و الموضوع هنا، كما تم ذكره سابقا ، يكتسي الأهمية لكونه يتعلق بمئات الملايين من المستخدمين الذين وضعوا ثقتهم في مثل هذه المواقع ، وخانت هذه المواقع ثقتهم ، وهو ما يدخل في باب خيانة الأمانة في عرف القانون .

إن عملية تشخيص مسببات الجريمة الإلكترونية تشخيصا سليما دون إغفال العنصر البشري المتسبب في المشكلة و الباحث لها عن الحل في نفس الوقت ، تقودنا إلى الحد من تزايد الإجرام الإلكتروني ، الذي يتوقع أغلب الباحثين و المهتمين تزايد نتيجة تزايد أعداد المنتسبين إلى عالم المعلوماتية ، حيث تتضاعف أعداد مستخدمي الانترنت من عام لآخر وفي المقابل تتضاعف معها أيضا أعداد مجرمي المعلوماتية . وإذا كان تشخيص الجريمة الإلكترونية في هذا البحث اقتصر على عوامل البرامج والأجهزة و المواقع فليس معناه أن جميع العوامل المتحكمة في الجريمة تم التطرق إليها .

وتجب الإشارة إلى أن البحث لم يتناول كل البرامج و كل الأجهزة و كل المواقع وإنما اقتصر على عينات فقط لإثبات ما ذهب إليه، من أن الجريمة هي بالفعل نتاج برامج و أجهزة و مواقع الكترونية ، دافعة لارتكاب الجرم الإلكتروني . إن النتيجة التي تثبت تورط موقع الفاييسبوك نتناولها بنوع من التحفظ بحكم أن الأمر متعلق بتقارير تقنية تثبت أن الفاييسبوك يتاجر ببيانات المستخدمين ولكنه من الناحية العلمية فان ذلك يبدو ناقصا على عكس ما هو حاصل مع موقع جوجل .

الجريمة الإلكترونية محصلة العوامل التالية وفق نتيجة البحث

الجريمة	الأجهزة المغشوشة	الجريمة	المواقع المشبوهة	الجريمة
تجسس	Creepy DOL جهاز	تجسس	Face book	بيع بيانات
إفساد تحقيق الشرطة	جهاز محاكاة الصوت	نصب و احتيال	Google	
نصب و احتيال	Nixie كاميرا	تجسس	Google play	صفقات مشبوهة
سرقة بيانات	USB INTRUSION	اختراق		
	Cheap Router مودام	تخريب معلومات		

و يشير بعض الباحثين إلى أن هناك صعوبات منهجية في إحصاء الجرائم الإلكترونية، حيث تأخذ أرقام الجرائم الإلكترونية، إحصائيا ،صورا ثلاث هي الصورة الحقيقية للإجرام و تمثلها الجنج و الجنائيات، و تحدد في الزمان و المكان ووفق تعداد السكان، وأمرها موثق و معروف لدى أجهزة العدالة، وثانها الأرقام المعبرة عن الإجرام الظاهر، وهي تلك التي تم التبليغ عنها لدى مصالح الأمن حيث تم التبليغ عنها بدعاوى أو تبليغات، وأخيرا رقم الإجرام القانوني ويمثل

الفرق بين الرقم الحقيقي و الرقم الظاهري، حيث يكون ذلك هو الرقم القانوني " الرقم الأسود " هو الرقم المعبر عن عديد الجرائم الالكترونية^١ وقد يتجاوز الأمر لارتكاب الجريمة الإلكترونية حدود البرامج و العتاد لنجد أن المجرم المعلوماتي يميل إلى ذلك انطلاقاً من رغبة في نفسه يحس فيها بالانتشاء حين يقهر نظاماً تقنياً معيناً و ينتصر لنفسه عليه ، و قد يكون مرد الأمر إلى وجود ثغرات تقنية تعطي الفرصة لتسلل " الهاكرز " أكثر منه كفاءة و قدرة يتمتع بها المخترق لذلك النظام . و ذلك لا يعني أن بعض المخترقين لا يتمتعون بقوة الذكاء و التحكم و التفوق الخارق . و يتوجب أن لا تلصق دوماً الصفة السلبية بالهاكرز و ليست لهم دوماً النوايا السيئة، ذلك أننا صرنا نسمع و نرى و نتصل بـ " الهاكرز الأخلاقي " الذي يتدخل لإنقاذ ضحية من عملية ابتزاز حقيقي أو التدخل تقنياً لحل مشكلة حاصلة على الانترنت لشخص يطلب منه المساعدة .

و عليه فإنه يرى البعض : " أن الدافع إلى ارتكاب الجرائم المعلوماتية يغلب عليه الرغبة في قهر النظام أكثر من شهوة الحصول على الربح"^٢ ، و حتى وإن قدرنا هذا الكلام ، فإنه على الرغم من ذلك ، يظهر جلياً السعي إلى تحقيق الربح المادي ، باعتباره دافعاً أكثر تحريكاً لجرائم الحاسوب ، من الرغبة في قهر النظام، إلا أن الدافع الأخير يتجسد في نسبة مرتفعة من جرائم الحاسوب ، خاصة ما يعرف بـ أنشطة "HACKERS" * المتطفلين الداخليين على النظام و المتجسدة سلوكياتهم في جرائم التواصل مع أنظمة الحاسب تحديداً عن بعد^٣

إن الجريمة ، سواء تعلقت بالجريمة العادية أو بالجريمة الإلكترونية ، يبقى مبدؤها واحداً ، فكلاهما مكتملة الأركان محددة المعالم و تتم مع سبق الإصرار و التردد حسب التعبير القانوني . و لذلك فإن كل جريمة حاصلة هي نتاج تنازع عنصرين أساسيين في النفس هما العنصر المادي الصاعد و العنصر المعنوي النازل . بمعنى أن الجريمة تحدث أساساً بسبب سيطرة الجانب المادي و دفعه الإنسان إلى الجشع ، و في المقابل ، ضعف الجانب المعنوي و هبوط مستوى القيم و الأخلاق . و الجدول التالي و حتى وإن كانت أرقامه لا تتناول الجريمة الإلكترونية ، وإنما تتناول الجريمة التقليدية ، إلا أن هناك مؤشرات قد تصلح ليتم إسقاطها على الجرائم الإلكترونية . و من هذه المؤشرات أن المجرمين في كلتي الحالتين يبحثون عن الربح و الاستحواذ المادي و يعانون مشكلة أخلاقية حقيقية يظهر فيها سقوط مفهوم القيم الأخلاقية بشكل واضح . ففي ولاية سطيف مثلاً (الجزائر) وحدها سجلت في العام ٢٠١٣ (١٨٩٢ سرقة عادية) أي بنسبة (٤٤.٢٧%) من مجموع الجرائم التي بلغت ٤١٤١ جريمة . أما الجرائم المتعلقة بالأخلاق فقد بلغت (١٩١٥ اعتداء) أي بنسبة (٤٤.٨١%) من مجموع الجرائم المذكورة . و هو ما يعني نمو و تصاعد النزوة المادية البحتة التي تخفي وراءها البحث عن تلبية للحاجات فقط ، و أيضاً في الجانب الآخر ضعف الوازع الديني و الأخلاقي . ثم تتشكل بعدهما باقي الجرائم كالاختطاف و الاغتصاب و الاعتداءات الأخرى .

كشفت ممثل سلك الأمن الوطني لولاية سطيف عن تسجيل مصالحه السنة المنقضية ٢٠١٣ عن وضع الإجماع في الولاية حسب ما يوضحه الجدولان التاليان :

١ نوري سعدون عبد الله ، " العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة " ، ورقة بحث على الأنترنت :

<http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&id=14282>

٢ . أحمد خليفة ملط ، " الجرائم المعلوماتية " ، دار الفكر العربي ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ ، ص ١٩٨ .

٣ . Mohamed CHAWKI, op.cit. p. 95 ح٣

* حسب ترجمة غرفة التجارة العربية البريطانية، و الحادق المأجور حسب ترجمة الأستاذ كامل سعد.

جدول ٠١ : كشف الجرائم المرتكبة على مستوى ولاية سطيف^١ :

نوع الاعتداء	سرقة سيارات	سرقة عادية	اختطاف	جريمة أخلاقية	سرقة بالاعتداء	اغتصاب	جريمة أخلاق+ دعارة
العدد	٤٥	١٨٩٢	٠٧	١١٧	٢٩١	٠٦	١٩١٥
%	%٠١٠٠٥	%٤٤٠٢٧	%٠٠٧٣	%٠٢٠٧٣	%٠٦٠٨١	%٠٠١٤	%٤٤٠٨١

جدول ٠٢ :

المجرمون	رجال	نساء	قصر
العدد	٤٨٠٩	٣١٣	٤٦٢

وفي ولاية وهران كشف مسؤول أمني آخر في ملتقى نظمه محامو وهران حول الجريمة الإلكترونية أن ٥٥% من الجرائم الإلكترونية المسجلة تمس الجانب الأخلاقي، حيث يعد السب والشتم والتشهير بصور الضحايا وبمقاطع الفيديو المتعلقة بهم، من أبرز المواد الشائع نشرها عبر الانترنت^٢، وهو أمر في كل الأحوال يعبر عن أزمة أخلاق حقيقية تعد قاسما مشتركا بين ما يحدث من إجرام تقليدي في ولاية من شرق البلاد وما يحدث من جرم إلكتروني في ولاية أخرى من غيرها.

وبالتالي، وبما أن نمو النزعة المادية وفي المقابل السقوط الأخلاقي عنصران يلازمان ظاهري الجرم ال تقليدي والجرم الإلكتروني، فإن الأمر يكاد يكون قريبا من بعضه البعض وبشكل يوحي بأن الفرق يكاد يكون فقط في إضافة العنصر التقني للجريمة الإلكترونية. فالأول يكون في متناوله السلاح الناري أو السلاح الأبيض بينما المجرم في الحالة التقنية يجد في متناوله أجهزة و برامج و أدوات تقنية أخرى لتنفيذ الجريمة. ويعد عامل الاعتداد بالنفس وتقصص شخصية البطل والشخص المتفوق والفاهم لأمر الحياة هي صفات الجيل الرقمي . حيث يميل مرتكبو الجرائم الإلكترونية إلى إظهار تفوقهم ومستوى ارتقاء براعتهم لدرجة أنه إزاء ظهور أية تقنية مستح دثة، فإن لديهم شغف الآلة يحاولون إيجاد، و غالبا ما يجدون الوسيلة التي تحيظها، و يتزايد شيوخ هذا الدافع لدى فئة صغار السن من مرتكبي الجرائم المعلوماتية الذين يمضون وقتا طويلا أمام حواسيبهم الشخصية، كما يقول الباحث محمد صالح العادلي في محاولة لكسر حواجز الأمن لأنظمة الحواسيب وشبكات المعلومات . وقد لعبت مجموعات الجريمة المنظمة على هذا الوتر النفسي الحساس، حيث تبدي إعجابها الخارق بالمخترقين المهرة وذلك لاستمالتهم وإدماجهم في مختلف أذرعها وفروعها الإجرامية. هذا وإن كان الفعل الواحد قد يعكس دوافع متعددة وخاصة، فمحرك أنشطة الإرهاب الإلكتروني وحروب المعلومات دوافعه سياسية وإيديولوجية، في حين أن أنشطة الاستيلاء على الأسرار التجارية تحركها دوافع المنافسة، وقد تتداخل وتشترك هذه الدوافع في الفعل الواحد فتتمازج دون إمكانية التفرقة بينها.

١- مجلة الأمة العربية في ١٠-٠٣-٢٠١٠ <http://www.djazairress.com/eloumma/10012> ملتقى الجريمة.

٢ وكالة الأنباء الجزائرية، مكتب الغرب الجزائري، في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤.

إن المجرم المعلوماتي يمكن أن يتجاوز بحذقه ومهارته كل البرامج وتصاميم الأجهزة المعيبة أو المشبوهة والملحقات ليبدأ ، انطلاقاً من دوافعه النفسية والاجتماعية الاجرامية حيث تشكل تلك الدوافع عاملاً كبيراً في الولوج إلى عالم الحواسيب والانترنت والبحث عن منفذ للانتقام وتحقيق الذات المقهورة ، حسب ما يراه هو ومن على شاكلته . إذ غالباً ما يكون الدافع المادي من أقوى هذه الدوافع . ويدعم هذه الفكرة وجود مهندسين أكفاء وخبراء في مجال المعلوماتية لا يتورعون في إنتاج برامج وتصاميم لوسائل اتصال من العدم وتسخيرها لخدمة مجرمي الانترنت والذين غالباً ما يكونون شركاء معهم مقابل مكافآت كبيرة ، مثلما هو حاصل مع شبكات ترويج المخدرات وتهريب السلاح ، ويظهر ذلك جلياً في عمليات اختراق المصارف الإلكترونية والحصول على بيانات بطاقات الائتمان حيث وجد أن خبراء وفنيين كبار متورطين في عمليات الاختراق لتلك البنوك والمؤسسات.

وهنا يواجهنا مفهوم آخر يجرنا إلى مناقشة الاستخدام السيء لتكنولوجيا المعلومات ، وفي هذه الحالة لا داعي لاستعراض ما تحدثنا عنه في الفرضيات السابقة . لأننا في مواجهة سلوك إجرامي نابع من سلوك عدواني شكلته الكثير من العوامل والدوافع النفسية والاجتماعية . وقد ذكرنا من قبل أن سوء استخدام التكنولوجيا وتغيير مسار التقنية من المسار الإيجابي إلى المسار السلبي يشكل العنوان الكبير لكل أنواع الجرائم الإلكترونية وتندرج تحته كل العناوين المتعلقة بالبرامج والأجهزة والمواقع ، وحتى الدوافع النفسية والاجتماعية.

إن سوء استخدام التقنية المتعلقة بالحاسوب أو بالهاتف المحمول أو بكل التجهيزات والبرامج التي يرتبط فيها السلوك البشري السلبي بالتكنولوجيا الحديثة يبقى هو الجريمة الكبرى ، ولذلك تم التركيز عليه كفعل في أغلب الاتفاقيات والقوانين المتعلقة بمكافحة الجريمة المنظمة ومنها الجريمة الإلكترونية . ومواجهة كل أصناف الاستخدام السيئ للتقنية اشتملت ونصت اتفاقية المجلس الأوروبي على طائفتين من الأفعال : الأولى المنصوص عليها في الفقرة الأولى من المادة السادسة وتشمل الإنتاج المتعمد أو بيع أو شراء أو استخ دام أو استيراد أو توزيع ، بما في ذلك من وسائل توفير الأجهزة والأدوات وبرامج الكمبيوتر بهدف ارتكاب أي فعل جرمي من الأفعال المنصوص عليها في المواد 4-5 ، وكذلك كلمات السر ورموز الدخول أو أية معطيات مشابهة بحيث تتيح اختراق نظام الكمبيوتر أو الدخول إليه أو إل ي أي جزء منه بنية ارتكاب أي فعل من الأفعال المنصوص عليها في المواد 6-5

إن أي تحرك لمواجهة أي سلوك بشري سيء ، بغض النظر عن ارتباطه بالتقنية أو لا ، يجب أن يبدأ من الإنسان في حد ذاته ، وقد أثبتت التجارب أن أية حلول تستثني الإنسان من المعادلة سوف لن تصل إلى النتيجة المرجوة . وبما أن مجتمعاتنا العربية ليست في مستوى المجابهة التقنية وحتى التشريعية انطلاقاً من الواقع المعيش ، فإن التركيز على البعد الوقائي ضد الجريمة الإلكترونية قد يعد من الحلول المبكرة والفضلى ، التي تسبق ما يمكن أن يصبح أمراً واقعاً . ولذلك يتوجب دراسة سبل الوقاية أكثر من التركيز على الظاهرة في حد ذاتها ، والوقاية قد تكون اخلاقية عندنا أكثر من غيرنا وذلك بتجنب :

– تتبع عورات الناس والتجسس عليهم : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثْرًا مِّنَ الظَّنِّ . إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)^١

– كذف المحصنات: قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^٢

١ - سورة الحجرات الآية ١١ .

٢ - سورة النور الآية ١

_ السب والشتيم: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) [الأحزاب: ٨]. و
الحديث: يقول النبي: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [متفق عليه] والكذب والزور (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ
الْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)^١
_ أكل مال الناس بالباطل: قال تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من
أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)^٢
_ إذاية الناس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وإذا كان الأمر
يتعلق هنا بمعيار الود والحب فإنه يصلح أيضاً حينما نقلب المعنى ونضع مفهوم الكره عوضاً عن مفهوم الحب ليصير
القول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه".
_ القتل والاعتداء: كثيراً ما تؤدي الجرائم الالكترونية إلى عمليات اختطاف وابتزاز ومن ثم قد يكون القتل، قال رسول
الله ﷺ: لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حراماً. حديث شريف.
_ الاستحواذ على حقوق الناس بغير وجه حق: قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون)^٣، وهو الوجه العام الذي تنضوي تحته كل هذه الحقوق
وفي جانبها السلبي كل هذه الجرائم. وأما ما يتعلق بطلب الإذن فنقصد به في هذا المجال عمليات الدخول غير الشرعي
للحواسيب ولصناديق البريد الالكتروني وللمواقع. فإذا كان دخول البيوت يتطلب الاستئذان والدخول من الأبواب
فكيف بالدخول والاستحواذ على خصوصية الخصوصيات. وهكذا تبني الكثير من القيم الحضارية التي تحفظ النفس و
المال والعرض.
الخلاصة:

من كل ما استعرضته الدراسة نخلص إلى أن تدافع الجرائم الالكترونية، إنما ناتج، وبشكل طردي، عن تدافع وتطور
قطاعات المجتمع. وبما أن التطور ماض إلى الأمام دون توقف فإن الجريمة ماضية أيضاً إلى الأمام لتظهر كل يوم في
شكل جديد وبطرق ووسائل جديدة وربما غريبة أيضاً.
ويبقى مقدمو الحلول التقنية ساعين بجد إلى تتبع كل نوع من أنواع الجرائم لمحاربتها والوقوف في وجه مقترفيها، هدفهم
حماية المجتمعات والحفاظ عليها من المفسد خاصة في عصرنا هذا. والمرجح أن سرعة سهم الجريمة الإلكترونية أكبر
بكثير من سرعة سهمي الحلول التقنية والحلول الجنائية، إذ ما من جريمة يتم اكتشافها والتعامل معها إلا وتكشف
في الصباح الباكر عن عديد الجرائم المستجدة التي يفرضها التطور غير المسبوق لثورة الاتصالات التي لم يشهد لها
العالم مثيلاً.

إن الجريمة الالكترونية تحدث إما لوفرة البرامج المحفزة على ارتكابها، حيث يبدأ مرتكبوها بالتجريب والتوغل بعد
إعادة التجريب وصولاً إلى الابتزاز، وإما لوفرة العتاد والتجهيزات التي لا تتطلب ربما تشغيلاً معقداً، كأن يلتقط المجرم
صورة أو مقطع فيديو لشخص معين ليتفنن فيما بعد في ابتزازه ونيل مراده منه، خاصة إذا كانت الضحية أنثى ومن
مجتمع محافظ.

١ - سورة الأحزاب الآية .

٢ - سورة البقرة الآية ١٨٨ .

٣ - سورة النور الآية ٢٧ .

كما يمكن للمجرم الافتراضي أن يقترف جريمته بغض النظر عن وفرة البرامج والتجهيزات الدافعة إلى ذلك حيث يكرس وقته وجهده وربما حتى ماله للبحث والتنقيب لإثبات ذاته في قهر نظم الأمان والحماية معتقدا ان انتصاره عليها هو العظمة والريادة وربما حتى السلطة. وهو في الحقيقة تعبير عن عقد في تركيبة شخصيته لا غير.

ونخلص في الختام لنقول أن الجريمة مهما حاربتها في بلداننا العربية والإسلامية بقوة القانون وبقوة الحلول الفنية فإننا لن نقضي عليها لأن الفجوة التكنولوجية كبيرة لسنا حتى في مستوى استيعابها تقنيا وجنائيا ، وهذا انطلاقا من تقارير الخبراء وتقنيين، حيث يذكر الخبير المغربي أمين رغب صاحب " مدونة المحترف للإعلاميات " أن ما خفي من عالم الانترنت كان أعظم وأعمق ، ويشبهون عالم الانترنت بالجبل الجليدي الذي تتربع قاعدته على مساحة كبيرة وعميقة في محيط ما ، وهي التي تمثل ما يسمى عند الخبراء بالدرك المظلم " Dark Net " والبعض الآخر يسميه الدرك العميق " Deep Net " ، وهو عالم آخر مليء بكل مواصفات الشر والجرم . فيه من السوق السوداء للمتاجرة في الأسلحة إلى المخدرات والأعضاء البشرية إلى الجنس والرق البشري وانتهاء بالمتاجرة في الملفات السرية للشخصيات والحكومات والدول وبيع وشراء برامج الاختراق والجوسسة والتكنولوجيا.

خاصة في ظل تردد أخبار رسمية في بعض البلدان الغربية ، تفيد أن اجتماع قمة بين كبار زعماء عصابات الجريمة المنظمة في عالم ما "تحت الأرض" الإجرامي تم عقده ، وقد اعتبر رجال الأمن هذه الشائعة ، في البداية ، غ ير منطقية ، على اعتبار أن التباينات الثقافية وأسباب المنافسة والصراع الشديدين بين عصابات الجريمة المنظمة ، تحول دون اجتماع زعماء الجريمة العالمية لتشكيل فدرالية لمحترفي الجريمة.

ومن ثم فنشر ثقافة الانترنت و بث الوعي بمخاطرها في برامج مركزية ومختصة تبدأ بالمدارس وتمتد بالبيت وتنتهي عند الجامعة والمسجد، يوفر لنا الكثير من الجهد والمال والوقت ، وهو ما يعني أننا بصدد تشكيل حصانة أخلاقية وتربوية وثقافية تشكل في مجملها وازعا ذاتيا ومناعة ضد هذه السلوكيات الدخيلة والمعقدة .

قائمة المراجع :

- ١- أحمد خليفة ملط ، " الجرائم المعلوماتية "، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
- ٢- ابن منظور جمال الدين، "لسان العرب"، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد الرابع.
- ٣- عبد الرحمن بدوي ، "مناهج البحث العلمي" ، وكالة المطبوعات ، طبعة ثانية ١٩٧٧ ، الكويت.
- ٤- عبيد الكعبي، " الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الأنترنت "، دار النهضة العربية القاهرة.
- ٥- عزة محمود أحمد خليل ، "مشكلات المسؤولية المدنية في مواجهة فيروس الحاسب الآلي، دراسة مقارنة في القانون المدني والشريعة الإسلامية" ، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق ، ١٩٩٤.
- ٦- عقاب محمد ، مجتمع الإعلام والمعلومات ، ماهيته وخصائصه" ، دار هومة ، الجزائر، ٢٠٠٧ .
- ٧- غازي عبد الرحمن هبان الرشيد ، " الحماية القانونية من جرائم المعلوماتية، الحاسب والأنترنت " ، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون ، الجامعة الإسلامية في لبنان ، كلية الحقوق، ٢٠٠٤ .
- ٨- محمد عبيدات ، محمد أبو نصار ، عقلة مبيضين : "منهجية البحث العلمي ، القواعد والمراحل والتطبيقات" ، دار وائل للنشر، ١٩٩٩ ، الأردن.

- ٩- محمد علي العريان ، "الجرائم المعلوماتية" ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤ .
- ١٠- المعجم الوسيط.
- ١١- محمد عبيد الكعبي ، " الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الانترنت " ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- ١٢- هدى قشوش ، " جرائم الحاسب الالكتروني في التشريع المقارن" ، الطبعة الأولى دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٢ .
- ١٣- عبد الصبور عبد القوي علي " الجريمة الإلكترونية والجهود الدولية للحد منها " ورقة بحث على الأنترنت
http://drabdsabor.blogspot.com/2014/01/blog-post_2025.html (le : 11/09/2014
le : 11/09/2014). <http://www.alyaum.com/article/2527834>
- ١٤- مركز رعاية المستهك السعودية، دراسة، ٢٠٠٤ .
- ١٥-نوري سعدون عبد الله، "العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة " ورقة بحث على الأنترنت .
<http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=14282> - (le 09/09/2014)
- ١٥- يونس عرب ، " صور الجرائم الالكترونية و اتجاهات تبويبها " ، ورشة عمل تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية ، هيئة تنظيم الاتصالات ، سلطنة عمان من ٢٠٠٤ . أبريل ٢٠٠٦ .
- 16- "تقرير منظمة الأمم المتحدة للعام ٢٠١٣ حول استخدامات الأنترنت".
- 17 -"تقرير وكالة الأنباء الجزائرية ، مكتب الغرب الجزائري ، في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤".
- 18 -" مجلة الأمة العربية في ١٠-٣-٢٠١٠".
- 19 - <http://www.djazairess.com/eloumma/10012> (le 22/08/2014) - ملتقى الجريمة 19
- 20-EL AZZOUZI Ali, *La cybercriminalité au Maroc*, Bishops solution, Casablanca, 2010.
- 21-Chawki Mohamed – *Essai sur la notion de cybercriminalité* – juillet 2006.
- 22-Debray Stéphane – *Internet face aux substances illicite* – complice de la cybercriminalité ou outil de prévention – DESS media électronique et internet – université de Paris 2002-2003.
- 23-JEAN DUBOIS- .LAROUSSE . LIBRAIRIE LAROUSSE,1987.
- 24 -Pierre Catala« **la propriété de l'information** » Cité par . F.Toubal .le logiciel- analyse juridique FUDUL .L.G.D.J.1986 P 126-127 http://drabdsabor.blogspot.com/2014/01/blog-post_2025.html juin 2014.
- 25-[http:// Facebook.com](http://Facebook.com) -section Aide (le 06/09/2014).
- 26-<http://fr.thefreedictionary.com/extorsion> (le 28/08/2014).
- 27-<http://www-01.ibm.com/software/data/security-privacy>(le : 22/09/2014)



28-<http://www.spiegel.de/international/world/under-fire-from-internet-mercenaries-target-political-opposition-a-497841.htm> (le : 07/09/2014) .

29-XshopX.net (LE / 06/09/2014).

30 -<http://z-wd.blogspot.com/2012/08/What-Botnet-How-to.html>(le : 11/09/2014).

Retour d'expérience sur les ressorts motivationnels d'un « jeu sérieux » auprès des jeunes Tunisiens

Rym GRIOUI/Ecole doctorale arts et culture, Université de Tunis, doctorante.

Abstract:

Cet article se propose de mettre en évidence les ressorts motivationnels des « jeux sérieux » à partir d'une expérimentation menée auprès d'un échantillon d'étudiants Tunisiens. Pour ce faire on a consacré une première partie théorique pour exploiter l'univers des « jeux sérieux » afin de comprendre les avantages de ce média en termes de motivation. En seconde partie, ce papier représente un retour d'expérience sur l'expérimentation d'un « jeu sérieux » intitulé «Adventure Ecology, Mission 1: Top Of The World ». La conclusion pointe les apports de cette étude dans la visée est d'utiliser les « jeux sérieux » dans des situations d'apprentissage formelles et informelles.

Mots clés : Jeux sérieux, motivation, scénario pédagogique, interactivité.

1. Introduction

Le jeu-vidéo n'est plus simplement envisagé comme une simple distraction dévorante des nouvelles générations. Le succès croissant du jeu-vidéo auprès des jeunes, oblige à repenser cette nouvelle technologie. Son potentiel pour l'apprentissage a fait l'objet de plusieurs études et se traduit par la notion de « jeux sérieux ». Les « jeux sérieux » sont des applications informatiques qui utilisent les technologies et les principes ludiques du Jeu Vidéo (3D, flash, immersion, interactivité...) à des fins « sérieuses » d'apprentissage, de formation, de communication ou de simulation. Boostés par le succès des jeux « éducatifs », des mondes virtuels et des réseaux sociaux, les « jeux sérieux » sont de plus en plus sollicités par des institutions comme l'armée américaine, des sociétés comme IBM, mais aussi les universités, ils ont développé des « jeux sérieux » afin de former leurs étudiants à des problématiques spécifiques. En effet les interfaces attractives des « jeux sérieux », la possibilité de personnaliser l'apprentissage et de renforcer la théorie par la pratique... apparaissent comme des caractéristiques intéressantes pour la formation et l'apprentissage.

Le but de cette contribution est de discerner et d'analyser ce qui peut faire des « jeux sérieux » un support d'apprentissage motivant permettant les jeunes d'acquérir de nouvelles connaissances. Pour ce faire on va consacrer une première partie théorique de cet article à exploiter l'univers des « jeux sérieux » pour pouvoir comprendre les bénéfices de ce média en termes de motivation. En seconde partie, ce papier représente un retour d'expérience sur l'expérimentation d'un « jeu sérieux » intitulé «Adventure Ecology, Mission 1: Top Of The World », proposé auprès des étudiants de l'institut supérieur d'informatique (ISI) et de l'Ecole supérieure des communications de Tunis (Sup'Com).

2. Cadrage des « jeux sérieux »

2.1. La Notion des « jeux sérieux »

Les « jeux sérieux » sont des applications informatiques issus du marché traditionnel des jeux vidéo et combinant des aspects pédagogiques à des aspects ludiques. L'idée fondamentale de ces nouveaux médias est d'appliquer les principes des jeux vidéo à d'autres domaines que le divertissement. De nombreux auteurs ont tenté de définir le « jeu sérieux », dans le domaine informatique on peut citer la définition de « Micheal Zyda » (2003), directeur du laboratoire GamePipe, qui définit un « jeu sérieux » par « un défi cérébral joué avec un ordinateur qui utilise le divertissement en tant que valeur ajoutée. » On retrouve aussi des approches issues des Sciences Psychologiques et de l'Éducation, notamment celle de « André Tricot » (1999) qui met l'accent sur le scénario pédagogique. Parmi les acteurs principaux liés au développement des « jeux sérieux », on cite « Julien Alvarez » qui a écrit une thèse à ce sujet et qui définit très précisément ce nouveau phénomène comme étant une « Application informatique, dont l'objectif est de combiner à la fois des aspects sérieux tels, de manière non exhaustive, l'enseignement, l'apprentissage, la communication, ou encore l'information, avec des ressorts ludiques issus du jeu vidéo. Cette association doit s'opérer par l'implémentation d'un scénario pédagogique.¹ »

« Amato » (2007) a défini les « jeux sérieux » comme étant « des jeux vidéo utilitaires, c'est-à-dire productifs, dont la conception vise à opérer une transformation chez leurs destinataires allant dans le sens d'une amélioration des compétences (entraînement), de l'adaptation au milieu (traitement des phobies), de la compréhension d'un phénomène (éducation) ou d'une plus grande adhésion au message véhiculé (promotion, publicité, jeux vidéo idéologiques, dits aussi political games.)² » En effet, les « jeux sérieux » sont des utilitaires profitant d'une part, des technologies des jeux vidéo et d'autre part, des facteurs de motivation issus du game design tels que stimuler la compétition, satisfaire la curiosité et relever le défi individuel. Ces applications ont une finalité première la formation, l'apprentissage, la communication, l'information, l'amélioration des compétences ou encore l'entraînement dans les milieux institutionnels ou privés, dans les domaines de l'éducation, de la santé, de la sécurité civile, ainsi qu'à des fins de stratégie de communication.

2.2. Les atouts du jeu sérieux

2.2.1. Le jeu sérieux sous-tend « un scénario pédagogique »

La scénarisation est un processus qui a pour attention de spécifier les événements devant se produire dans un cadre donné, qui peut être celui d'un film, d'un jeu vidéo, d'une session d'apprentissage... Dans le domaine des « jeux sérieux », la scénarisation s'appuie sur un modèle qui mélange les données relatives aux mécaniques ludiques avec des objectifs pédagogiques spécifiques à la discipline enseignée.

Plusieurs travaux se sont intéressés à la conception des scénarios pédagogique des « jeux sérieux ». Le modèle de (Amory, 2007)³ propose de mettre en relation les dimensions suivantes : le challenge, l'aspect narratif et la conversation dans un environnement pertinent, engageant où

¹ Alvarez, Julian. (2007). *Du jeu vidéo au serious game : Approches culturelle, pragmatique et formelle*. [thèse de doctorat]. Toulouse : Université Toulouse II; Université Toulouse III. p9.

² AMATO, Etienne Armand. (2007). *Vers une instrumentalisation communicationnelle des jeux vidéo : quelles formes de séduction idéologique ou publicitaire ?* Colloque international EUTIC 2007 : "Enjeux et usages des TIC", 7-10 novembre 2007.

³ Amory, A. (2007). *Game Object Model Version II: A Theoretical Framework for Educational Game Development*. *Educational Technology Research and Development*, 55(1), 51-77.

l'apprenant peut explorer le jeu, de manière à trouver des solutions à des problèmes complexes. Quant à (Hodhod, 2009)¹ suggère un système appelé AEINS (Adaptive Educational Interactive Narrative System) basé sur deux niveaux ; un premier niveau pour analyser les actions des apprenants et un second niveau pour personnaliser le scénario du jeu. De son côté, (Djaouti, 2011)² présente le modèle des « briques Gameplay » comme étant un système dont les différentes combinaisons semblent correspondre aux différentes règles et objectifs d'un jeu. En outre, grâce à l'outil de description des jeux pédagogique (LEGADEE) postulé par (Marfisi, 2012)³, les concepteurs peuvent modéliser les scénarios des jeux ainsi que les exporter en fichier de description XML. De la même manière, (Marne, 2013)⁴ propose le modèle (MoPPLiq) permettant d'adapter les parcours pédago-ludiques des « jeux sérieux » aux besoins spécifiques des apprenants.

2.2.2. L'interactivité pour susciter l'envie d'apprendre

L'interactivité est décrite comme un processus mécanisé ou médiatisé d'échange entre un utilisateur et un appareil. De façon plus générique on peut parler d'une activité d'échange entre un utilisateur et un système. En effet « dans le domaine des médias électroniques, l'interactivité est un dispositif structurel, conceptuel et technique qui permet à un utilisateur humain de trier, d'accéder, de lire, voire de manipuler partie ou totalités d'informations disponibles par l'intermédiaire d'un réseau ou stockées sur un support aujourd'hui numérique. »⁵ Mélanie Roustan voit que « la pratique du jeu vidéo apparaît comme une activité complexe et multiforme, lieu d'une synergie homme-machine dont la spécificité réside dans l'interactivité : l'important est que la communication fonctionne entre action sur le jeu en tant que machine et action sur le jeu en tant que monde virtuel, dont une portion se donne à voir à l'écran. Durant le jeu, il y a fusion de la sphère opérationnelle et de la sphère symbolique, fusion qui sous entend l'expérience de réalité virtuelle. »⁶

Dans le cas des « jeux sérieux », l'interactivité dans le scénario pédagogique suggère la participation active de l'apprenant dans le processus d'apprentissage. Des activités variées vont être proposées à l'utilisateur le faisant intervenir dans le cadre d'un objectif pédagogique précis, il s'agit par exemple de faire un exercice, de répondre à un questionnaire d'évaluation, d'envoyer un message à un tuteur, de faire un jeu, de dessiner, de découvrir un contenu. C'est à ce niveau qu'intervient tout le potentiel des différents médias : images, sons, animation...

3. « Jeu sérieux » et motivation

¹ Hodhod R., Kudenko D., & Cairns P. (2009). AEINS: Adaptive Educational Interactive Narrative System to Teach Ethics, In Proceedings of the International Conference on Artificial Intelligence in Education (AIED) Workshop on Intelligent Educational Games, pp. 79-88.

² Alvarez, J ; Djaouti, D ; Jessel, JP ; Methel, G ; & Molinier, P. "Morphologie des jeux vidéo", Actes du colloque "H2PTM'07 (Collaborer, Echanger, Inventer : Expériences de réseaux)", Hammamet, Tunisie, Hermes science, ISBN : 978-2-7462-1891-8, Lavoisier, 2007"

³ Marfisi-Schottman, I. (2012). *Méthodologie, modèles et outils pour la conception de Learning Games*. [thèse de doctorat en informatique de l'INSA]. Lyon, France.

⁴ Bertrand Marne, Thibault Carron, Jean-Marc Labat. *Modélisation des parcours pédago-ludiques pour l'adaptation des jeux sérieux*. Christophe Choquet, Philippe Dessus, Marie Lefevre, Julien Broisin, Olivier Catteau, Philippe Vidal. 6e Conférence sur les Environnements Informatiques pour l'Apprentissage Humain, May 2013, Toulouse, France. IRIT Press 2013, pp.55-66, 2013.

⁵ Lamzet, B ; & SILEM, A. (1997). *Dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication*. Paris : Ellipses. p312.

⁶ Roustan, M. (2003). *La pratique du jeu vidéo : réalité ou virtualité ?* Paris : L'harmattan. p 46.

La motivation est également souvent expliquée en termes de raisons extrinsèques ou intrinsèque de choisir de participer. Les motivateurs extrinsèques sont extérieurs à l'individu comme obtenir de l'argent, des compliments, éviter des conséquences négatives, etc. alors que les motivateurs intrinsèques viennent au contraire de l'intérieur de l'individu caractérise un engagement libre de l'individu pour ce qu'une activité lui apporte en elle-même: plaisir, satisfaction, détente, curiosité, etc. L'histoire de la psychologie est riche en théories de la motivation, qui s'inspire toutes d'une certaine vision de l'être humain et d'un paradigme psychologique. Les théories béhavioristes accordent surtout de l'importance à l'influence extérieure sur le comportement plutôt qu'aux facteurs internes. Les théories cognitives s'attachent plutôt à rechercher la manière de provoquer chez l'apprenant une motivation intrinsèque. La motivation sert donc ici à créer des intentions et à inciter l'apprenant à agir en se tournant vers un but auquel il pourra attribuer une signification. « Thomas Malone » et « Mark Lepper » (1987), qui se sont tout particulièrement penchés sur la motivation et le jeu dans un contexte d'apprentissage, affirment que la motivation est ici intrinsèque par nature, ce qui veut dire qu'on s'engage dans un jeu pour le jeu et non pas pour recevoir une récompense externe.

Pour garder le joueur engagé, les « jeux sérieux » déploient un large panel d'éléments permettant de le motiver: Score à atteindre, récompenses disposées à un bon rythme, entretien de l'expérience optimale ou « flow » (Csikszentmihayi)¹ par le réglage de la variété et de la difficulté des situations, par l'évolution des potentiels d'interaction, le développement d'un objet ou un projet... Dans ce sens, Il est possible de citer un certains nombre de caractéristiques que l'on trouve intrinsèquement motivants dans les « jeux sérieux ».

3.1. La curiosité et le challenge

Le challenge et la curiosité fonctionnent de pair et correspondent au processus d'équilibre de Piaget²: confronté à un problème sans solution immédiate, l'apprenant va chercher une solution si elle apparaît à sa portée puisque le contexte sera intéressant en soi. Il est pour cela nécessaire de concevoir des tâches qui ne soient ni trop faciles, ni trop difficiles afin d'éviter l'ennui ou le découragement. Ce challenge, requis pour maintenir l'engagement du sujet correspond donc à la zone de difficulté dans laquelle l'apprentissage a lieu.

Ajoutons que la curiosité est considérée comme une conséquence d'un « conflit conceptuel » et peut être créée par le doute, la perplexité, la contradiction, l'incongruité et la non pertinence. Ainsi, le joueur apprenant devrait vivre une expérience de jeu unique, en plus de percevoir un sentiment de contrôle et d'autonomie dans le « jeu sérieux », mais aussi d'incertitude sur le dénouement du jeu, ce qui devrait susciter sa curiosité.

3.2. Un feed-back bien adapté et clair

Les « jeux sérieux » se prêtent bien à la création de feed-back immédiats et adaptés à la situation. L'interaction peut être riche d'enseignements pour l'apprenant, qui va alors pouvoir corriger ses erreurs et développer de nouveaux plans et stratégies pour poursuivre sa progression. Dans le cas d'un « jeu sérieux », le feed-back peut faire une partie intégrante du scénario, il doit être correctement dosés, fréquent, clairs, constructif et encourageant. Le feed-back est également apte à renforcer la confiance en lui de l'apprenant et son désir de persister dans la tâche. L'anxiété est en effet reconnue pour réduire la motivation d'apprendre: c'est un facteur inhibiteur qui peut

¹ Csikszentmihalyi, M., Abuhamdeb, S., Nakamura, J., Flow, In Elliot, A. J., Dweck, C. S., Handbook of competence and motivation, The Guilford press, New-york, London, 2005, p. 598-608.

² PIAGET, Jean. (1975). L'équilibration des structures cognitives. Presses Universitaires de France. P 188.

faire obstacle à la performance d'une grande variété de fonctions cognitives dont l'attention, la mémoire, la formation de concept et la résolution de problèmes.

3.3. Le contrôle

Le concept du « Contrôle » est central dans de nombreuses théories motivationnelle (FENOUILLET, 2009)¹. Il s'agit de donner au joueur apprenant le sentiment de « diriger » sa progression vers le but d'apprentissage. Ce sentiment est en effet encouragé par la facilité avec laquelle les apprenants peuvent répéter une activité jusqu'à ce qu'elle soit maîtrisée. Les « jeux sérieux » mettent le pouvoir dans les mains des joueurs, qui maîtrisent l'évolution de leurs apprentissages en fonction de leurs compétences et du nombre de fois où ils ont dû recommencer le même parcours, la même activité sans avoir à craindre de jugements négatifs. En effet les jeux donnent l'impression qu'échouer n'est pas un problème et encouragent les utilisateurs à prendre des risques qu'ils n'auraient pas osé prendre dans un autre contexte, ce qui ajoute à ce sentiment de contrôle. De plus, les joueurs ont tendance à considérer l'ordinateur comme un partenaire d'apprentissage, appréciant la relation non hiérarchique dans laquelle les rôles d'enseignant et d'apprenant sont brouillés ou altérés, ce qui permet de s'échapper des situations d'apprentissage en classe qui ne conviennent pas à tous les apprenants ou de débloquer certains d'entre eux. C'est donc l'équilibre entre tous ces motivateurs qui va rendre l'environnement d'apprentissage intrinsèquement motivant.

4. Etude expérimentale et résultats

Le but de cette étude expérimentale est de vérifier si les « jeux sérieux » sont un moyen efficace pour stimuler la motivation des jeunes en rendant l'apprentissage plus ludique.

4.1. Population d'étude et constitution de l'échantillon

La population d'étude concerne les jeunes étudiants qui ont l'âge entre 18 et 25 ans. La recherche sera réalisée auprès d'un échantillon aléatoire d'étudiants de l'institut supérieur d'informatique (ISI) et de l'Ecole supérieure des communications de Tunis (Sup'Com). 10 entrevues ont été réalisées, 50 questionnaires d'évaluation de la qualité motivationnelle ont été répondus par l'échantillon.

Sexe	fréquence	pourcentage
Fille	25	50%
Garçon	25	50%
Total	50	100%

Tableau 1 : Répartition des sexes dans l'échantillon

4.2. Technique de collecte de données

4.2.1. Le questionnaire d'évaluation de la qualité « motivationnelle »

¹ Fenouillet, F., Vers une approche intégrative des théories de la motivation, In P., Carré & F., Fenouillet (Ed.), Traité de psychologie de la motivation, Paris : Dunod, 2009, p. 305-338.

Pour atteindre le but de notre recherche, le questionnaire est apparu comme l'instrument le plus convenable afin de mesurer la motivation des joueurs apprenants et connaître leurs opinions concernant le « jeu sérieux » étudié. En effet, on a élaboré le questionnaire en nous inspirant des travaux proposés par « Rolland Viau »¹ destinés à connaître l'opinion des apprenants sur « la qualité motivationnelle » d'une activité cognitive. En nous appuyant également sur ce modèle, nous avons formulé des questions fermées qui permettent aux jeunes de répondre facilement aux énoncés et qui peuvent nous aider à vérifier notre hypothèse de recherche.

4.2.2. l'entretien semi-directif

L'entretien semi-directif a permis de centrer le discours sur les apports motivationnels des « jeux sérieux » aux jeunes participants à l'expérience en apportant une richesse et une précision plus grandes dans les informations recueillies, grâce notamment à la puissance évocatrice des citations.

4.3. Matériel

Tout d'abord, on tentera de présenter un « jeu sérieux » intitulé « Adventure Ecology, Mission 1 : Top Of The World », dont on s'est servi durant la phase d'expérimentation. En 2005, le jeune anglais David de Rothschild a fondé « Adventure Ecology », une organisation qui tente à instruire et engager des individus, des communautés et des industries à protéger l'environnement. Avant de partir pour l'Arctique, David a créé « Adventure Ecology, Mission 1² : Top Of The World », un « jeu sérieux » gratuit en accès libre depuis un site Internet, L'idée étant que tous les internautes intéressés puissent y accéder chez eux. Le jeu aide les jeunes à se renseigner sur les problèmes d'environnement, partager leurs expériences, élaborer leurs propres projets et suivre les aventures de « Mission 1 ». En effet des internautes du monde entier ont fêté l'arrivée de l'équipe au pôle Nord, le 27 avril 2006, et ils ont suivi en direct la terrible décision de mettre fin à la mission le 8 juin, parce que la glace se fracturait très rapidement. En 2007, le magazine « National Geographic »³ a attribué à David de Rothschild les honneurs de l'« Explorateur Naissant »⁴. Maintenant David prépare déjà son prochain voyage, mais cette fois, « Adventure Ecology, Mission 2 : Déchets » qui aura pour objectif de souligner l'impact des déchets sur notre planète. Elle le conduira au milieu de l'océan Pacifique, sur un radeau fait de bouteilles en plastique.

4.4. Procédure

Dans un premier temps, nous avons testé le questionnaire d'évaluation de la qualité motivationnelle auprès de cinq étudiants pour vérifier la compréhension des énoncés. Nous avons demandé aux étudiants de signaler les énoncés ambigus et les mots difficiles en ce qui concerne le sens. Ces indications nous ont permis de reformuler quelques énoncés et de remplacer quelques mots par d'autres afin d'assurer la compréhension des questions.

Cinquante étudiants en informatique et en communication ont participé à l'expérience. Ils ont été répartis en quatre groupes. Chaque groupe a participé à deux séances d'expérimentation. La première séance d'expérimentation était constituée des trois phases suivantes:

¹ VIAU R. (2009). La motivation en contexte scolaire (2 ed.), Bruxelles: De Boeck.

² <http://missioncontrol.adventureecology.com/>

³ National Geographic Society. National Geographic est un magazine mensuel américaine, créée le 13 janvier 1888 et publié par la Elle a pour but le développement et la diffusion de la connaissance géographique. le magazine est traduit dans différentes langues, dont le français et l'allemand.

⁴ <http://www.nationalgeographic.com/adventure/news/david-de-rothschild.html>

1- 10 min pour introduire le cadre de l'expérimentation et remplir les renseignements d'ordre personnel

2- 90 min pour l'exploration des quatre premiers thèmes du jeu : Energy, Arctic Culture, Our Climate Change, Land and Water.

La deuxième séance d'expérimentation était constituée des trois phases suivantes :

1- 55 min pour l'exploration des trois derniers thèmes du jeu : Organisms, Green, You.

2- 15 min pour remplir l'échelle de la qualité motivationnelle.

3. A la fin de la deuxième séance d'expérimentation on a réalisé dix entretiens semi directifs avec dix jeunes afin de savoir leurs opinions concernant cette expérience.

4.5. Variables et données

Il nous semble essentiel de vérifier l'incidence du genre sur les apports motivationnels des « jeux sérieux », c'est pour cette raison on a choisi d'aborder la variable indépendante du genre afin de dégager les similitudes et les différenciations entre les filles et les garçons.

4.6. Analyse et Résultats

Pour l'étude de la motivation, on a utilisé l'opération de « tri à plat » qui consiste à déterminer comment les avis, de l'échantillon de l'étude, concernant la qualité motivationnelle du « jeu sérieux » «Adventure Ecology, Mission 1 : Top Of The World» se répartissent sur les différentes modalités. Le résultat de cette opération est le « tableau de fréquences » qui peut faire apparaître le nombre d'individus dans chaque modalité, la fréquence d'individus par modalité et le pourcentage correspondant.

On a essayé de connaître l'opinion des jeunes sur la « qualité motivationnelle » des activités auxquelles ils sont confrontés en jouant « Adventure Ecology, Mission 1 : Top Of The World ». On a proposé les énoncés du questionnaire de sorte que ceux-ci correspondent aux 10 conditions de la motivation : la clarté, la diversité, la signification, responsabiliser l'apprenant, représenter un défi, l'interdisciplinarité, correspondre au niveau intellectuel, l'interactivité, stimuler la curiosité, se dérouler sur une période de temps suffisante. Tout au long du questionnaire, les jeunes expriment leurs opinions concernant « la qualité motivationnelle » des activités sur une échelle comportant trois échelons (un peu, moyennement, très bien).

4.6.1. Condition 1 : la clarté

L'apprenant doit savoir ce qu'on attend de lui. Ainsi, il ne perdra pas de temps à chercher à comprendre ce qu'il doit faire. Des consignes claires contribuent à réduire l'anxiété et le doute que certains apprenants éprouvent. Des consignes trop vagues entraîneraient chez les apprenants une baisse d'attention d'où perte de motivation envers l'activité proposée. Plus la consigne sera explicite pour l'apprenant, moins il doutera de la direction à prendre et plus son sentiment de capacité de réussite sera fort.

la qualité de la clareté pour les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	3	12,0	12,0	12,0
moyennement	13	52,0	52,0	64,0
très bien	9	36,0	36,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

En ce qui concerne la condition de la clarté, 52% de l'échantillon des filles considère les activités du jeu « Adventure Ecology » comme moyennement claires alors que 36% d'étudiantes estiment que le jeu est très bien clair. D'après les entretiens semi directifs, la clarté des activités est due à la présence du tuteur « toutes les étapes, la démarche ainsi que la navigation dans le jeu ont été bien expliquées par les deux tuteurs Bay et Dash. »

la qualité de la clareté pour les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	3	12,0	12,0	12,0
moyennement	13	52,0	52,0	64,0
très bien	9	36,0	36,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

On remarque qu'il y'a une ressemblance totale entre les filles et les garçons de l'échantillon au niveau de leurs opinions concernant la condition de la clarté du jeu. On note aussi que 12% de l'échantillon des garçons trouve que l'activité est très peu claire « le jeu n'était pas clair pour moi parce qu'il est en anglais. » Ainsi on peut dire que la langue anglaise a présenté un obstacle pour quelques individus afin de bien comprendre le jeu.

4.6.2. Condition 2 : la diversification

Si l'activité est composée de plusieurs tâches celles-ci ne doivent pas être répétitives. La diversité doit d'abord se retrouver dans le nombre de tâches à accomplir à l'intérieur d'une même activité si non, elle est généralement peu motivante aux yeux des apprenants. Une activité doit être reliée à d'autres activités, c'est-à-dire qu'elle doit s'inscrire dans une séquence logique. Pour que l'apprenant perçoive la valeur d'une activité, il faut qu'il puisse facilement constater que cette dernière est directement reliée à celle qu'il vient d'accomplir et à celle qui suivra.

la qualité de la diversification pour les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	10	40,0	40,0	40,0
très bien	15	60,0	60,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Le pourcentage accordé à la seconde condition selon l'échantillon des filles atteint 60% à l'échelon de « très bien » ce qui permet de juger que les activités du jeu étaient très bien

diversifiées. L'une des participante déclare lors de l'entretien semi-directif « On n'a pas confronté constamment le même type d'activités. »

la qualité de la diversification pour les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	9	36,0	36,0	36,0
très bien	16	64,0	64,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Le pourcentage accordé à la seconde condition de la diversification, selon l'échantillon des garçons, dépasse 60% à l'échelon de « très bien ». En même temps on constate l'absence de l'échelon « peu diversifiées » dans les réponses des filles et des garçons. Les résultats obtenus aident à constater que les activités du jeu se caractérisent par la diversification.

4.6.3. La condition 3: La signification

Une activité est signifiante pour un apprenant dans la mesure où elle correspond à ses champs d'intérêt, s'harmonise avec ses projets personnels et répond à ses préoccupations. Cette condition favorise particulièrement la perception qu'a l'apprenant de la valeur qu'il accorde à l'activité. Ainsi, plus une activité est signifiante, plus l'apprenant la juge intéressante et utile.

P. Mannoni (1986, p.95) montre qu'une activité peut porter des significations qui poussent l'étudiant à être motivé. Il écrit à ce sujet: « Il n'y a pas d'objet pour un sujet que dans la mesure où celui- là est susceptible de revêtir une signification quelconque pour celui- ci. »¹ Le sens donné à un apprentissage aide l'apprenant à s'investir en fournissant un effort pour accomplir une activité.

la qualité de la signification selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	2	8,0	8,0	8,0
moyennement	8	32,0	32,0	40,0
très bien	15	60,0	60,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

60% de l'échantillon de fille considère également la condition n° 3 comme très significative et valorise le thème du jeu. Alors que 8% du même échantillon estime que l'activité du jeu est peu intéressante.

¹ Mannoni, P., (1986) ; Des bons et des mauvais élèves, éd ESF, Paris.

la qualité de la signification selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	4	16,0	16,0	16,0
moyennemet	5	20,0	20,0	36,0
très bien	16	64,0	64,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Le pourcentage des garçons qui croient que le jeu est très signifiant est de 64%. En effet, l'un des jeunes pense que « le jeu améliore la culture générale des jeunes surtout à des sujets scientifiques très récents. » D'autre part 16% du même échantillon voit que le jeu est un peu signifiant. Lors de l'entretien semi-directif, un apprenant dit « je considère le sujet de jeu comme peu signifiant pour moi parce qu'il s'intéresse au réchauffement climatique en Arctique pas en Tunisie. »

4.6.4. La condition 4 : La responsabilité

La possibilité de faire des choix améliore la perception que l'apprenant a de sa capacité à contrôler ses apprentissages. Une activité risque de devenir démotivante si elle exige de tous les apprenants qu'ils accomplissent les mêmes tâches, au même moment et de la même façon.

la qualité de la responsabilité selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	10	40,0	40,0	40,0
moyenn	15	60,0	60,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Les résultats obtenus pour la condition n°4 montrent que 60% de l'échantillon des filles voient que l'activité du jeu peut rendre les apprenants moyennement responsables. Alors que 40% du même échantillon estiment que l'activité du jeu peut rendre les apprenants peu responsables. Selon une participante ceci est dû au fait que « tous les étudiants ont passé par les mêmes étapes, les mêmes rubriques, les mêmes jeux... »

la qualité de la responsabilité selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	6	24,0	24,0	24,0
moyennemet	13	52,0	52,0	76,0
très bien	6	24,0	24,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

On remarque que la majorité de l'échantillon des garçons considèrent que le jeu peut rendre les apprenants moyennement responsables de leurs apprentissages. On note aussi que 24% du même échantillon de garçon estiment que le jeu favorise très bien la responsabilité des étudiants dans leurs apprentissages. L'un des participants déclare « on a eu la possibilité de choisir l'avatar qui me convient le plus et mon genre musical préféré. »

4.6.5. La condition 5 : la représentation d'un défi

Un jeu constitue un défi pour l'apprenant dans la mesure où il n'est ni trop facile, ni trop difficile. Ainsi, le joueur se désintéresse rapidement d'un succès qui ne lui a coûté aucun effort ou d'un échec dû à son incapacité à réussir le jeu.

la qualité de représentation d'un défi selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	3	12,0	12,0	12,0
moyennement	14	56,0	56,0	68,0
très bien	8	32,0	32,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

A travers 56% accordé à la condition n° 5, l'échantillon des filles estime que le jeu représente moyennement un défi. Elles voient aussi que « les tuteurs ont joué un rôle déterminant pour nous stimuler à relever quelques défis. »

la qualité de représentation d'un défi selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	3	12,0	12,0	12,0
moyennement	12	48,0	48,0	60,0
très bien	10	40,0	40,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

40% de l'échantillon des garçons voit que les activités du jeu représentent un grand défi, alors que 48% du même échantillon juge le jeu comme représentant moyennement un défi.

4.6.6. La condition 6: l'interdisciplinarité

Pour amener l'apprenant à voir la nécessité de maîtriser le jeu, il est souhaitable que les activités tiennent compte de la matière des autres disciplines.

la qualité d'interdisciplinarité selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	8	32,0	32,0	32,0
très bien	17	68,0	68,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

68% de l'échantillon des filles croit que le jeu se caractérise par l'interdisciplinarité. L'une des filles affirme que « le jeu m'a poussé à utiliser des connaissances antérieures pour réaliser des tâches ou comprendre quelques activités. »

la qualité d'interdisciplinarité selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	8	32,0	32,0	32,0
très bien	17	68,0	68,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

On remarque que les pourcentages recueillis pour la condition n°6 de l'interdisciplinarité sont totalement semblables entre l'échantillon des filles et des garçons. D'après l'entretien semi directif, l'un des membres de l'échantillon des garçons dit que « le jeu présente un point d'intersection entre les cours d'anglais, de géographie, de géologie, de science et d'informatique. »

4.6.7. Condition 7 : Correspondre au niveau intellectuel

Confronté à un problème sans solution immédiate, l'apprenant va chercher une solution si elle apparaît à sa portée puisque le contexte sera intéressant en soi. Il est pour cela nécessaire de concevoir des tâches qui ne soient ni trop faciles, ni trop difficiles afin d'éviter l'ennui ou le découragement.

la qualité de correspondre au niveau intellectuel selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	3	12,0	12,0	12,0
moyennement	17	68,0	68,0	80,0
très bien	5	20,0	20,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

On remarque que l'échantillon des filles accorde un pourcentage considérable 68% à la condition 7, en jugeant le jeu comme moyennement correspondant à leurs niveaux intellectuels.

la qualité de correspondre au niveau intellectuel selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	7	28,0	28,0	28,0
moyennement	12	48,0	48,0	76,0
très bien	6	24,0	24,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

La majorité de l'échantillon des garçons estiment que les activités du jeu correspondent moyennement à leurs niveaux intellectuels. Alors que 28% du même échantillon des garçons juge l'activité comme correspondant peu à leurs niveaux intellectuels. D'après l'entretien semi directif l'un des garçons exprime que « le jeu vise des jeunes qui ont un bon niveau linguistique en anglais et une bonne culture générale. »

4.6.8. Condition 8 : L'interactivité du jeu

Le terme interactif qualifie les matériels, les programmes ou les conditions d'exploitation qui permettent des actions réciproques avec des utilisateurs ou avec des appareils. En d'autres termes, l'interactivité est décrite comme un processus mécanisé ou médiatisé d'échange entre un utilisateur et un appareil.

la qualité interactive du jeu selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	7	28,0	28,0	28,0
moyennemt	12	48,0	48,0	76,0
trés bien	6	24,0	24,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

La majorité de l'échantillon des filles voit que le jeu est moyennement interactive, alors que 28% du même échantillon juge le jeu comme peu interactive.

la qualité interactive du jeu selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	1	4,0	4,0	4,0
moyennemt	5	20,0	20,0	24,0
trés bien	19	76,0	76,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Un faible pourcentage de l'échantillon des garçons estime que le jeu est peu interactif, alors que 76% du même échantillon voit que le jeu est très interactif. Ainsi l'un des participants dit « j'ai bien apprécié, le fait de discuter avec les tuteurs. »

4.6.9. Condition 9 : Stimuler la curiosité

La curiosité est considérée comme l'envie de connaître de nouvelles choses et de dépasser un conflit conceptuel.

la qualité de stimuler la curiosité selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	2	8,0	8,0	8,0
moyennement	7	28,0	28,0	36,0
trés bien	16	64,0	64,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Un très fort pourcentage de l'échantillon des filles estime que le jeu a bien stimulé leurs curiosités. En effet une participante dit que « plusieurs choses stimulent ma curiosité dans ce jeu : le thème traité, les jeux, la réalité de l'expérience.. »

la qualité de stimuler la curiosité selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide un peu	6	24,0	24,0	24,0
moyennement	4	16,0	16,0	40,0
très bien	15	60,0	60,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

De même pour l'échantillon des garçons, 60% estiment que le jeu stimule très bien leurs curiosités. L'un des participants affirme « le fait de savoir que le jeu est issu d'une expérience réelle stimule encore plus ma curiosité. »

4.6.10. Condition 10: Se dérouler sur une période suffisante

Le fait d'accorder au joueur le temps dont il a besoin, l'aide à porter un jugement positif sur sa capacité à faire ce qui est exigé de lui. Le pousser à agir rapidement ne peut que l'amener à éprouver de l'insatisfaction et à hésiter à s'investir dans une autre activité, de peur de ne pas la terminer à temps.

la qualité de déroulement sur une période de temps suffisante selon les filles

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	10	40,0	40,0	40,0
très bien	15	60,0	60,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

60% de l'échantillon des filles voient que le jeu s'est déroulé sur une période de temps très suffisante, alors que 40% du même échantillon juge la période du temps comme moyennement suffisante. On note aussi qu'aucun individu de l'échantillon ne voit que le jeu s'est déroulé sur une période de temps peu suffisante.

a qualité de déroulement sur une période de temps suffisante selon les garçons

	Fréquence	Pour cent	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide moyennement	4	16,0	16,0	16,0
très bien	21	84,0	84,0	100,0
Total	25	100,0	100,0	

Concernant l'échantillon des garçons, 84% estiment que le jeu s'est déroulé sur une période très suffisante du temps, alors qu'aucun individu de l'échantillon ne voit que le jeu s'est déroulé sur une période de temps peu suffisante.

5. Conclusions

Afin de vérifier si les « jeux sérieux » stimulent la motivation des joueurs apprenant, on s'est penché sur « l'échelle de la qualité motivationnelle ». Les énoncés du questionnaire ont permis de recueillir les opinions des jeunes concernant les 10 conditions de la motivation. On a remarqué qu'il y'a une ressemblance totale entre les filles et les garçons de l'échantillon au

niveau de leurs opinions concernant la première condition de la clarté du jeu. La majorité des participants voit que l'activité était moyennement claire. Ainsi durant les séances d'entretien semi-directif, quelques individus ont valorisé le rôle de tuteur à expliquer les activités, d'autres individus ont déclaré qu'ils ont eu des difficultés à comprendre le jeu parce qu'il est en anglais. En ce qui concerne la seconde condition de la diversité, plus que 60% de l'échantillon des filles et des garçons estiment que le jeu se caractérise par la diversification et qu'ils ont accompli des tâches différentes au sein du jeu. La majorité des individus qui ont participé au jeu le qualifie comme très significative. Selon l'échantillon d'étude, le jeu traite un sujet récent et important pour la culture générale des jeunes, bien qu'il y'a d'autres participants qui ont mentionné que l'activité est peu signifiante pour eux parce qu'elle est liée à la condition climatique de l'arctique pas celle de la Tunisie.

La plupart des filles et des garçons de l'échantillon estiment que le jeu participe moyennement à responsabiliser l'apprenant, en effet les jeunes ont eu la possibilité de faire des choix à travers les activités proposés. Aussi les individus de l'échantillon pensent que le jeu représente moyennement un défi et valorisent une autre fois le rôle des tuteurs pour surmonter quelques challenges. Un pourcentage majoritaire de jeunes participants au jeu voit que ce dernier est très interdisciplinaire même il se situe à l'intersection de beaucoup de disciplines tels que l'anglais, la géographie, la géologie, la science et l'informatique. La condition numéro sept de l'échelle de la qualité motivationnelle, indique que le jeu correspond moyennement au niveau intellectuel des jeunes. Quelques participants ont déclaré qu'ils ont eu des difficultés à bien maîtriser la langue anglaise afin de comprendre le jeu. Au niveau de la huitième condition de la qualité motivationnelle, on a noté une différence dans les opinions des jeunes, tandis que les filles pensent que le jeu est moyennement interactive, les garçons le juge comme très interactive et apprécient les discussions avec les tuteurs. La majorité des membres de l'échantillon voit que le jeu stimule bien leur curiosité, vu que les thèmes du jeu sont issus de l'expérience réelle. Concernant la dernière condition de l'échelle motivationnelle, la plupart de l'échantillon se sont mit d'accord sur le fait que le jeu s'est déroulé sur une période de temps suffisante.

D'après ce qu'on vient de présenter on remarque, d'une part l'homogénéité des opinions des deux échantillons d'étude (filles, garçons) au niveau des conditions de la clarté, la diversification, la signification, responsabiliser l'apprenant, représenter un défi, l'interdisciplinarité, correspondre au niveau intellectuel, stimuler la curiosité et se dérouler sur une période de temps suffisante. En même temps on a noté une divergence d'opinions entre les filles et les garçons de l'échantillon concernant la huitième condition de l'interactivité. D'autre part, on constate qu'aucune condition de motivation n'a été décrite comme peu motivante de la part de la majorité l'échantillon de l'étude. Par conséquent, on peut confirmer que le « jeux sérieux » « Adventure Ecology, Mission 1 : Top Of The World » stimulent la motivation des jeunes est vraie.

Nous retiendrons aussi les limites de l'aspect ludique comme facteur de motivation sur la durée totale du jeu. Pour répondre à cette problématique, nous avons prévu de renforcer les mécanismes de jeu pour chaque phase de celui-ci (du début de jeu, milieu de jeu et fin de jeu) pour favoriser l'adhésion dans le temps et d'améliorer l'aspect graphique pour renforcer l'immersion.

Références:

- Alvarez, Julian. (2007). *Du jeu vidéo au serious game : Approches culturelle, pragmatique et formelle*. [thèse de doctorat]. Toulouse : Université Toulouse II; Université Toulouse III. 428 p.

- Alvarez, J ; Djaouti, D ; Jessel, JP ; Methel, G ;& Molinier, P. "Morphologie des jeux vidéo", Actes du colloque "H2PTM'07 (Collaborer, Echanger, Inventer : Expériences de réseaux)", Hammamet, Tunisie, Hermes science, ISBN : 978-2-7462-1891-8, Lavoisier, 2007"
- AMATO, Etienne Armand. (2007). *Vers une instrumentalisation communicationnelle des jeux vidéo : quelles formes de séduction idéologique ou publicitaire ?* Colloque international EUTIC 2007 : "Enjeux et usages des TIC", 7-10 novembre 2007.
- Amory, A. (2007). Game Object Model Version II: A Theoretical Framework for Educational Game Development. *Educational Technology Research and Development*, 55(1), 51-77.
- Bertrand Marne, Thibault Carron, Jean-Marc Labat. *Modélisation des parcours pédagogo-ludiques pour l'adaptation des jeux sérieux*. Christophe Choquet, Philippe Dessus, Marie Lefevre, Julien Broisin, Olivier Catteau, Philippe Vidal. 6e Conférence sur les Environnements Informatiques pour l'Apprentissage Humain, May 2013, Toulouse, France. IRIT Press 2013, pp.55-66, 2013.
- Csikszentmihalyi, M., Abuhamdeh, S., Nakamura, J., Flow, In Elliot, A. J., Dweck, C. S., Handbook of competence and motivation, The Guilford press, New-york, London, 2005, p. 598-608.
- Fenouillet, F. (2009). Vers une approche intégrative des théories de la motivation. In P, Carré & F, Fenouillet (Ed.), *Traité de psychologie de la motivation* (pp. 305-338). Paris : Dunod.
- Hodhod R., Kudenko D., & Cairns P. (2009). AEINS: Adaptive Educational Interactive Narrative System to Teach Ethics, In Proceedings of the International Conference on Artificial Intelligence in Education (AIED) Workshop on Intelligent Educational Games, pp. 79-88.
- Lamzet, B ; & SILEM, A. (1997). *Dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication*. Paris : Ellipses. p312.
- Mannoni, P. (1986). Des bons et des mauvais élèves, éd ESF, Paris.
- Marfisi-Schottman, I. (2012). *Méthodologie, modèles et outils pour la conception de Learning Games*. [thèse de doctorat en informatique de l'INSA]. Lyon, France. 347 p.
- Piaget, J. (1975). L'équilibration des structures cognitives. Presses Universitaires de France. p 188.
- Roustan, M. (2003). La pratique du jeu vidéo : réalité ou virtualité ? Paris : L'harmattan. p 224.

Webographie

- <http://missioncontrol.adventureecology.com/> (consulté le 18/08/2015)
- <http://www.nationalgeographic.com/adventure/news/david-de-rothschild.html> (consulté le 18/08/2015)

Dysfunction of figurative language comprehension and verbal fluency in female schizophrenic patients

Dr. Shereen A. Mahmoud/, Cairo University, Egypt.

ABSTRACT

Background: Language and communication abnormalities are regarded as cardinal symptoms of schizophrenia. Research has indicated that patients with schizophrenia have difficulty in the interpretation of metaphors, ironies and proverbs and they demonstrated deficient verbal fluency performance across letter and category tasks. The objective of the study is to probe figurative language comprehension and verbal fluency in female-only Arabic-speaking schizophrenic patients.

Method: In order to examine this issue, both figurative language comprehension and traditional semantic (animal, food) and phonological fluency tasks were completed by individuals with schizophrenia (N=50) and healthy controls (N=50). In Figurative Interpretation Test, the subject has to choose the meaningful and abstract answer. Fluency performance was measured as the total number of correct words generated in 60 seconds.

Results: Performance on figurative language comprehension and semantic and phonological fluency tasks was impaired in female schizophrenia patients compared to controls.

Conclusion: The results of the present study suggest that the language abnormalities in schizophrenia are universal and could serve as a nucleus for further future researches on a greater number of participants.

Keywords:

Language dysfunction

Figurative comprehension

Semantic fluency

Phonological fluency

Female schizophrenic

1. Introduction

Language dysfunction has correspondingly been of great importance in schizophrenia research. Patients with schizophrenia exhibit a wide range of the language-related disorders, including speech comprehension, semantic or grammar consistency, verbal fluency, and sentence complexity [1]. In addition, language and communication abnormalities, regarded as cardinal symptoms of schizophrenia are often illustrated by patients' difficulty in interpreting the figurative forms of a language [2].

Evidence of impaired figurative language comprehension was provided using different forms of figurative language in a large variety of tasks; an oral interpretation of proverbs [3] metaphors and idioms [4] with multiple choice tasks; and irony or/and metaphor comprehension in the context of short stories and idioms [5].

Although the terms non-literal and figurative language are sometimes used synonymously, the term figurative language originally applies only to expression containing “figures of speech” or “metaphors” which are not necessarily involved in all non-literal statements [6].

Semantic or category fluency deficits in schizophrenia are well established and are argued to be a better trait marker for genetic liability than phonological or letter fluency deficits [7].

It is not clear whether the results obtained in male schizophrenic patients can be extrapolated to female patients with schizophrenia since neurobehavioral laterality indices, i.e. performance on motor, sensory and spatial and verbal cognitive tests, were reportedly different in male and female schizophrenic patients. Furthermore, a possible gender difference in language lateralization may be a factor underlying some of the gender differences in onset and course of schizophrenia [8].

A main feature of schizophrenic language and thought disturbance is concretism, which is the inability to understand the meaning of metaphors and proverbs. Schizophrenic patients typically understand the literal but not the underlying metaphoric meaning of proverbs and metaphors [9].

Research has indicated that patients with schizophrenia have difficulty in the interpretation of metaphor or irony, but study findings have been inconsistent [10].

Studies investigating verbal fluency in schizophrenia have found performance on both semantic (category) and phonemic (letter) tasks to be reduced relative to that of healthy individuals [11].

The majority of studies which focused on the examination of language in schizophrenic patients were carried out on male only participants or mixed patients of both males and females. However, there is quite a few number of studies in which the subjects were only females [12].

Among the verbal abilities, women exhibit greater flexibility in linguistic tasks. Common linguistic skills, in which females have been found to be superior, are verbal fluency, speech articulation, grammatical skills, and use of more complex and longer sentences [13].

As is well-known, gender is an important factor in schizophrenia since differences in age at onset and course of schizophrenia between male and female patients are among the most consistent findings in schizophrenia research. Compared with men, the onset in women is 4 – 5 years later, when a flat peak for the first onset of schizophrenia is seen between 25 and 29 years of age [14].

Several studies of adults indicated that schizophrenia males have more impairment than females in neuropsychological performance including language [15]. However, some studies did not find significant sex differences in cognition in schizophrenia [16], and still others [17] found that females exhibited greater cognitive deficits.

The aim of the present study is to investigate figurative language comprehension and verbal fluency in female-only schizophrenic subjects. The present study is the first of its kind to be conducted on schizophrenic patients, whose mother tongue is Arabic, a language considered to be one of the most complicated and highly intricate languages worldwide.

2. Methods

2.1. Participants and Diagnostic Assessment

One hundred Arabic-speaking right-handed female participants were included in the study. All participants gave written informed consent to participate in the study after all procedures had been fully explained.

The patients group consisting of 50 schizophrenic women were recruited from the (1) Psychiatric Center of the Educational Hospital of Ain Shams University, Cairo, and (2) the Mental Health Hospital, Abbassia, Cairo. All patients fulfilled the DSM-IV-TR criteria [18] for schizophrenia, paranoid and non-paranoid subtypes. For all patients included in the study, clinicians who treated the patients and knew their clinical history used DSM-IV-TR criteria to make a preliminary diagnosis of schizophrenia. All diagnoses were confirmed by a senior clinical psychiatrist.

All schizophrenic patients included in the study were in the phase of clinical stability and had been receiving stable oral doses of atypical antipsychotics for at least one month.

Exclusion criteria included the use of contraconceptive pills, substance abuse or dependence in the past 6 months, a history of traumatic brain injury or any other neurological illness, any past or present major medical illness that may affect brain structures such as diabetes, cerebrovascular disease, etc., and mental retardation.

The comparison group, 50 healthy participants, consisted of community volunteers with no history of psychiatric disease. They had no first degree relatives with a history of psychotic episodes.

All subjects had a full intelligence quotient above 85 in Wechsler Adult Intelligence Scale-Revised [19], a widely used and well-validated intelligence test.

The two groups were matched for chronological age, gender, level of formal education and handedness. The sociodemographic characteristics of patients with schizophrenia and healthy comparison subjects are described in Table 1.

Table 1

Sociodemographic and clinical characteristics of 100 subjects with or without schizophrenia diagnosis.

Characteristics	Schizophrenia patients	Healthy Controls		
	(n = 50)	(n = 50)	t	p
	Mean ± SD	Mean ± SD		
Age (years)	33.56 ± 6.56	32.16 ± 6.91	1.03	0.30
Educational level (years)	13.28 ± 1.95	13.54 ± 1.98	-0.66	0.51
EHI	97 ± 0.05	94.8 ± 0.11	-1.18	0.28
Full IQ	105.4 ± 11.1	110.6 ± 13.4	1.03	0.19
Age at the onset of illness (years)	29.18 ± 6.42	-	-	-
Duration of illness (years)	4.34 ± 1.81	-	-	-

Trail Making – Part A (Seconds)	36.89 ± 13.99	-	-	-
Trail Making – Part B (Seconds)	123 ± 89.36	-	-	-
	N (%)		N (%)	
Gender (female)	50 (100)		50 (100)	
Right handedness	50 (100)		50 (100)	
DSM-IV-TR subtypes				
Paranoid	25 (50)		-	
Disorganized	9 (18)		-	
Undifferentiated	9 (18)		-	
Residual	7 (14)		-	

SD: Standard Deviation.

EHI = Edinburgh Handedness Inventory

P < 0.05

2.2. Cognitive Assessment

All psychological tests were conducted individually, using standard administration procedures with order counterbalanced across participants.

The Figurative Interpretation Test comprised 12 items in Arabic, including 4 proverbs, 4 metaphors and 4 ironies, of which the figurative, non-literal meaning had to be construed by choosing 1 out of 3 written statements given in random order. Type I answer was meaningful and abstract (the only correct choice). Type II answer was highly concretistic. Type III answer was inappropriate. Each correct answer was given two scores. Only fully correct (Type I) answers were rated (max. 24) [20].

Typically, two types of verbal fluency tests are used in the clinical assessment [21]; one is Phonological or Letter Fluency Task, in which subjects were requested to come up with as many words as possible by following certain rules, i.e, the words should start with a certain letter (M), and derivatives of the same word, names, and non Arabic words should be avoided within a designate time (60 seconds).

The second is the Semantic or Category Task. In the categorical condition, subjects have to name as many objects from a specific category (animal, food) as possible in one minute for each category. Each fluency task was scored by counting the total number of appropriate responses and repeated words were omitted. Current intelligence was estimated with WAIS-R full scale IQ.

The Trail-Making Test requires subjects to connect a series of numbers in sequential order. The dependent measure used for this assessment is the number of seconds that the subject requires in

order to complete the task [22]. The Trail-Making Test is used to assess verbal/spatial perception and psychomotor speed. Patients have demonstrated poor performance in this task. Thus, it is a potentially useful comparison test when studying visual perceptual deficits.

Finally, the Edinburgh Handedness Inventory [23] was included to measure hand preference. This questionnaire consists of 10 items concerning hand preference for specific activities. It generates laterality quotient.

2.3. Data Analysis

Data from the 50 female schizophrenic patients and the 50 healthy controls were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) Version 17.0 for Windows. The statistical significance level was set at $P < 0.05$ (two tailed).

Two-independent-sample t-test was applied to examine group differences of sociodemographic, clinical variables and language tasks.

3. Results

3.1. Demographic and Clinical Variables

As can be seen in Table 1, the forms of schizophrenia were as follows: paranoid form = 50%, disorganized = 18%, undifferentiated = 18%, and residual = 14%. There was no significant difference in age, education, handedness and intelligence between schizophrenic patients group and healthy control group.

3.2. Language Tasks Performance

Table 2 summarizes the results. There were statistically significant group effects for all language tasks ($P < 0.0001$), indicating that schizophrenic patients performed worse than the comparison group.

Table 2

Mean (M) and standard deviation (SD) of the language tasks between patients and controls.

	SZ Group	HC Group	t	P-Value
Figurative Interpretation	14.2 ± 4.02	21.8 ± 1.97	-11.93	0.0001
Semantic Fluency				
Animal	4.5 ± 1.4	9.4 ± 4.1	-7.47	0.0001
Food	5.6 ± 1.5	10.6 ± 3.4	-5.47	0.0001
Total Score	9.1 ± 2.9	20 ± 7.5	-4.64	0.001
Phonological Fluency				
Letter (M)	9.9 ± 4.3	14.7 ± 4.5	-8.05	0.001

SZ = Schizophrenia

HC = Control Group

$P < 0.05$

4. Discussion and Conclusions

The results of the present study confirm that language dysfunctions in schizophrenic patients are observed more frequently in their inability to comprehend figurative language elements, including metaphors, ironies and proverbs. They demonstrate deficient verbal fluency performance across letter and category tasks, which is quite consistent with past literature. The patients' language disturbances were characterized by a large number of deferred lexical repetitions [24]. There are a number of different cognitive mechanisms that are potentially responsible for language dysfunction and which may in turn help explain this result.

Several studies have explored which clinical factors and cognitive impairments influence figurative comprehension. It was shown that the bizarre and idiosyncratic interpretation of proverbs was associated with the severity of the schizophrenic's thought disorder, but less abstract and highly concrete interpretations were associated with several cognitive deficits related to attentional processes, executive functioning, planning, working memory, and verbal memory [3].

The explanation is consistent with the evidences relating metaphor appreciation difficulty to symptoms strongly associated with acute schizophrenia such as delusions, but other researchers claim an association with negative symptoms. Associated cognitive phenomena in patients with schizophrenia are purported to include memory dysfunction [10].

Moreover, spoken language of patients with schizophrenia is often characterized by a marked bluntness and lack of figurative language elements, which has been attributed to formal thought disorder and conceptual disorganization. Research into communication disturbances had revealed syntactical and semantic speech abnormalities in Schizophrenia as well as deficits in patients' pragmatic use of language. The rules of pragmatics involve the capacity to extract the figurative meaning of an utterance. Therefore, a speaker and his interlocutor must be able to go beyond the literal meaning of a phrase – precisely what many schizophrenia patients' so-called "concretistic" way of thinking is lacking [25].

The comprehension of irony, proverbs, and metaphors in the context of short stories [5] was associated with the theory of mind deficit in schizophrenia, but the comprehension of familiar metaphors and idioms was associated with linguistic dysfunction, such as impaired syntax [4].

Linguistic impairments in schizophrenia consistently are evident in tests of semantic associations, verbal fluency, and confrontation naming. Explanations for such impairments vary. Deficits in tests of semantic associates are attributed to a highly active semantic associative network in which many word associates are activated at once, and as a result, inappropriate responses are given. It has also been suggested that patients have limited access to semantic knowledge because they have a disorganized semantic system that disrupts efficient search of a target concept [26].

It is interesting to note that language functions such as semantic fluency, and related brain regions (e.g., Heschl's gyrus and the planum temporale), in which sex differences have been reported in healthy adults, are aberrant in schizophrenia [27].

The effects of estrogen on comprehension of metaphoric speech, word fluency, and verbal ability were investigated in women suffering from schizophrenia. The issue of estrogen-dependent

neuropsychological performance could be highly relevant because women with schizophrenia frequently suffer from hypoestrogenism [12].

Many aspects of language and conversation involve working memory and attention, and these are two processes known to be impaired in schizophrenia. This type of impairment also may contribute to some of the patients' difficulties in retrieving words or holding a topic in mind during conversation. Another possibility is that word production deficits in schizophrenia arise from an impaired ability to select an appropriate response from among several competing sources of information. Selection refers to the process of retrieving a specific response from memory when other responses also would be appropriate [28].

Recent structural and functional neuroimaging studies have shown the involvement of brain language areas. The activity in left brain language areas was reduced in patients compared to controls during language tasks, which included fluency and comprehension [29].

Lateralization in schizophrenia has been shown to correlate with language function. Structural and functional lateralization deficits are associated with language dysfunction and may correlate with verbal fluency deficits in schizophrenia [30].

Schizophrenia is well-known to be marked by abnormalities in temporoparietal and frontal brain regions which are believed to disrupt language functions and higher-order cognitive problems that affect language functions, respectively [31].

In light of these neuroanatomic abnormalities, it is not surprising that schizophrenia is characterized by cognitive dysfunction across a variety of domains making it difficult to disentangle the degree to which language or other cognitive problems may be due to thought disorder versus impairments in other affected cognitive domains such as frontal/executive control, processing speed, information processing, and intellectual functioning [32].

To date, much of the research on language abnormalities in schizophrenia has focused on functions normally mediated by the left cerebral hemisphere. For instance, it is known that patients with schizophrenia find it difficult to process semantic aspects of language appropriately; their speech is "disorganized"; they demonstrate reduced comprehensive accuracy according to syntax and they do not perform as well as control subjects in word-stem completion tasks [33]. This trend in the literature is understandable, given the dominance of the left hemisphere for the majority of language functions. Indeed, the recent creation of the term "schizophrenia" reflects parallels between the language dysfunction in schizophrenia and that exhibited by the group of left hemisphere language disorders known as aphasia [34]. Finally, the results of the present study suggest that the language abnormalities in schizophrenia are universal and could serve as a nucleus for further future researches on a greater number of participants.

REFERENCES:

1. DeLisi LE. Speech disorder in schizophrenia: Review of the literature and exploration of its relation to the uniquely human capacity for language. *Schizophr Bull.* 2001;27(3): 481–96.
2. Thomas P, Daum I. Neurocognitive mechanism of figurative language processing –Evidence from clinical dysfunctions. *Neurosci Biobehav Rev.* 2006;30(8): 1182–1205.

3. Kiang M, Light GA, Prugh J, Coulson S, Braff DL, Kutas M. Cognitive, neurophysiological and functional correlates of proverb interpretation abnormalities in schizophrenia. *J Int Neuropsychol Soc.* 2007;13(4): 653–63.
4. Tavano A, Sponda S, Fabbro F, Perlini C. Specific linguistic and pragmatic deficits in Italian patients with schizophrenia. *Schizophr Res.* 2008;102: 53–62.
5. Mo S, Su Y, Chan RC, Liu J. Comprehension of metaphor and irony in schizophrenia during remission: The role of theory of mind and IQ. *Psychiatry Res.* 2008;157(1–3):21–9.
6. Gibbs R, Beitel D. What proverb understanding reveals about how people think? *Psychol Bull.* 1995;118: 133–54.
7. Rossell S. Category fluency performance in patients with schizophrenia and bipolar disorder: The influence of affective categories. *Schizophr Res.* 2006;82(2): 135–8.
8. Gur RC, Alsop D, Glahn D, Petty R, Swanson CL, Maldjian JA, et al. An fMRI study of sex differences in regional activation to a verbal and a spatial task. *Brain Lang.* 2000;74(2): 157–70.
9. Mitchley NJ, Barber J, Gray YM, Brooks N, Livingston M. Comprehension of irony in schizophrenia. *Cogn Neuropsychiatry.* 1998;3: 127–38.
10. Langdon R, Coltheart M. Recognition of metaphor and irony in young adults: The impact of schizotypal personality traits. *Psychiatry Res.* 2004;125(1): 9–20.
11. Bozikas VP, Kosmidis MH, Karavatos A. Disproportionate impairment in semantic verbal fluency in schizophrenia: Differential deficit in clustering. *Schizophr Res.* 2005; 74: 51–9.
12. Bergemann N, Parzer P, Jaggy S, Auler B, Mundt C, Braunleder S. Estrogen and comprehension of metaphoric speech in women suffering from schizophrenia: Results of a double blind, placebo-controlled trial. *Schizophr Bull.* 2008;34(6): 1172–81.
13. Wallentin M. Putative sex differences in verbal abilities and language cortex: A critical review. *Brain and Lang.* 2009;108: 175–83.
14. Leung A, Chue P. Sex differences in schizophrenia: a review of the literature. *Acta Psychiatr Scand Suppl.* 2000;401: 3–38.
15. Walder D, Seidman L, Cullen NI, Su J, Tsuang M, Goldstein J. Sex differences in language dysfunction in schizophrenia. *Am J Psychiatry.* 2006;163: 470–7.
16. Goldberg T, Gold J, Torrey E, Weinberger D. Lack of sex differences in the neuropsychological performance of patients with schizophrenia. *Am J Psychiatry.* 1995;152: 883–8.
17. Albus M, Hubmann W, Mohr F, Scherer J, Sobizack N, Franz U, et al. Are there gender differences in neuropsychological performance in patients with first- episode schizophrenia? *Schizophr Res.* 1997;28(1): 39–50.
18. American Psychiatric Association. *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders.* 4th ed., text rev. Washington: The Association; 2000.
19. Wechsler D. *Manual for the Wechsler Adult Intelligence Scale – Revised.* New York: Psychological Corporation; 1981.
20. Youssef G. *Battery of Language Comprehension and Production.* Cairo: Center of Psychological Researches and Studies; 2002.

21. Benton AL, Hamsher KS, Sivan AB. Multilingual Aphasia Examination. Iowa City: AJA Associates; 1994.
22. Reitan RM. Manual for Administration of Neuropsychological Test Batteries for Adults and Children. Indianapolis: RM Reitan; 1969.
23. Oldfield RC. The assessment and analysis of handedness: the Edinburgh Inventory. *Neuropsychologia*. 1971;9: 97–113.
24. Salomé F, Boyer P, Fayol M. Written but not oral verbal production is preserved in young schizophrenic patients. *Psychiatry Res*. 2002;111(2–3): 137–45.
25. Sperber D, Wilson D. Pragmatics, modularity, and mind-reading. *Mind & Language*. 2002;17(1–2): 3–23.
26. Paulsen JS, Romero R, Chan A, Davis AV, Heaton RK, Jeste DV. Impairment of the semantic network in schizophrenia. *Psychiatry Res*. 1996;63: 109–21.
27. Hirayasu Y, McCarley RW, Salisbury DF, Tanaka S, Kwon JS, Frumin M, et al. Planum temporale and Heschl gyrus volume reduction in schizophrenia: A magnetic resonance imaging study of first-episode patients. *Arch Gen Psychiatry*. 2000;57: 692–9.
28. Marvel C, Schwartz B, Isaacs K. Word production deficits in schizophrenia. *Brain and Lang*. 2004;89(1): 182–91.
29. Dollfus S, Razafimandimby A, Delamillieure P, Brazo P, Jaliot M, Mazoyer B, et al. A typical hemispheric specialization for language in right-handed schizophrenic patients. *Biol Psychiatry*. 2005;57(9): 1020–8.
30. Antonova E, Kumari V, Morris R, Halari R, Anilkumar A, Mehrotra R, Sharma T. The relationship of structural alterations to cognitive deficits in schizophrenia: A voxel-based morphometry study. *Biol Psychiatry*. 2005;58(6): 457–67.
31. Shenton M, Dickey C, Frumin M, McCarley R. A review of MRI findings in schizophrenia. *Schizophr Res*. 2001;49(1–2): 1–52.
32. Kuperberg G, McGuire P, Bullmore ET, Brammer MJ, Rabe-Hesketh S, Wright IC, et al. Common and distinct neural substrates for pragmatic, semantic, and syntactic processing of spoken sentences: An fMRI study. *J Cogn Neurosci*. 2000;12: 321–41.
33. Titone D, Levy DL. Lexical completion and spoken word identification in schizophrenia. *Schizophr Res*. 2004;68: 75–85.
34. Condray R, Steinhauer SR, Van Kammen DP, Kasperek A. The language system in schizophrenia: Effects of capacity and linguistic structure. *Schizophr Bull*. 2002;28(3): 475–90.

Monitor changes in land cover in the Ramallah governorate (1994-2003), by using remote sensing

The researcher: Khalil Mohamad Khalil Abu Allan

Applied Geography - College of Arts- Hebron University-Palestine

Abstract:

This study attempts to monitor changes in land cover in Ramallah, between the years 1994-2003, since the Oslo agreement and the arrival of the Palestinian Authority, was chosen Ramallah because of their political status, they are considered the political capital of the Palestinian Authority, due dominated Israel to the city of Jerusalem It is the eternal capital of the Palestinians, and was found during the study, turning vast areas of agricultural and pastoral land to urban land, and shrinking arable land area which led to a decrease in agricultural productivity of the land, and the exposure of wildlife at risk because of human activities in the region.

The use of remote sensing program remote monitoring these changes through the years mentioned earlier, based on satellite images, has been shown breadth of territory controlled by the Israel area, as well as to increase the number of Israeli settlements in the province and on the land of pastoral and agricultural account, and restrictions on communities Palestinian. Verification of the accuracy of the data and accuracy of the analysis was used scale Kappa, And it reached the accuracy of this measurement are as follows: Overall Kappa Statistics = 0.8052.

Introduction

The human used the land since the High quality in all activities, including the housing, agriculture, transport, etc., and with the large increase in population in the world has increased the use of the land in all the different activities in it, and Palestine have the privacy to increase the exploitation of the land by virtue of the natural population increase among the Palestinian population, The increase is natural due to Jewish immigration to Palestine in addition to the natural increase of the population and longer study area (Ramallah and Al-Bireh) suffer like other increased land use it, and is this exploitation in the Arab residential areas and Israeli settlements and areas of pastoral and agricultural areas and desert areas.

A clear change in land use for the benefit of populated areas to agricultural and pastoral lands account happened, and turned into agricultural areas or pastoral areas either because of the desert climate conditions, residents of the area practiced all activities of Industry, Trade and Labor in services in the cities and the practice of agriculture and animal husbandry and work in services in villages.

And the occupation authorities began operations confiscation of Palestinian land in the Ramallah governorate, especially vital and strategic territory, allowing the settlers free establishment of settlements them under religious arguments and biblical malicious security pretexts, and by malicious Israeli plans to Judaize the remainder of Palestine, prevented the Palestinian people from enjoying their land and homeland.

Study problem:

1. monitor variables in the different land uses.

2. shrinking farmland in the study area of natural causes and human.
3. identify the size of the land confiscated by Israel for different purposes.

The study area

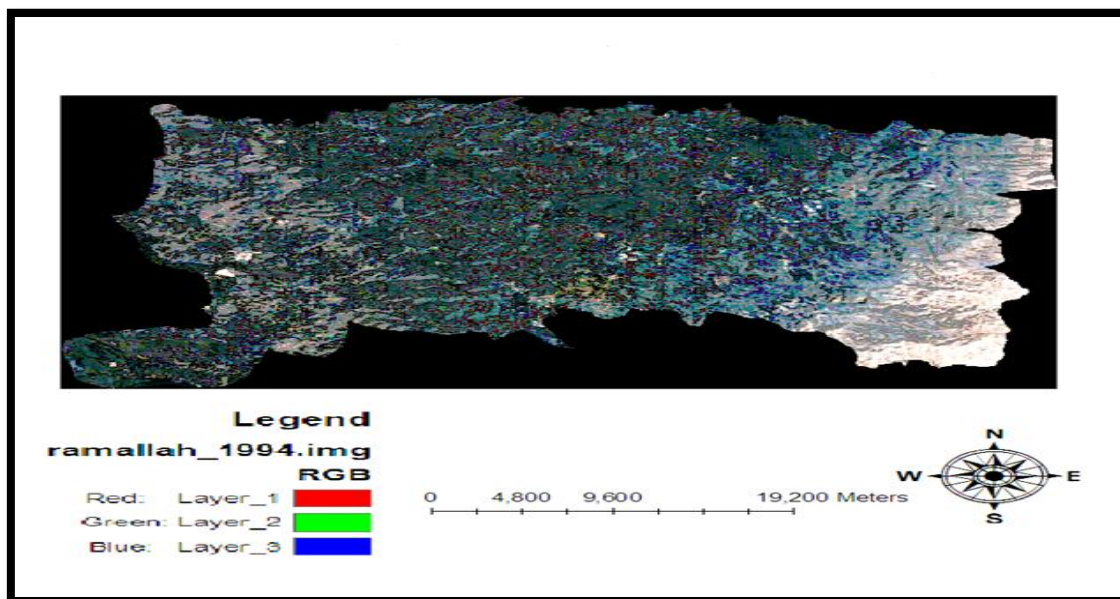
Ramallah and Al-Bireh located north of Jerusalem in the center of historic Palestine, the central West Bank, Predominantly on the surface of the mountain character of the study area, where rises 995 m from the sea surface at the summit of Mount long and spread many of the interior plains between the mountains in the province such as Turmus'ayya and Abu Fallah modulator and other Plains lots, Tracking climate Palestine, which is part of the Mediterranean climate (hot, dry summer rainy mild winter).

The total number of the population of the study area approximately (279 730) people, according to Palestinian Central Bureau of Statistics in 2007, and made up the province of 75 villages and towns, as well as the cities of Ramallah and Al Bireh which the number of inhabitants (27 460) and (38 202) people respectively , and the town of Beitunia, which has a population (19 761) people, and there are in the province several Palestinian refugee camps are: Amari refugee camp and the camp Kaddoura and Jalazoun camp and the camp of Deir Ammar and the total population (16251) people.

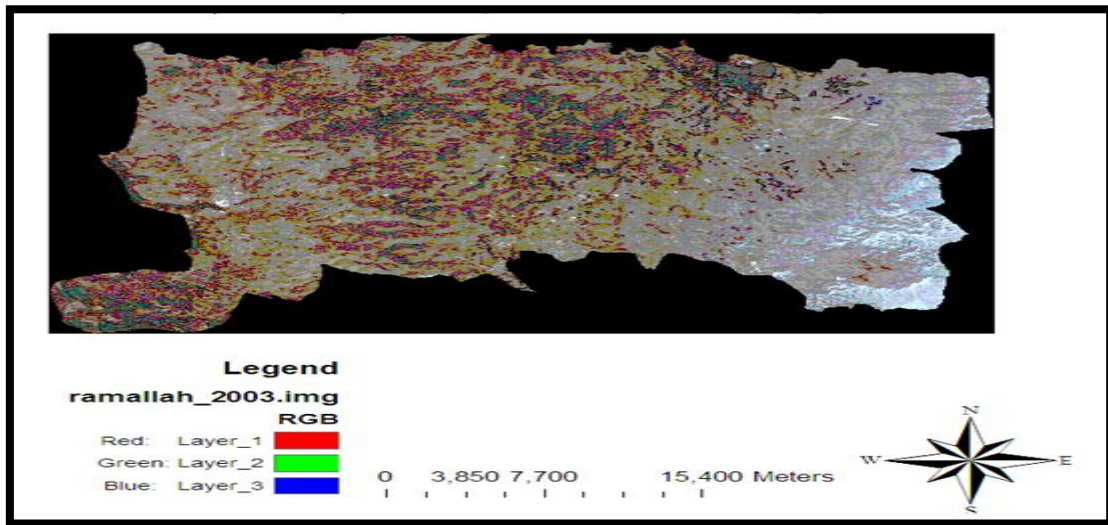
Steps ground monitoring variables

1. Bring two satellite Land sat TM for the years 1994 -2003 m covering Palestine.

Satellite image of Ramallah in 1994



Satellite image of Ramallah in 2003



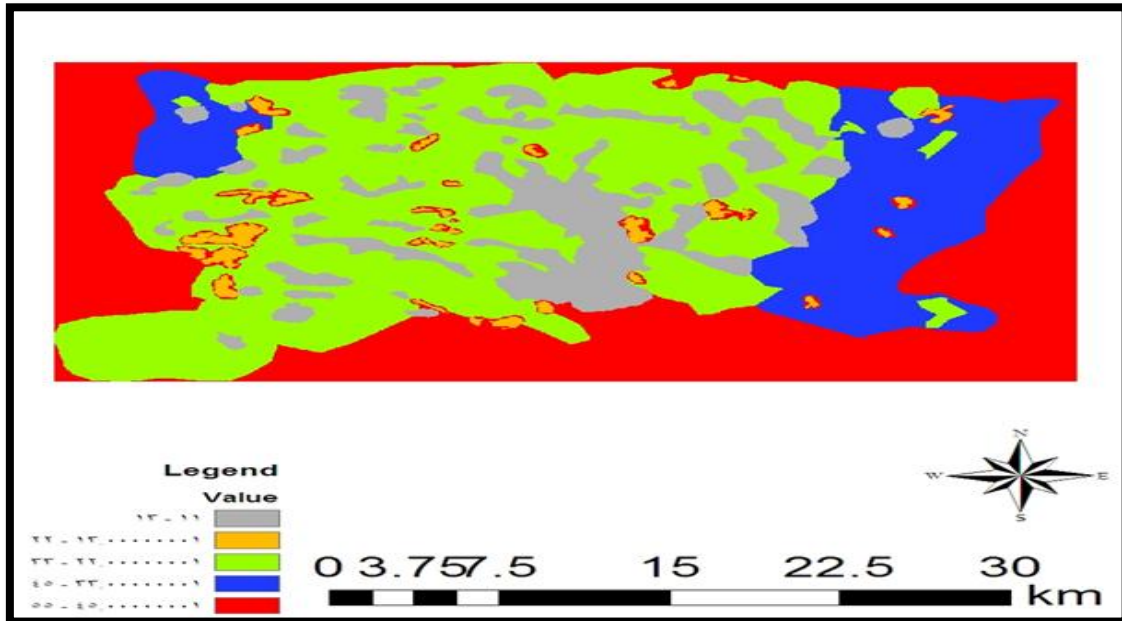
Cut work to the province of Ramallah and Al Bireh (the study area) through the provinces in the report map, by Erdas program using a tool AOI, the two 1994-2003m, and then get a picture of the province of Ramallah and Al Bireh for the year 1994, and the image of another in 2003, as evident in the two images. (Rousan, Nayef 2010. P30)

The work of geometric correction for two after taking control points Ground (GCPS) as the two pictures in 2003-1994 m, and these numbers to match each other by connecting the coordinates or control points Ground (GCPS)) on the following two pictures, to do the necessary conformity and standards, And demarcation in the image of 1994 by GIS SHP File work and one for all the demarcation work and Out Complet her, Aaltersam land use in the study area, namely:

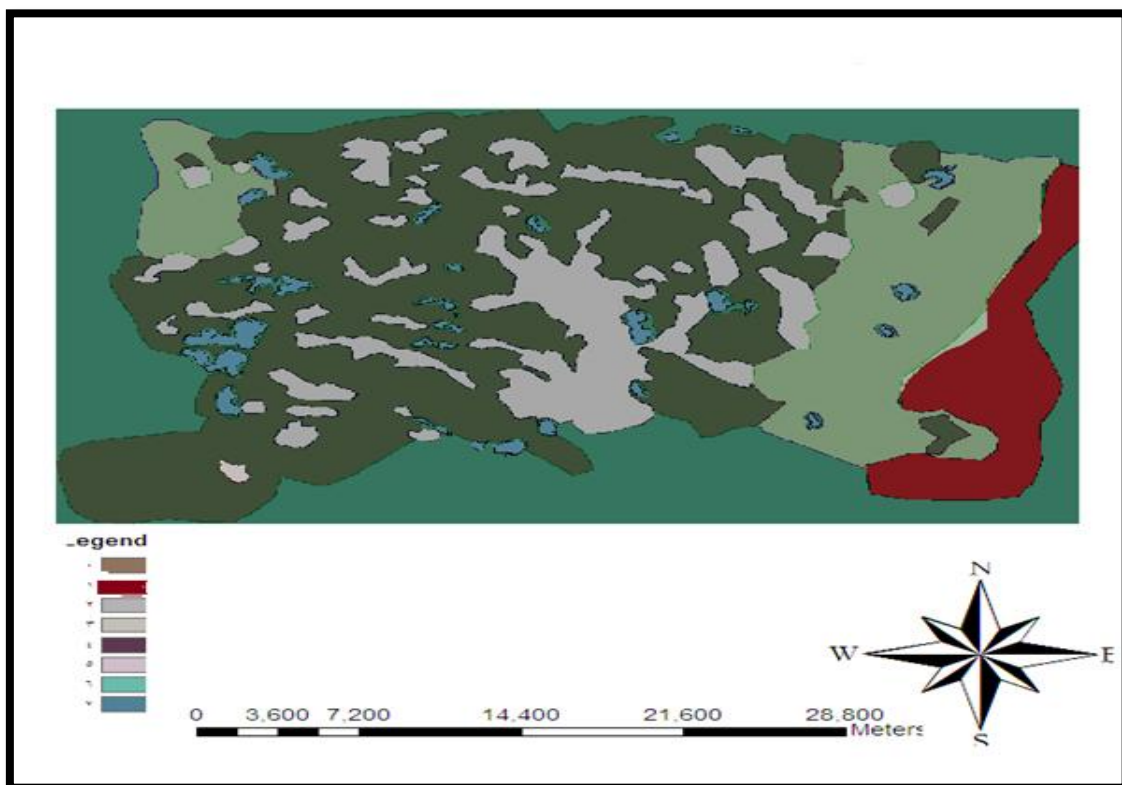
1. Palestinian population centers.
2. Israeli settlements.
3. farmland.
4. pastoral areas.
5. desert areas

Image Converter for 1994 after the demarcation of Victor to Rastar, calibration image 1994 with a picture of 2003 after the demarcation same SHP File, and make adjustments to the border based on variables obtained in 2003 through the demarcation and Monitor the variables that got between the two images 1994- 2003 m through visual interpretation, and focus on the built-up areas And the work of integrating the two images through Matrix)) 1994-2003, Action Classification land use classification for two images, Recode work of the image obtained. (Abdul Latif, Karim Hamid. 2012. P512)

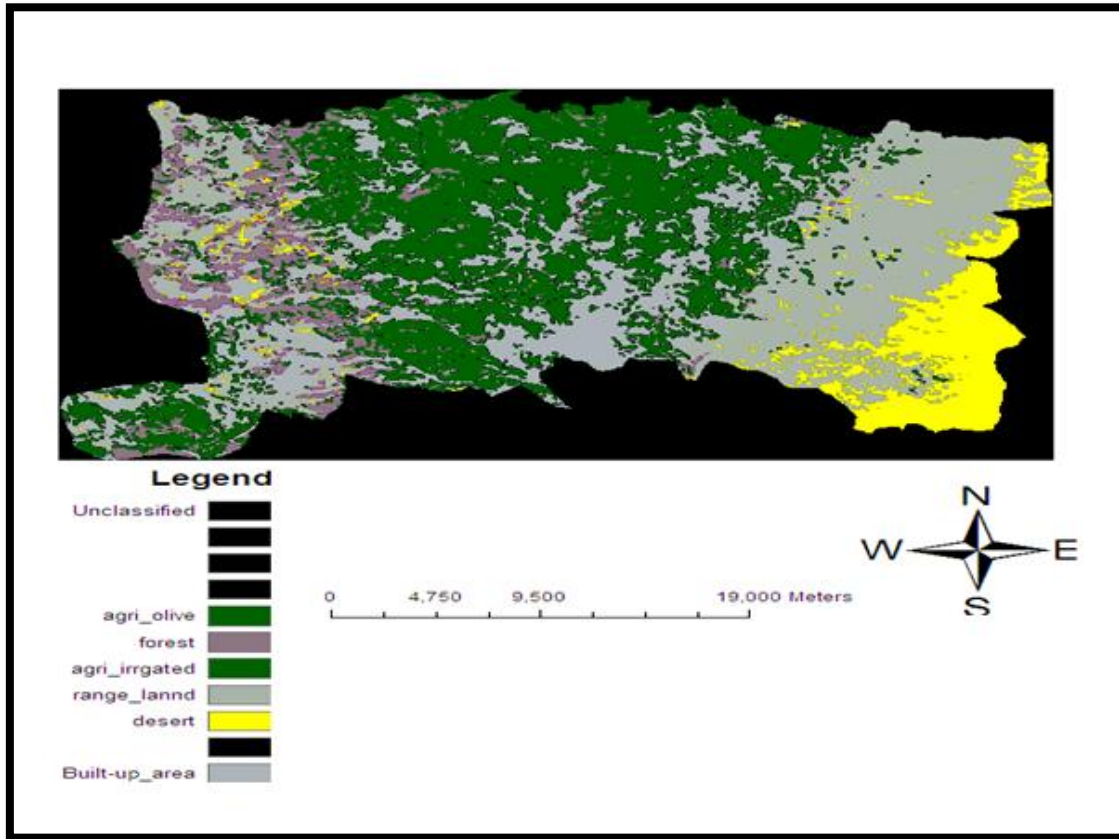
Recode work of the image



The integration of the two images work by ((Matrix)) 1994-2003



Work classification for land use (Classification Tools) for two images



An estimate of the accuracy (Accuracy Assesment) of the image that came out, after taking 100 points on the image, and then appear on the satellite image of the moon Spot. Note:

The last step in the project was to estimate the precision (Accuracy Assesment), in which a problem at work because of the difference in the coordinates of the demarcation process and the difficulty of re-demarcation of the beginning of time constraints. (Qahtan, Amin Ali. 2005. P18)

comparison between the new image with Spot Image to assess the accuracy and through visual interpretation and Get on the final table and comment.

Reference Data

Classified Data	Background	Class 1	Class 2	Class 3
Background	0	0	0	0
Class 1	0	31	0	0
Class 2	0	1	5	0
Class 3	0	0	3	8
Class 4	0	0	4	6
Class 5	0	0	2	0
Column Total	0	32	14	14



Reference Data

Classified Data	Class 4	Class 5	Row Total
Background	0	0	0
Class 1	0	31	
Class 2	2	8	
Class 3	0	12	
Class 4	0	11	
Class 5	4	6	
Column Total	6	6	68

----- End of Error Matrix -----

ACCURACY TOTALS

Class Name	Reference Totals	Classified Totals	Number Correct	Producers Accuracy	Users Accuracy
Class 0	0	0	0	---	---
Class 1	32	31	31	96.67%	100.00%
Class 2	14	8	6	42.85%	75.00%
Class 3	14	12	8	57.14%	66.66%
Class 4	6	11	6	100.00%	54.54%
Class 5	6	7	6	100.00%	85.71%
Totals	72	68	57		

Overall Classification Accuracy = 83.82%

----- End of Accuracy Totals -----

KAPPA (K[^]) STATISTICS

Overall Kappa Statistics = 0.8052

Conditional Kappa for each Category.

Class Name	Kappa
Class 0	0.0000
Class 1	1.0000
Class 2	0.6816
Class 3	0.7234
Class 4	0.0799
Class 5	0.4789

----- End of Kappa Statistics -----

Analyze the causes of changes in land cover, according to the results of remote sensing program:

1. decline occurred on agricultural land in the study area for a number of reasons, including
 - (1) - natural causes represented by:
 - Fluctuating rainfall and declining quantities from year to year
 - Soil erosion on mountain slopes by torrents of water and wind.
 - Lack of soil fertility and sometimes prone to overheating due to intensive agriculture.
 - (2) - Human causes are to:
 - Israel's confiscation of large areas for various purposes, including settlement and bypass roads.
 - Israel's control over groundwater sources.
 - Urban sprawl on farmland as a result of the Arab population increase, especially in the cities in the study area in 2003.
2. shift tracts of farmland to desertification and then to dry desert in 2003.
3. Some farmland turned into pastoral areas in 2003.
4. Israeli settlements have expanded at the expense of Arab land in 2003.
5. Traha agricultural and pastoral land in the desert while the increased acreage. In 2003
6. In general there is a retreat to the areas of agricultural and pastoral land, while increased settlements and desert areas and the area of Palestinian communities space.
7. Israeli settlement based largely in pastoral areas, and this has political significance are as follows:
 1. mountainous territory pastoral in nature.
 2. confiscation of agricultural land and cutting down trees which raises strong reactions from the Palestinians.
 3. pastoral areas usually be far away and difficult in transport.
 8. Palestinian communities spread into agricultural areas, and this has a significant population that has historically concentrated in areas where water and fertile soil suitable for farming is

available, and in recent years has become a focus of the population linked to the availability of different services. (Sha'er, Issa. 2004. P23)

Uses to which many changes occurred - are: (TT):

1. Lands desert - Israeli settlements.
2. pastoral lands - Palestinian communities.
3. agricultural land - Israeli settlements.
4. agricultural land - Palestinian communities.
5. pastoral lands - desert areas (the difficulty of extraction).
6. pastoral lands - agricultural land (because it is difficult to extract a small space).
7. desert land - the territory of the commonwealth.
8. desert land - Arab communities.

Monitoring changes in land relatively expectations

Land use	Increase the space	Decrease space	Remaining part	degree of collapse
Farmland	0	35%	65%	Highly
Pastoral land	0	25%	75%	Highly
Urban land	38%	•	Larger	--
Palestinian communities	37%	•	Larger	--
Israeli settlements	40%	•	Larger	--
Desert areas	2%	•	Larger	--

Change in the following situations do not occur:

1. Palestinian communities - Israeli settlements.
2. Israeli settlements - Palestinian communities.

3. desert areas - agricultural areas (over 10 years) in the study area (This is because the time period for short).

The References:

- Rousan, Nayef (2010): **Morphometric study the characteristics of the basin of Wadi Shuaib using GIS technology and remote sensing.** Yarmouk Research Journal: A series of Humanities and Social. V 26. No. 1.
- Abdul Latif, Karim Hamid (2012): **Selecting the most appropriate places for Agricultural Development horizontal easy Kom Ombo area using Remote Sensing and Geographic Information Systems.** Journal of thought and creativity. No 70. Page 509-524.
- Qahtan, Amin Ali (2005): **Applications of remote sensing and geographic information systems in the study of urbanization of the city of Sanaa and contemporary ranges.** Journal of Baath University. Vol. 27, N. 1.
- Sha'er, Issa (2004): **GIS tools and remote sensing data for the study of bus stops facility in Birkenhead, Auckland (NZ).** Yarmouk Research Journal of: A series of Humanities and Social. Vol. 20, N. 2.

Web sites

- <http://www.mdpi.com/journal/remotesensing>
- <http://oceanservice.noaa.gov/facts/remotesensing.html>
- <http://remotesensing.usgs.gov/>
- <http://earthobservatory.nasa.gov/Features/RemoteSensing/>
- <http://www.sciencedirect.com/science/journal/00344257>
- <http://www.journals.elsevier.com/remote-sensing-of-environment/>



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2015